الجزء الثالث المجلد الخامس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي





شوال ١٤٠٢ هـ
تموز ١٩٨٢ م

الفهرست

الصفحة

عرض الكتب

انباء وآراء

ضروب الصفة

الدكتور
احمد عبد الستار الجواري
(عضـو المجمع)

بسم الله الرحمن الرحيم

ما المراد بالصفة ؟

يشتق من المصادر أو من الأفعال [1] أسماء تشتمل على معنى الحدث مقترناً بذات الفاعل تارة وبذات المفعول تارة أخرى ، ويراد بالاول كما هو معروف وصف لما وقع منه الفعل ، وبالثاني وصف لما وقع عليه الفعل ، وهذان هما اللذان يمكن أن يطلق عليهما اسم الصفة ، اذ انهما يصلحان لوصف أسماء الذوات وأسماء المعاني ، بالمعنى الواسع للوصف (أي الدلالة على الاسناد أو النعت أو وصف الهيئة وهو الحال) .

اسم الفاعل

ويأتي الضرب الاول من الصفات على ثلاث بنى أو ثلاثة أشكال . أولها ما يعرف في علم العربية باسم الفاعل، وله على العموم صورة معروفة

(1) على مذهب أهل البصرة او مذهب أهل الكوفة .

وصيغة معينة هي وزن فاعل في الثلاثي من الافعال كذاهب وضارب وناصر ، ووزن المضارع مع ابدال حرف المضارعة ذلك . قال :

كفـاعلٍ صـغ اسـم فـاعـل اذا
مـن ذي ثلاثـة يـكون كغـذا

وهـو قليـل في فَعُلت وفَعِـل
غـير معـدى بـل قياسـه فَعِل

وأفعـل فعـلان نحـو أشـر
ونحـو صـديان ونحـو الأجهـر

وفَعْـل أولى وفعيـل بفَعـل
كالضخم والجميل والفعـل جَمُل

ثم يأتي بعد ذلك على القاعدة التي سلفت اليها الاشارة في صوغ اسم الفاعل (وما يتفرع عنه) مما زاد على ثلاثة أحرف .

ويذكر ابن جني أن مجيء صيغة فاعل من وزن فَعُل شاذ عند طائفة من أهل العربية . وهو يرى أن ذلك من تداخل اللغات وتركبها . يقول :

« ومما عدوه شاذاً ما ذكروه من فَعُل فهو فاعل نحو طهُر فهو طاهر ، وشَعُر فهو شاعر وحَمُض فهو حامض وعقُرت المرأة فهي عاقر ولذلك نظائر كثيرة واعلم أن أكثر ذلك وعامته انما هو لغات تداخلت فتركبت »[٢] .

أمثلة المبالغة

أما أمثلة المبالغة فمعلوم أنه يراد بها التكثير وهي في عملها تنوب عن اسم

(٢) الخصائص ج ١ ص ٣٧٥ .

الفاعل وتقوم مقامه وتقع بديلا عنه . قال ابن مالك في اعمال اسم الفاعل وامثلة المبالغة :

فعال او مفعال أو فعول
في كثرة عن فاعل بديل
فتستحق ما له من عمل
وفي فعول قل ذا وفعل

ومن قبل قال سيبويه :

« وأجروا اسم الفاعل اذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه اذا كان على بناء فاعل لأنه يريد به ما أراد بفاعل من ايقاع الفعل الا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة » (٢) .

ومدار كلام النحاة في هذه الثلاث الصفات على الاعمال ولاسيما نصبها المفعول أو ما يسمونه شبه المفعول . وأكثر كلامهم انما يقوم على استنباط قواعد ثانوية من القواعد الأساسية استنباطاً مجرداً بعيداً عن واقع اللغة بحيث لاتوافق في كثير من الاحيان ما ورد به السماع وما يقوم عليه المأثور من الكلام .

الصفة المشبهة وعملها

ومن هذا جاء في اعمال الصفة المشبهة اثنان وسبعون وجهاً محتملا ورودها أو يزيد ، منها القبيح ومنها الضعيف ومنها الجائز وما سمع منها يمكن أن يُردّ الى ضرورة الشعر لأنه لم يرد في مأثور الكلام .

ولعل من أهم ما تجدر ملاحظته في هذا الباب ذلك التداخل بين الصيغ

(٢) الكتاب ج ١ ص ٥٧ .

في الصفات الثلاث اسـم الفاعل وأمثلة المبالغة والصـفة المشـبهة • ولقد مرت بنا مقالة ابن مالك التي سـمى بها كل مشتق اشتمل على معنى الحدث وذات الفاعل اسـم فاعل ، وجعل منه أوزان ما نعرفه بالصفة المشبهة ، الا أنه أشار الى الفرق بينهما ، أعني اسـم الفاعل والصفة المشـبهة ، من جهة الفعل الذي يشتق من كل منهما • فذكر أن صيغة فَعِل وفعيل وفعلان ونحوها تشتق من فَعُل وفَعِل ، يريد بذلك الأفعال الدالة على معنى الوصف اللازم أو يشير اليه •

الفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة به

ومما يفرق بين اسـم الفاعل والصفة المشبهة به أن هــذه يستحسن جرّ فاعلها بها كما يقول ابن مالك في تعريفها :

صـــفة اســتحسن جرّ فــاعل
معنى بهــا المشبهة اســم الفاعل
وصـــوغها مـــن لازم لحاضـــر
كطاهـــر القلب جميـــل الظاهـــر

اذن فـــلا عبـرة بـوزن فاعـل فـي الـدلالـة علـى اســم الفاعل ولا بغير فاعل من الأوزان للدلالة على الصفة المشـبهة ، وانما العبرة باستحسان اضافة هذه الى فاعلها في المعنى أي الموصوف بها •

ولعل ذلك راجع الى أن معنى الاضافة ، وهي غالباً لمعنى الملك ، أول على اللصوق واللزوم ، فهي والحالة هذه أدنى الى الدلالة على معنى الثبوت في الاتصاف وأبعد عن معنى الحدوث الذي يكون حين ينصب معمول الاسـم المشتق ولاسيما ما يشتق من فعل يتعدى الى المفعول به •

ولعل هذا يصلح أساساً للتفريق بين اسـم الفاعل وما ينوب عنه ـــ أي أمثلة المبالغة ـــ وبين الصفة المشبهة من الجهـــة التي أسلفنا •

الا أن ثمة أمراً ينبغي أن لا ينصرف عنه النظر ، وهو أن اسم الفاعل المعدى يضاف أحياناً الى معموله ان كان اسم الفاعل ـ بزعمهم ـ لمعنى المضي أو لحكاية حال ماضية ، لأن شرط نصب المعمول باسم الفاعل ـ كما شرطوا ـ أن يكون هذا بمعنى الحال أو الاستقبال لانهم أعملوه عملا على الفعل المضارع • لكن توارد النصب والاضافة في مواضع من آي الكتاب العزيز يزري بقاعدة النحاة هذه• فقد قرىء بالنصب والخفض قوله تعالى (ان الله بالغٌ أمرِه) (هل هنّ كاشفاتٌ ضرِه) (جاعل الليل سكنا) •

صيغ مشتركة

ولابد أن نلاحظ أن أمثلة المبالغة والصفة المشبهة تشترك في بضع صيغ منها فعول وفعيل وفَعِل • وهذا الاشتراك يدل على أن المراد بهما أصلا هو الدلالة على ذات الفاعل مقترنة بالحدث على سبيل التكثير والمبالغة وأن الفرق بينهما مرده الى الفرق بين ما اشتقا منه فان كان فعلا ذا دلالة قوية على معنى الحدث مثل كتب وذهب وقام وقعد ونصر وضرب فان ما يشتق منه وصفاً لذات الفاعل فهو اسم فاعل فان كان للكثرة فهو صيغة مبالغة كضروب ونصير وقوّام ونحو ذلك •

وان كان من فعل يدل على الوصف كطهُر وكرُ وشجُع وفَرِح وعطش فان الوصف منه يسمى صفة مشبهة كطاهر وكريم وشجاع وعطشان وفرح وما أشبهها •

فعول وفعيل ودلالاتهما

على أن من هذه الأسماء المشتقة ما يكون لأكثر من معنى كـ فعول وفعيل •

فان فعيلا يأتي مصدراً كالذميل والصهيل والخبيب والرسيس ونحو ذلك •

ويأتي كذلك اسماً كالزبيب والدقيق والسـفيف (وهو حزام الرحل) والسرير والكثيب وغير ذلك • وهو اذ يكون وصفاً يكون بمعنى فاعل تارة كقريب وبصير وشديد ، وبمعنى مفعول تارة أخرى كقتيل وجريح •

أما فعول فيكون كذلك اسماً كالجبوب وهي الأرض الغليظة ، والشبوب وهو ما توقد به النار ، والغرور وهو الشيطان ، والحرور وهو شدة الحر ، والسفوف وهو ما يُسَفّ من دواء •

وهو اذ يأتي وصفاً يكون بمعنى فاعل كصبور وشكور وبمعنى مفعول كذلول •

كيف تحول الى هذه المعاني

ولعل معنى الوصف هو الأصل في هذين البنائين ثم تحول على سبيل المجاز العقلي ــ وهو اسناد الشيء الى من ليس له ــ الى معنى المصدر وهو الحدث مجرداً من ذات الفاعل • وذلك أمر معروف عند علماء المعاني • فقد يقال المعقول ويراد به العقل مثلا ، وقد يكون العكس فيطلق المصدر ويراد به الوصف ، والمصدر أصل يقبل أن يحتمل ما يلزمه أو يسبق اليه من معان أخرى •

أما مجيء هذه الصيغ أسماء فأمر واضح مألوف في العربية ، لأن كثيراً من الاسماء الاعلام وغير الاعلام تنقل عن الوصف تارة وعن المصدر وما يشتق منه تارة أخرى • وأهل العربية يقسمون العلم قسمين : العلم المرتجل وهو الذي وضع من أول الامر ليدل على مسمى بعينه كسعادَ وأدد • والعلم المنقول وهو الذي نقل عن دلالة غير العلمية الى العلمية كـ خالد ومحمود ونصر وفضل •

والله تعالى أعلم

في معنى الغلبة والاطراد
وحدود القياس اللغوي

الدكتور جميل الملائكة

(عضـــو المجمع)

(١) اقرت لجنة الاصول الموقرة في ٩ / ١٠ / ١٩٨٤ انه اذا كانت المسموعات من وزن معين قليلة ولكن اكثرها ذو دلالة معينة فيمكن ان يقاس عليها لتلك الدلالة عند الحاجة في لغة العلوم .

وهذا القرار العام المقتضب ، ولاشك ، لا تمكن الاستفادة منه دون رسم حدوده وقيوده .

(٢) فيلزم اولا تحديد المراد بالقليل . فهل تكفي ثلاثة من المسموعات لهذا الفرض؟ أم خمسة ؟ أم عشرة ؟ أم عشرون ؟ أم خمسون ؟ لا يخفى انه كلما زاد هذا العدد نقص احتمال الخطأ في الاستدلال ومن ثم زادت اعتمادية العينة. واحتمال الخطأ نفسه يلتزم الاحصائيون تعيين حد ٍ من الثقة في تخمينه. وهكذا يمكن ، من دون الدخول في التفاصيل الاحصائية ، ان نقول بحد ٍ من الثقة مقداره (٩٥٪) ، وهو الحد المقبول عند الاحصائيين، ان أعلى خطأ محتمل في الاستدلال من عينة مقدارها ١٠ من المسموعات مختارة عشوائيا من بين مجموعة كبيرة من مسموعات من الوزن نفسه سيكون في حـــــدود ٣١٪ [1] ، فان كان عدد افراد العينة ٢٠ فسيكون احتمال الخطأ في أسوأ

(1) $\pm ١ر٩٦ \times \sqrt{\frac{٠ر٥ (١ - ٠ر٥)}{١٠}} \times \frac{\infty - ١٠}{\infty - ١} = \pm ٠ر٣١ = + ٣١\%$

الاحوال في حدود ٢٢ ٪ ، فان كان العدد ٤٠ فهو في حدود ١٥,٥ ٪ ، وان كان الافراد ٨٠ فلن يتجاوز ١١ ٪ الخ . وسيقلّ مقدار الخطأ الاعلى المحتمل ايضاً كلما قلّ عدد افراد المجموعة الكلية التي يختار افراد العينة من بينها . وكذلك يقلّ الخطأ المحتمل بزيادة انحراف اطراد الظاهرة المدروسة في العينة عن ٥٠٪ ، وعليه يتقرر قبول حجم العينة من مقدار اطراد الظاهرة المراد قياسها فيها .

ويجدر هنا توكيد العشوائية في اختيار افراد العينة التي نريد دراسة ظاهرة فيها . وكثيرا ما يغفل دارسو اللغة هذه الحقيقة ، أو يجهلونها ، فيقعون في الكثير من الخطأ . فليس من الصواب مثلا ان نستدلّ على اطراد جمع (فاعل) على (فواعل) من مسموعات كذلك نبحث عنها ونختارها اختيارا ، حتى لو بلغ عددها العشرين او الخمسين . وانما الوجه ان نجمع بطريقة عشوائية عددا كافيا من جموع (فاعل) ونرى هل يغلب فيها الجمع على (فواعل) ، وهو لن يغلب على وجه التأكيد . ومثل هذا كثير .

(٣) لقد قالوا إن النحو قياس واللغة سماع . فان لم يكن بدّ من اخضاع اللغة لبعض القياس لحاجات علمية ملزمة فليكن القياس صحيحا .

(٤) وتوكيد الحاجة هنا امر له أهميته . فلا يصحّ تكلف القياس في اللغة تكلفا واطلاق بابه على مصراعيه . ومن العبث ، مثلا ، ان يُعدّ احد ، كائنا من يكون ، معجما جديدا يضيف اليه من عنده عشرات المصادر الجديدة بزنة (فَعَلان) مثلا ، لمعنى الاضطراب ، كالحركان والغَضَبان والنَشَطان او مئات الافعال الجديدة بزنة (استفعل) لمعنى الطلب كاستركب واستفضّ واستذهب ، من الركوب والفضة والذهب . وقد فعل بعضهم مثل ذلك فلم يفد في شيء . فاللغات لاتنمو بالطفرات . وهي انما تتسع وتتطور تدريجا ، وتنمّيها الحاجة والاستعمال .

(٥) وثمة عوامل لغوية اخرى ، غير اطراد المعنى في وزن معين ، مما يحدّ ايضا من جواز اطلاق القياس . فلو كانت عينة من ٥ أفراد هي ما في المعجم من وزن معين ،و اطردت فيها ظاهرة معينة ١٠٠ ٪ ، فاحتمال الخطأ هو صفر ، فهل نقيس عليها ؟ الجواب مرهون بوجود الظاهرة نفسها في وزن آخر او عدمها ، وعلى حجم عينة الوزن الآخر مقارنا بحجم هذه العينة . ومثال ذلك اننا لوجمعنا كلّ ما ورد على غرار (مُزَّيّن) و (مُدَّثّر) و (مُزَّمّل) لوجدناه مطاوع (فعّل) مما هو مبدوء بحرف شمسيّ . ولكننا لا نقيس عليـــه لأن وزن (تفعّل) و(مُتَفَعّل) له نفس الدلالـــة، وقياسه لا ينكسر ، وعيّنته اكبر كثيرا في اللغة من عينّة (مُفّعّل) .

(٦) ويجدر تجنب القيـاســـ عند تداخل الالفاظ ، فلا نقيس مثلا (الاستملاح) لطلب الملح مع وجود هذا اللفظ بمعنى وجود الشيء مليحا ، ولا(الاستشراب) لطلب الشرب مع استعماله لمعنى الاشتداد ، فكل ذلك مدعاة للبس .

(٧) وكذلك يلزم تجنب القياس بوزن مطرد اذا وجد المعنى في وزن آخر حتى او شذّ هذا الآخر ، فلا نقيس (استحاذ) مع وجود (استحوذ) ، ولا (المسجَد) والمستعملُ (المسجِد) .

(٨) ومن المهم ان يكون الوزن المقيس عليه سهلا مقبولا. فلانقيس مثلا الفاظاً بوزن (الفَيْعَلَى والفِعِلَّى رالفُعُلَّى والفِعِّيلَى) (كالخَيْزَلى) و (الجيرِشَّى) و (الحُظُبَّى) و(الحِثِّيثَى) حتى اذا كان لبعض هذه الاوزان دلالات معينة مطردة . فمثل هذه الاوزان لن يستسيغها الذوق ومن ثمّ سيكون مصيرها الاهمالَ كما حلّ بسابقاتها .

(٩) وهكذا يمكن في ضمن هذه الحدود والشروط ان نقيس ، عند

حصول الحاجة العلمية ، على ما ثبت غلبته واطراده ، من الاوزان المعروفة كالفِعالة للحرفة ، والفِعال للامتناع ، والفعلان للاضطراب ، والفعيل للسير او الصوت ، والفُعال للداء او الصوت ، والفُعْلة للون ، وكقياس اسماء الآلة والمكان باوزانها المعروفة ، وقياس فُعولة او فَعالة مصدراً لفعُل المضموم العين ، وقياس اوزان بعض الافعال المجردة او المزيدة لمعان غالبة فيها ، وغير ذلك مما هو مشهور معروف في علم الصرف .

وللتمثيل على ما قد يصح القياس عليه ايضاً ضمن هذه الحدود والقيود ، لاحظت عرضا ان كثرة من المصادر المستعملة بزنة فِعَل بكسر الفاء وفتح العين هي مصوغة من الثلاثي اللازم وانها تدلّ على وصف حال من الاحوال او صيرورته الى حال أخرى . وللتحقق من احتمال غلبة هذه الظاهرة بحثت عن اكبر عدد امكنني ، على وجه من العجالة ، الحصول عليه من هذه المصادر ، فوجدت منها ستة وعشرين مصدرا هي هذه :

١ــ الإرَب = الدهاء والبصيرة (نقيض البلادة والحمق)

٢ــ البِلَى = الرثاثة (نقيض الجدّة)

٣ــ الثِّخَن = الغِلَظ

٤ــ الثِّقَل = ضد الخفّة

٥ــ الحجا = الفطنة والعقل (نقيض الحمق والبلاهة)

٦ــ الرِّبا = الفضل

٧ــ الرضا = نقيض الغضب

٨ــ الرِّوَى = التملؤ من الماء والشِّبَع منه (نقيض العطش)

٩ــ الزِّنا = الفجور

١٠ــ السِّمَن = نقيض الضعف والنحافة

١١ــ السِّوَى = الاستقامة (نقيض العِوَج)

١٢ـ الشِّبَع = التملؤ من الطعام (نقيض الجوع)
١٣ـ الصِّبا = الصِّغَر
١٤ـ الصِّغَر = نقيض الكبر
١٥ـ الضِّخَم = العِظَم
١٦ـ الطِّوَل = امتداد الزمن
١٧ـ العِظَم = خلاف الصغر
١٨ـ العوج = نقيض الاستقامة
١٩ـ العِوَض = اعطاء البدل والعوض (من المتعدي)
٢٠ الغِلَظ = نقيض الرقة والدقة
١٢ـ الغِنى = نقيض الفقر
٢٢ـ الفِدى = الاستنقاذ بمال او سواه (من المتعدي)
٢٣ـ القِدَم = نقيض الحداثة
٢٤ـ القِرَى = الضيافة (من المتعدي)
٢٥ـ القِلى = الكره والبغض (من المتعدي)
٢٦ـ الكبر = نقيض الصغر

والظاهر ان اثنين وعشرين من هذه المصادر الستة والعشرين مصوغ من الثلاثي اللازم ، وانها إما تدلّ على وصف الحال كالصِّغَر ، والكِبَر ، والعِظَم ، والحِجا ، والثِّقَل ، والثِّخَن ، والإِرَب ، والغِنَى ، والسِّمَن ، والعِوَج ، والغِلَظ ، واما تدلّ على صيرورة الشيء الى حال لم يكن عليها كالشِّبَع ، والرِّوَى ، والرِّضا ، والبِلَى ، وقد يستعمل اكثر هذه الالفاظ لكلا المعنيين ، اي الثبوت والحدوث كالغِنَى ، والسِّمَن ، والعِوَج ، والشِّبَع ، والرِّضا ، والبِلَى . ويبدو ان اربعة فقط من هذه المصادر هي عِوَض ، وفِدَى ، وقِرى ، وقِلَى ، جاءت مخالفة لهذه

القاعدة فهي مصوغة من المتعدي ، وهي لا تدل على وصف حال او صيرورة الى حال .

وعلى هذا تكون نسبة غلبة هذه الظاهرة في العينة هي :

$$\frac{22}{26} = 0.85 \quad \text{أي} \quad 85\%$$

ومع ان افراد العينة هي قصارى ما تمكنت من وجدانه من هذه المصادر بهذا الوزن ، فانه حتى لو فرضنا ان الموجود منها في المعجم يبلغ الخمسين فيمكن القول بحدّ من الثقة مقداره ٩٥٪ ان احتمال الخطأ في تخمين هذه الظاهرة في هذه العينة لن يتجاوز ٩,٦٪ [2] ولنقل ١٠٪ [3] ولما كان ٨٥ ٪ — ١٠ ٪ = ٧٥ ٪ فمعنى ذلك ان ما هو مصوغ من الثلاثي اللازم بزنة فِعَّل لوصف حال الشيء او صيرورته الى حال لم يكن هو عليها تقدر نسبته تخمينا بـ ٨٥ ٪ من مجموع مصادر المعجم على وزن (فِعَّل) ولكنها لا يمكن ان تقل عن ٧٥٪ على اية حال .

فهذه الظاهرة اذن هي غالبة في العيّنة والمعجم على وجه اكيد، ويمكن القياس على هذا الوزن على غرار بقية ما يقاس عليه اذا لم توجد (الفَعالة والفُعولة) ونحوهما ، هذا فضلا عن كون هذا الوزن مستساغاً ومقبولا .

واكن في حدود القياس المرسومة لا نقيس (العِلا) لمعنى الارتفاع مع وجود (العُلُوّ) .

ولا نقيس (الثِّقَل) لمعنى اشتداد المرض لأن الثِّقَل مستعمل لنقيض (الخِفّة) .

---

(٢) $\pm 1.96 \times \sqrt{\frac{0.85\,(1-0.85)}{26} \times \frac{50-26}{50-1}} = \pm 0.096 = \pm 9.6\%$

(٣) وحتى لو فرضنا ان عدد الموجود في المعجم غير متناه فسيبلغ الخطأ المحتمل ١٣,٧ ٪ وهو قليل أيضاً .

وفي جميع الاحوال لا نقيس الا لحاجة علمية تستدعي القياس. فلفظ (السميك) مثلا معناه خلاف الرقيق وهو مهم في اللغة العلمية . ونحتاج ايضا الى مصدره . ولما كانت (السَّماكة) و (السَّمْك) بفتح فسكون معناهما الارتفاع، فقد تجيز لنا هذه الحاجة العلمية ان نقيس (السُّمَك) نقيضا (للرقة) ، بموجب هذه القاعدة وضمن هذه الحدود ، والله اعلم .



بلاد الروم

قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه

اللواء الركن محمود شيت خطاب

(عضو المجمع)

الموقع والحدود

كان المسلمون يسمون أقاليم الدولة البيزنطية في جملتها : بلاد الروم • ولفظ : الرومى أي الروماني في العصور الاسلامية الاولى ، كانت ترادف عند المسلمين كلمة : المسيحي أو النصراني • سواء كان الموصوف بها من اليونان أو اللاتين •

وكانوا يسمون البحر الابيض المتوسط : بحر الروم ، اسماً لاقرب الاقاليم المسيحية من بلاد الاسلام •

ومن ثم صارت بلاد الروم اسماً : لآسيا الصغرى عند العرب ، وهي البلاد العظيمة التي انتقلت نهائياً في نهاية السنة المئة الخامسة الهجرية (القرن الحادي عشر الميلادي) الى أيدي المسلمين باستيلاء السلاجقة عليها •

وكانت الحدود بين بلاد المسلمين وبلاد الروم في أيام بنى أمية وبنى العباس ، بل حتى قبل أن يقضي المغول القضاء المبرم على الدولة العباسية في بغداد بما ينيف على قرن ونصف قرن ، تتألف من سلسلتى جبال طوروس وجبال طوروس الداخلة (أنتى طوروس) • وكان يحد هذه الحدود ويحميها

خط طويل من القلاع التي تعرف بالثغور ، يمتد من (ملطية) على الفرات الأعلى ، الى (طرسوس) بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وكان المسلمون يفتحون هذه القلاع تارة ويحتلها الروم تارة أخرى •

وتنقسم هذه القلاع الى مجموعتين ، احداهما تحمى الجزيرة ، وتسمى : ثغور الجزيرة ، وهي الشمالية الشرقية ، والثانية تحمي الشام ، وتسمى : الثغور الشامية ، وهي الجنوبية الغربية •

وكان من ثغور الجزيرة : ملطية ، وزبطرة ، وحصن منصور ، وبهنا ، والحدث[1] • ثم مرعش ، والهارونية ، والكنيسة وعين زربة (عين زربى) ، وهي الثغور الشامية ، أما الثغور الشامية التي بالقرب من الساحل لخليج الاسكندرونة فهي : المصيصة ، وأذنة ، وطرطوس •

يحدها من الغرب : بحر الروم وخليج القسطنطينية وبحر القرم ، ومن الجنوب بلاد الشام والجزيرة ، ومن الشرق ارمينية ،ومن الشمال بلاد الكرج وبحر القرم •

الثغور الشامية

١ ـ مَرْعش :

سماها الروم : (مراسيون Marasion) ، ويقال انها قامت في موضع جرمانيقية •

وهي مدينة من الثغور بين الشام وبلاد الروم ، لها سوران وخندق ، وفي

(١) انظر ما ورد عن هذه الثغور في بحث : بلاد الجزيرة قبل الفتح الاسلامي وفي ايامه •


اقليم الجـــزيرة

وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني بناه مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، ثم حصَّنها هرون الرشيد أيضا •

٢ ــ عين زَرْبَي = عين زَرْبَة :

بلد يشبه مدن الغور ، بها نخيل ، وهي خصبة واسعة الثمار والزروع والمراعي ، ولها سور مكين ، تقع في الجبل ، ذات قلعة مستعلية عنها ، وهي من الثغور من نواحي المصيصة •

٣ ــ الهارونية :

مدينة صغيرة بالقرب من مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام ، استحدثها هرون الرشيد ، وعليها سوران وأبواب حديد • وجبل اللكام : اسم اطلقه البلدانيون المسلمون على سلسلة جبال أتتى طوروس •

٤ ــ الكنيسة :

بلد بثغر المصيصة ، ويقال لها : الكنيسة السوداء ، وسميت بالسوداء ، لأنها بنيت بحجارة سود ، بناها الروم قديما ، وبها حصن منيع قديم أخرب فيما أخرب منها ، ثم أمر هرون الرشيد ببنائها واعادتها الى ماكانت عليه وتحصينها ، وندب اليها المقاتلة ، وزادهم في العطاء ، بينها وبين الهارونية اثنا عشر ميلا •

٦ ــ المثقب :

حصن على ساحل البحر قرب المصيصة ، سمى : المثقب ، لأنه في جبال كلها مثقبة فيها كوى كبار ، وكان أول من بنى حصن المثقب هشام بن عبدالملك •

٦ ــ المصيصة :

مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم ، تقارب

طرسوس ، وهي من ثغور الاسلام ، ذات سور وخمسة أبواب ، فتحها عبدالله ابن عبدالملك وبنى حصنها على أساسه القديم ، ووضع فيها سكانا من الجند من أرباب البأس والنخوة ، وبنى فيها مسجدا فوق تل الحصن • وبعد وقت قصير من فتحها نشأ في الجانب الآخر من نهر جيحان (نهر بيرامس) ربض أو ضاحية جديدة سميت : كفربيا ، بنى فيها عمر بن عبدالعزيز جامعا اتخذ فيه صهريجا ، ثم ان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أنشأ ربضا ثالثا في شرقي نهر جيحان يقال له : الخصوص ، وبنى عليه حائطا وأقام عليه باب خشب ، وخندق خندقا •

٧ ــ أذَنَــة :

بلد من الثغور قرب المصيصة ، تقع على نهر سيحان (نهر سارس) ، وهي مدينة خصبة عامرة حصينة •

٨ ــ طَرَسُوس :

مدينة من أهم مدن الثغور الشامية ، تقع بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، بينها وبين أذنة ستة فراسخ ، عليها سوران وخندق واسع ، ولها ستة أبواب ، وهي تشرف على الدرب المشهور عبر طوروس •

وعني الخلفاء العباسيون الأولون ، ولاسيما المهدي وهرون الرشيد بتحصين طرسوس وشحنها بالرجال •

المدن الاخرى

١ ــ العلايـا :

بلدة محدثة ، أنشأها علاءالدين أحد ملوك السلاجقة فنسبت اليه ،

فقيل لها : العلائية ، ثم خففها الناس وقالوا : العلايا •

وهي بلدة صغيرة على بحر الروم ، وهي من فرض تلك البلاد ، وهي في الجنوب من أنطالية على مسيرة يومين منها ، عليها سور ، وهي كثيرة المياه والبساتين ، ومساحتها أصغر من انطالية •

٢ ـ أنطاليـة :

بلدة كبيرة من مشاهير بلاد الروم ، وهي حصن من حصون الروم المنيعة تقع على بحر الروم ، ولها بابان الى البحر والى البر ، والمياه جارية بداخل البلد وخارجه ، ولها بساتين كثيرة من المحمضات وأنواع الفواكه ، تقع غربي قونية وعلى مسافة عشرة أيام منها •

٣ ـ أنقـرة :

اسم للمدينة المساة : أنكورية ، وهي بلدة لها قلعة على تل عال ، وليس لها بساتين ولا ماء سارح ، وشرب أهلها من آبار نبع قريبة المدى ، وبين أنقرة وقسطمونية خمسة أيام : قسطمونية في الشرق والشمال ، وأنقرة في الغرب والجنوب •

وهي مدينة قديمة ، ورد ذكرها في شعر امرىء القيس ، كما ورد ذكرها في شعر أبى تمام الطائي أيضا •

٤ ـ عَمورِيَّـة :

بلدة كبيرة ، ولها قلعة داخلها حصينة ، وأكثر ساكنيها التركمان ، وبها بساتين قليلة ، ولها أعين ونهر ، وهي التي فتحها المعتصم الخليفة العباسي في سنة (٢٢٣ هـ) وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية في قصة طويلة معروفة ، وكانت من أعظم فتوح الاسلام •

٥ ــ آقشار = آق شهر :

من أنزه المدن ، وبها بساتين كثيرة وفواكه مفضلة ، تبعد عن قونية ثلاثة أيام شمالا بغرب •

٦ ــ قونية :

مدينة مشهورة ، لها جبل في جنوبيها ، ينبع منه نهر ويدخل الى قونية من غربها ، ولها بساتين من جهة الجبل يقرب من ثلاثة فراسخ ، وبقلعتها تربة افلاطون الحكيم ، ونهرها يسقي بساتينها ثم تصير مياهه بحيرة ومروجا ، والجبال دائرة بها من كل جانب ، وتبعد عنها من جهة الشمال ، والفواكه بها كثيرة ، وهناك المشمش المعروف بقمرالدين •

٧ ــ قيسارية = قيصارية :

بلدة كبيرة ذات أشجار وبساتين وفواكه وعيون تدخل اليها ، وداخلها قلعة حصينة ، وبها دار للسلطنة ، وهي منسوبة الى قيصر ، وفي شرقيها مدينة سيواس ، وبين قيسارية وأقصرا أربعة مراحل •

٨ ــ أقصرا = أقسرا :

بلدة في عرض آقشار وأطول منها ، كثيرة الفواكه ، تحمل منها الى قونية على العجل في بسيط من الارض كلها مراع وأودية ، بينها وبين قونية ثمانية وأربعون فرسخا وكذلك من أقصرا الى مدينة قيسارية ، وبين أقصرا وقونية ثلاث مراحل •

وهي ذات أشجار وفواكه كثيرة ، ولها نهر كبير داخل في وسط البلد ، ويدخل الماء الى بعض بيوتها من نهر آخر ، ولها قلعة كبيرة حصينة في وسط البلد •

٩ ـ هَرَقْلَـة :

بلدة في شرقي نهر ينزل من جبل العلايا الى آخر سنوب ، وهرقـلة تقع قرب البحر ، وفي شرقيها جبل الكهف ، ويقال : ان فيـه الكهف الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الكهف •

١٠ـ أماسـية :

بلدة كبيرة ، لها سور وقلعة وبساتين ونهر كبير ونواعير تسقى بهـا ، مشهورة بالحسن وكثرة المياه والكروم والبساتين ، بينها وبين سنوب سـتة أيام ، فيها معدن الفضـة •

١١ـ مَلَطْيـة :

بلدة ذات أشجار وفواكه ارصفها تحف بها جبال كثيرة الجوز ، وسائر الثمار مباحة لا مالك لها ، وهي قاعدة الثغور ، مسورة في بسيط من الارض والجبال تحف بها من بعد ، ولها نهر صغير عليه بساتين كثيرة يسقيها ويسـر بسور البلد ، وهي شديدة البرد ، تقع في جنوبي سيواس بينهما ثلاث مراحل، وفي شمالي زبطرة وبينهما مرحلة كبيرة •

وللطية أيضا قنى تدخل البلد وتجري في دوره وسككه •

١٢ـ سِيْواس :

وهي بلدة كبيرة مشهورة ، وبها قلعة صغيرة ، وهي ذات أعين ، والشجر بها قليل ، ونهرها الكبير يبعد عنها بمقدار فرسخ ، وهي في بسيط من الارض، المسافة بينها وبين قيسارية ستون ميلا ، تقع مدينة أرزن في شرقيها ، وسيواس شديدة البـرد •

١٣ـ تَوْقَـات :

بلدة صغيرة في لحف الجبل ، تقع بين قونية وسيواس ، ذات قلعة حصينة وأبنية مكينة ، بينها وبين سيواس يومان ، لها بساتين وأشجار وفواكه جيدة ، معتدلة في الحرارة والبرودة ، وهي شمالي سيواس •

١٤ـ أرْزَن :

مدينة مشهورة قرب خلاط ، وهي آخر بلاد الروم من جهة الشرق ، وفي شرقيها وشماليها منبع الفرات •

١٥ـ القسطَنْطينيـة :

مدينة شهيرة جدا ، كانت عاصمة الامبراطورية البيزنطية الشرقية ، بناها قسطنطين سنة (٣٣٠م) ، وهي مسورة بسور حصين ، ارتفاعه مابين أربعة عشر قدما وعشرين قدما ، ومحيطها أكثر من أثني عشر ميلا •

١٦ـ مرج الأسقف :

موضع قريب من غرب بدنوس (البذندون) •

١٧ـ مَطْمُـورة :

بلد في ثغور الروم ، بناحية طرسوس •

١٨ـ ذو القلاع :

كانت قلعة مشهورة ، واسمها عند الروم تفسيره : الحصن الذي مع الكواكب •

ويبدو أنها تطابق : (سيديروبوليس Sideropolis) في بلاد القباذق •

١٩ـ اللؤلؤة :

قلعة قرب طرسوس ، واسمها عند البيزنطيين : لولون ، ، سماها العرب لؤلؤة ، ليضفوا على اسمها معنى من المعاني .

٢٠ـ طَوانـة :

بلد بثغور المصيصة ، اسمها القديم : تيانا .

٢١ـ الصَّفْصاف :

كورة من كور المصيصة ، ويرد ذكرها أحيانا : مدينة الصفصاف أو حصن الصفصاف ، وهي قرب لؤلؤة على طريق القسطنطينية .

٢٢ـ حصن الصقالبة :

حصن يقع في جنوبي البذندون ، وسمى باسم الصقالبة الذين فروا من البيزنطيين وعسكروا فيه . وكان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قد جعلهم في هذا الحصن لحراسة الدرب .

٢٣ـ مَلَقونيَّـة :

بلد من بلاد الروم ، قريب من قونية ، تفسيره مقطع الرحى ، لأن من جبلها يقطع رحى تلك البلاد .

٢٤ـ أفْسوس :

بلد بثغور طرسوس في بلاد الروم .

٢٥ـ أنْطـاكِيَـة :

مدينة مشهورة تعتبر قصبة العواصم من الثغور الشامية ، وهي من أعيان

البلاد وأمهاتها ، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير •

ولها سور فيه ثلاثمائة وستون برجا من أبراج المراقبة ، وشكل البلد كنصف دائرة ، قطرها يتصل بجبل ، والسور يصعد مع الجبل الى قمته ، وفي رأس الجبل دار السور قلعة تبين لبعدها من البلد صغيرة ، وللسور المحيط بها دون الجبل خمسة أبواب •

وبين أنطاكية والبحر نحو فرسخين ، ولها مرسى في بليد يقال له : السويدية ترسى فيه المراكب ، فترفع الأمتعة الى أنطاكية على الدواب •

٢٦ــ أطْرابزُنْدَة = طرابزون :

مدينة من أعيان مدن الروم على ضفة القسطنطينية الشرقي ، وهو المعروف ببحر بنطس (البحر الأسود) • والى هذه المدينة منتهى جبل القبق ثم يقطعه البحر ، وهي مشرفة على البحر وماؤه محيط بها كالخندق محفور حولها بأسرها ، وعليه قنطرة اذا دهمهم عدو قطعوها ، ولها اقليم واسع ، ومقابلها مدينة كراسنده على ساحل هذا البحر الغربي ، وولايتها كلها جبال وعرة ، وهي من أعمال القسطنطينية •

وهي أجل ميناء ، كانت تجلب اليها السلع من القسطنطينية وتحمل منها الى بلاد الاسلام • وكان التجار العرب ووكلاؤهم ينقلون السلع منها عبر الجبال الى ملطية وغيرها من مدن الفرات الأعلى ، وأخص هذه السلع : ثياب الكتان اليوناني ، وثياب الصوف والديباج والأكسية الرومية ، وكلها كان يجلب بحرا من الخليج الى البسفور •

الجبـال والانهار

١ ـ الجبـال :

بلاد الروم ، أو ما يطلق عليها الجغرافيون المحدثون اسم : آسيا الصغرى (تركيا الحديثة) ، عبارة عن شبه جزيرة عظيمة مكونة لهضبة تحدها الجبال ، وتنحدر على وجه العموم نحو البحر الأسود [٢] .

وتقطع هضبة آسيا الصغرى سلسلة بَنْتِك في الشمال وجبال طوروس في الجنوب [٣] .

وجبال بلاد الروم المهمة هي : طوروس ، وأنتى طوروس ، وهما سلسلتان جبليتان كانتا الحدود بين بلاد المسلمين والروم في أيام بني أمية وبني العباس، وكان يعين هذه الحدود ويحميها خط طويل من القلاع تعرف بالثغور ، يمتـد من ملطية على الفرات الاعلى الى طرسوس بالقرب من البحر الابيض المتوسط، ومن أهم هذه الثغور : المصيصة ، وأذنة ، وطرسوس .

وجبل اللكام اسم أطلقه البلدانيون المسلمون على سلسلة جبـال أنتى طوروس [٤] ، وقالوا في وصفه : «الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابـن ليون والمصيصة وطرسوس » [٥] ، ثم يمتد الى ملطية وسميساط وقاليقلا الى بحر الخزر ، فيسمى هناك جبل القبق [٦] ، وهذا يتصل بجبال القوقـاز

(٢) الجغرافية العمومية ـ اسمادرد بالاشـتراك ـ القـاهرة ـ ١٩١٩ ـ ص (١٨١) .
(٣) الجغرافية العمومية ـ (١٦٩) .
(٤) بلدان الخلافة الشرقية (١٦٢) .
(٥) معجم البلدان (٧ / ٣٣٧) .
(٦) معجم البلدان (٧ / ٣٢٠) .

المتدة شمالا وبجبال هندكوش التي تتصل بجبال همالايا [٧] .

ويقطع جبال طوروس دروب كثيرة ، سلك المسلمون اثنين منها بوجه خاص في غزواتهم السنوية لبلاد الروم .

الدرب الأول : درب الحدث ، وهو في الشمال الشرقي ، وكان من مرعش فشمالا الى (أبلستين Ablastin) ، وقد عرفت هذه المدينة بـ : (البستان) ، وهي : (أبلستا البيزنطية Ablastho) أي (عربسوس اليونانية Arabissus) ، وكان يحمى هذا الدرب حصن (الحدث Adatha

والدرب الثاني : وكثيرا ماكان يسلك في الأزمنة القديمة ، وهو الدرب الضارب شمالا من طرسوس ، ومنه يأخذ الطريق العام الى القسطنطينية ، وكان هذا الطريق هو الذي يسلكه سعاة البريد وتمر منه القوافل والوفود ، كما أنه الطريق التي تتبعه موجات المحاربين من المسلمين والنصارى ، وكان هذا الدرب يعرف في قسمه الجنوبي بدرب السلامة . وقد وصفه ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك ، فقال : «من طرسوس الى العليق اثنا عشر ميلا ، ثم الى الرهوة ــ أي المكان المنخفض ولعلها : مبسكرينة Mopsukrene القديمة ــ ثم الى الجوزات اثنا عشر ميلا ، ثم الى الجردقوب سبعة أميال ، ثم الى البذندون Podandos سبعة أميال ، ثم الى معسكر الملك على حمة لؤلؤة ــ لولون Loulon ــ والصفصاف عشرة أميال ــ قرب فوستينوبوليس Fanstinopolis ــ وتصير الى معسكر الملك وقد قطعت الدرب ــ النهاية الشمالية من الدرب الذي اخترق الجبل ــ وأصحرت . ومن معسكر الملك الى وادي الطرفاء اثنا عشر ميلا ، ثم الى منى

(٧) الجغرافية العمومية (١٦٩) .

عشرون ميلا ، ثم الى نور هرقلة ــ وهرقلة هي أراكيلة الحديثة وهركلية Heraclia عند الروم ــ اثنا عشر ميلا ، ثم الى اللبن ثمانية أميال ، ثم الى رأس الغابة خمسة عشر ميلا • ثم الى المسكنين ستة عشر ميلا ، ثم الى عين برغوث اثنا عشر ميلا، ثم الى نهر الاحساء ــ أي النهر الذي تحت الأرض ــ ثمانية عشر ميلا ، ثم الى ربض قونية ــ ايكونيوم Iconium ثمانية عشر ميلا ، ثم الى العلمين خمسة عشر ميلا ، ثم الى ابرومسانة عشرون ميلا ، ثم الى وادي الجوز اثنا عشر ميلا ، ثم الى عمورية ــ آموريون Amorion ــ اثنا عشر ميلا » • وطريق آخر : «من العلمين الى عمورية يبدأ من العلمين الى قرى نصر الاقريطي خمسة عشر ميلا ، ثم الى رأس بحيرة الباسليون ــ بحيرة الاربعين شهيدا ــ عشرة أميال ، ثم الى السند عشرة أميال، ثم الى حصن سنادة ثمانية عشر ميلا ــ وسنادة هي سنادس Synades ثم الى مغل خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى غابة عمورية ثلاثون ميلا ، ثم الى قرى الحرّاب خمسة عشر ميلا ، ثم الى صاغرى ــ وهو Sangarius نهر عمورية ميلان ، ثم الى العلج اثنا عشر ميلا ، ثم الى فلامى الغابة خمسة عشر ميلا ، ثم الى حصن اليهود اثنا عشر ميلا ، ثم الى سندابرى ــ سنتابريس Santabaris ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مرج حمر الملك في درولية ــ دوريليوم Dorylaeum خمسة وثلاثون ميلا ، ثم الى حصن غروبلي خمسة عشر ميلا ، ثم الى كنائس الملك ــ وهي Basilica of Anno Comnena ثلاثة أميال ، ثم الى التلول خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى الأكوار خمسة عشر ميلا ، ثم الى ملاجنة خمسة عشر ميلا ــ وملاجنة هي Malagina ثم الى اصطبل الملك خمسة أميال ، ثم الى حصن الغبراء ــ وهي كيبوتس Kibotos ــ ثلاثون ميلا ، ثم الى الخليج ــ وهو بوسفور

القسطنطينية Bosporus ــ أربعة وعشرون ميلا ، ونيقية بازاء الغبراء (أي جنوب الغبراء) [٨] .

وهذا هو مايطلق عليه الدرب ، واذا أطلق هذا اللفظ أريد به مابين طرسوس وبلاد الروم لأنه مضيق كالدرب ، واياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكى صـاحبي لمـا رأى الدرب دونـه
وأيقـن أنـا لاحقـان بقَيصرا

فقلـت لـه لا تبـك عينـك انمـا
نحـاول ملـكاً أو نمـوت فنُعذرا[٩]

ولجبـال طورس وأنتى طورس فروع يذكر قسماً منها البلـدانيون المسلمون بأسماء مختلفة ، وهي عبارة عن فروع من طورس وأنتى طورس .

٢ ــ الأنهـار :

أهم أنهار بلاد الروم نهران هما : سيحان وجيحان ، وقد أطلق المسلمون على نهر (سارس Sarus) اسم نهر سيحان ، وأطلقوا على نهر (بيرامس) اسم نهر جيحان ، وكانا حداً مائياً بين بلاد المسلمين وبلاد الروم .

ومنابع هذين النهرين في المرتفعات شمال ارمينية الصغرى ، وكان نهر جيحان الذي كان يقارب نهر الفرات في الكبر ، وتسميه العامة : جهان ، يسير من الشمال الى الجنوب بين جبال في حدود الروم ، حتى يمر بالمصيصة من

---

(٨) المسالك والممالك لابن خرداذبة (١٠٠ و ١١٠ و ١١٣) وقد جاء في (١٠٢ ــ ١٠٣) وصف طرق تختلف بعض الشيء عن هذا الطريق ، وانظر كتاب بلدان الخلافة الشرقية (١٦٦ ــ ١٦٧) .

(٩) معجم البلدان (٤ / ٤٨) .

شماليها ، وجريانه عندها من الشرق الى الغرب ، ويتجاوز المصيصة مغرباً ويصب بالقرب منها في بحر الروم [١٠] بمدينة تعرف بكفربيا بأزاء المصيصة ، وعليه عند هذه المدينة قنطرة عجيبة رومية من حجارة قديمة عريضة ، فيدخل منها الى المصيصة وينفذ منها فيمتد أربعة أميال ، ثم يصب في بحر الروم[١١].

أما نهر سيحان الذي يمر ببلاد الروم ، فيجرى من الشمال الى الجنوب غربي مجرى جيحان ، وهو دون جيحان قدراً فهو أصغر منه ، ويمر على سور أذنة من شرقيها ويتجاوز أذنة ، وهي دون مرحلة عن المصيصة ، ويلتقى مع جيحان تحت أذنة والمصيصة ، ويصيران نهراً واحداً ، ويصبان في بحر الروم[١٢] . ونهر سيحان هو الذي ذكره المتنبي في مدح سيف الدولة فقال :

أخو غزوات ما تُغِبُّ سيوفُه   رقابَهم الا وسَيْحانُ جامدُ

يريد أنه لا يترك الغزو الا في شدة البرد اذا جمد سيحان [١٣]

ونهر حماة ، ويسمى نهر : الأرنط ، والنهر المقلوب لجريه من الجنوب الى الشمال ، ويسمى أيضاً : العاصي ، لأن غالب الأنهر تسقى الارض بغير دواليب ولا نواعير بل بأنفسها تسقى الارض ، ونهر حماة لا يسقى الا بنواعير تنزع منه الماء . وهو يجرى بكليته من الجنوب الى الشمال ، وأوله نهر صغير من ضيعة قريبة من بعلبك تسمى : (الراس) في الشمال من بعلبك على نحو مرحلة عنها ، ويسير من الراس شمالا حتى يصل الى مكان يقال له : (قائم

(١٠) تقويم البلدان (٥٠) .
(١١) معجم البلدان (٢ / ١٨٦) .
(١٢) تقويم البلدان (٥٠) .
(١٣) معجم البلدان (٥ / ١٩١) .

الهرمل) بين جوسية [١٤] والراس ويمر بوادٍ هناك ، وينبع من هناك غالب النهر المذكور من موضع يقال له : (مغارة الراهب) . ويسير شمالا حتى يتجاوز جوسية ويصب في بحيرة : قدس[١٥] ، في غربي حمص ، ويخرج من البحيرة ويتجاوز حمص الى : الرستن [١٦] ، الى حماة ، ثم الى شيزر[١٧] ثم الى بحيرة : أفامية . ثم يخرج من بحيرة أفامية ويمر على : دركوش ، الى جسر الحديد ، وذلك جميعه في شرقي جبل اللكام .

فاذا وصل الى جسر الحديد ، يتقطع الجبل المذكور هناك ، ويستدير النهر المذكور ، ويرجع ويسير جنوباً ومغرباً ، ويمر على سور أنطاكية حتى يصب في بحر الروم عند السويدية [١٨] .

ويصب في نهر الأرنط المذكور عدة أنهر ، منها نهر منبعه من تحت أفامية ، يسير مغرباً الى بحيرة أفامية ، ويختلط بنهر حماة . ومنها نهر في شمالي أفامية على نحو ميلين ويعرف بالنهر الكبير ، يسير مداً قريباً ويصب أيضاً في بحيرة أفامية ، ويخرجان منها مع نهر الأرنط . ومنها النهر الاسود ، يجرى من الشمال ، ويمر تحت دربساك[١٩] . ونهر يغرا [٢٠] ، ومنبعه قريب يغرا ،

---

(١٤) جوسية : قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق انظر معجم البلدان (٢ / ١٧١) .

(١٥) قدس : بلد قرب حمص ، تضاف بحيرة قدس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٨٠ ـ ٨١) و (٧ / ٣٥) .

(١٦) الرستن : بليدة قديمة بين حمص وحماة ، انظر معجم البلدان (٤ / ٢٤٩) .

(١٧) شيزر : قلعة قرب المعرة ، انظر معجم البلدان (٥ / ٣٢٤) .

(١٨) السويدية : شمالي اللاذقية ، وهي ميناء انطاكية ، انظر تقويم البلدان (٢٩) .

(١٩) دربساك : بلدة من جند قنسرين ، ذات قلعة مرتفعة ، انظر تقويم البلدان (٢٦٠ ـ ٢٦١) .

(٢٠) يغرا : قرية على نهر باسمها بالقرب من بحيرة أفامية ، انظر تقويم البلدان (٤٢) .

ويصب في النهر الاسود المذكور ، ويصبان في بحيرة أنطاكية ، أيضا . ونهر عفرين [٢١] ، يأتي من بلاد الروم ، ويمر الراوندان [٢٢] الى الجومة[٢٣] ، ويمر في الجومة ويتجاوزها الى العمق [٢٤] ، ويختلط بالنهر الاسود ، وتصير هذه الانهر الثلاثة ، أعني النهر الاسود ونهر يغرا ونهر عفرين نهراً واحداً ، ويصب في بحيرة أنطاكية ، ويخرج منها ويصب في نهر عاصي حماة فوق أنطاكية بالقرب منها [٢٥] .

أما نهر أنقرة فيسقي مروجها وضياعها ، ويصب في بحر الروم ، وجريانه من الجنوب الى وسط الشمال [٢٦] .

أما نهر هرقلة ، فينزل من جبال العلايا[٢٧] الى جهة سنوب[٢٨] ، وهرقلة على شرقي هذا النهر قرب البحر [٢٩] .

والبردان نهر بثغر طرسوس ، مجيئه من بلاد الروم ، ويصب في بحر الروم على ستة أميال من طرسوس : « ولا أعرف بالشام موضعاً أو نهراً يقال

(٢١) عفرين : اسم بلد على نهر باسمها ، انظر معجم البلدان (٦ / ١٨٩) ، ويبدو انها قريبة من قنسرين وحلب .
(٢٢) الراوندان : قلعة حصينة وكورة طيبة معشبة مشجرة ، من نواحي حلب ، انظر معجم البلدان (٤ / ٢١٤) .
(٢٣) الجومة : من نواحي حلب ، انظر معجم البلدان (٣ / ١٧٦) .
(٢٤) العمق : كورة بنواحي حلب ، انظر معجم البلدان (٦ / ٢٢٤) .
(٢٥) المعلومات الخاصة بنهر حماة من : تقويم البلدان (٤٩ ــ ٥٠) .
(٢٦) تقويم البلدان (٥٠ ــ ٥١) .
(٢٧) علايا : بلدة محدثة صغيرة في الجنوب من انطاليا على بحر الروم ، انظر تقويم البلدان (٣٨٠ ــ ٣٨١) .
(٢٨) سنوب : بلدة بالقرب من القسطنطينية .
(٢٩) تقويم البلدان (٥١) .

له : البردان غيره » • والبردان أيضاً نهر يسقي بســاتين مرعش وضياعها ، مخرجه من أصل جبل مرعش ، ويسمى هذا الجبل : الأقرع[٣٠] ، ويصب في بحر الروم ، وهو نهر كوردس القديم •

وعلى مرحلة طرسوس ، نهر كان يؤلف حداً مائياً في الازمنة الاولى ، وهو نهر (لموس Lamos) ، سماه العرب نهر : اللامس ، وعليه يكون الفداء اذا فودي بين المسلمين والروم [٣١] •

ونهر الفرات الذي ينبع من شمالي مدينة أرزن الروم وشرقيها ، وأرزن في آخر حد بلاد الروم من جهة الشرق ، ثم يأخذ النهــر الى قرب ملطية ، ثم يأخذ الى سـميساط ، ثم يأخذ مشرقاً ويتجاوز قلعة الروم ، وهي حصن منيع على جنوبي الفرات وغربيها ، ويمر الفرات مع جانب الحصن من شماليه وشرقيه ، ثم يدخل الفرات بلاد الشام ، ومنه الى العراق [٣٢] ، وقد ذكرنا الجزء الذي يمر ببلاد الروم فقط من هذا النهر •

أما نهر دجلة ، فينبع من جبال شهرزور فوق آمد على حدود ارمينية ، ويمر بجبال السلسلة ، ثم بمدينة آمد ومدينة ميافارقين في ديــار بكر اقليم الجزيرة قبل أن يصل الى مدينة الموصل •

وقد ذكرنا الجزء الذي يمر ببلاد الروم والجزيرة فقط من هذا النهر ، لان هذا ما نحتاج اليه في هذا المكان [٣٣] •

وتكثر العيون في بلاد الروم ، لتساقط الثلوج شتاء ، وذوبانها في الربيع

---

(٣٠) معجم البلدان (٢ / ١١٥) •
(٣١) بلدان الخلافة الشرقية (١٦٥) •
(٣٢) انظر التفاصيل في : تقويم البلدان (٥١ ـ ٥٢) •
(٣٣) انظر التفاصيل في : تقويم البلدان (٥٣ ـ ٥٧) •

والصيف ، فترفد العيون والانهار بهذه المياه •

وعلى كل حال ، فان المياه متوفرة في جميع أصقاع بلاد الروم •

الموارد الاقتصادية

١ ـ مجمل الزراعة والصناعة :

بلاد الروم عموما غنية في انتاجها الزراعي ومواردها الطبيعية ، يرويها بضعة أنهر كبيرة وصغيرة ، وعيون كثيرة جداً ، والامطار ومياه الثلوج •

وقد ذكر قسم من البلدانيين المسلمين بعض ما يتيسر في تلك البلاد من موارد اقتصادية ينعم بها سكانها المحليون ، ويصدرون ما يفيض منهم على حاجاتهم المعيشية •

فالعلايا كثيرة المياه والبساتين[٣٤] ، وأنطالية بداخل البلد وخارجه المياه جارية ، ولها بساتين كثيرة من الحمضيات وأنواع الفواكه [٣٥] • وأنطاكية موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير ، تزرع الحنطة والشعير تحت شجر الزيتون ، قراها متصلة ورياضها مزدهرة ومياهها متفجرة[٣٦] • ومدينة آق شهر (أقشار) من انزه المدن ، وبها بساتين كثيرة وفواكه مفضلة [٣٧] وأماسية لها بساتين ونهر كبير ونواعير تسقى بها ، وهي مشهورة بالحسن وكثرة المياه والكروم والبساتين[٣٨] • وأذنة في

(٣٤) تقويم البلدان (٣٨١) •
(٣٥) تقويم البلدان (٣٨١) •
(٣٦) معجم البلدان (١ / ٣٥٤) •
(٣٧) تقويم البلدان (٣٨٣) •
(٣٨) تقويم البلدان (٣٨٤) •

مرج وقرى متدانية جداً وعمارات كثيرة ، وهي على نهر سيحان[٣٩] . ومدينة توقات لها بساتين وأشجار وفواكه جيدة[٤٠] . ومنطقة (سيواس Sebastia مشهورة بثياب الصوف التي تحمل منها ، وهي ذات هواء بارد يكثر فيها القطن والقمح[٤١] . وعمورية لها دخل وافر ، ولها رحى تغل مالاً[٤٢] ، وبها بساتين قليلة ، ولها أعين ونهر[٤٣] . اما قيسارية فبلدة كبيرة ، ذات أشجار وبساتين وفواكه وعيون تدخل اليها[٤٤] . ومدينة قونية لها جبل في جنوبيها ، ينزل منها نهر ويدخل الى المدينة من غربيها ، ولها بساتين من جهة الجبل ، ونهرها يسقي بساتينها ثم تصير عنه بحيرة ومروج ، والفواكه بها كثيرة ، وهناك المشمش المعروف بقمر الدين[٤٥] الذي يصدر الى العراق والجزيرة وبلاد الشام ، وينمو في مزارعها القطن والقمح[٤٦] . ومدينة المصيصة على شاطىء نهر جيحان ، وبها بساتين كثيرة يسقيها هذا النهر[٤٧] . ومدينة ملطية ذات أشجار وفواكه وأنهار ، ويحتف بها جبال كثيرة الجوز وسائر الثمار مباحة لا مالك بها ، ولها نهر صغير عليه بساتين كثيرة[٤٨] . ومياه بلاد الروم كثيرة غزيرة[٤٩] ، والارض التي بين القسطنطينية وأنطاكية مأهولة مسكونة لاتنقطع

(٣٩) معجم البلدان (١ / ١٦٦) .
(٤٠) تقويم البلدان (٣٨٥) .
(٤١) بلدان الخلافة الشرقية (١٧٩ ــ ١٨٠) نقلا عن المستوفي .
(٤٢) معجم البلدان (٦ / ٢٢٧) .
(٤٣) تقويم البلدان (٣٨١) .
(٤٤) تقويم البلدان (٣٨٣) .
(٤٥) تقويم البلدان (٣٨٣) .
(٤٦) بلدان الخلافة الشرقية (١٨١) .
(٤٧) معجم البلدان (٨ / ٨٠) .
(٤٨) تقويم البلدان (٣٨٥) .
(٤٩) صورة الارض (١٨١) .

سابلتها من نواحي أنطاكية ورستاقها ، وهو رستاق كثير الخير والمير الى خليج القسطنطينية [٥٠] ، وما يقال عن اقليم أنطاكية يقال عن سائر أقاليم بلاد الروم .

وما ذكر عن خيرات المدن ، يشمل أقاليم تلك المدن أيضاً وقراها ، فهذه البلاد زراعية بالدرجة الاولى ، وأرضها مزروعة أو مروج ومراعٍ للاغنام والماشية والأبقار والخيول والبغال والحمير .

وحاصلات البلاد الزراعية تتلخص في : القمح ، والشعير ، والعدس ، والحمص ، والباقلاء ، والبصل والثوم ، والقطن ، وأنواع الفواكه ، والحمضيات ، وأنواع المخضرات ، والزيتون ، والجوز ، واللوز ، والفستق ، والبندق ، والبلوط ، والكروم .

ويصنع فيها النبيذ ، وتربى بها دودة القز [٥١] ، والاغنام ، والمواشي ، والأبقار ، وتصدر الى بلاد الشام والجزيرة والعراق المواشي والاغنام والابقار والبغال .

أما الصناعة في البلاد ، فموجزها هي : أن المصيصة كانت تعمل بها الفراء التي تحمل الى الآفاق ، وربما بلغ ثمن الفرو ثلاثين ديناراً[٥٢] ، وكانت سيواس مشهورة بثياب الصوف التي تحمل منها [٥٣] ، وكانت تجلب السلع الى طرابزون من القسطنطينية ، وأخص هذه السلع : ثياب الكتان اليوناني ، وثياب الصوف والديباج ، والأكسية الرومية ، وكلها يجلب من الخليج أي

(٥٠) صورة الارض (١٨٢) .
(٥١) الجغرافية العمومية (١٨١) .
(٥٢) معجم البلدان (٨ / ٨٠) .
(٥٣) بلدان الخلافة الشرقية (١٦٨) نقلا عن : صورة الارض لابن حوقل .

البـسفور ، وكان في ملقونية يقطع الرحى لتلك البلاد من جبل تلك المدينة[٥٤].

٢ ـــ الزراعة :

كانت الارض أسلم أنواع الاستثمار المالي ، لأن الأرض شيء ثابت ، فوضع صاحب رأس المال ماله فيالارض، وكذلك فعلت الدولة، لأن الارض كانت أضمن موارد دخلها ، وكان الكيان المالي تبعاً لذلك ، يستند في الدولة البيزنطية على دعامة رئيسة هي ضريبة الارض التي كانت تجبى في كل مكان بشدة وقسوة وبدون لين أو رحمة •

وكانت ضريبة الارض تجمع على شكل جزء من محصـــول الارض ، لتموين الجيش والموظفين المدنيين ، وكان على الولايات أن تقدم من ضرائبها الجرايات التي لم يكن الامبراطور على استعداد لشرائها ، فكان يصدر مرسوم يسمى : (التفويض الالهي) تقدر فيه نفقات الامبراطورية ، ومقدار ما ينبغي على الفرد دفعه في العام التالي •

وقد قسمت الارض الى درجات ، روعي في تقسيمها قدرة تربتها على على الانتاج : فهناك الصحراء التي لا يبللها القطر فتعجز عن الانبات ، وهناك الأرض التي يمكن اســتصلاحها ، وهناك أرض تغذيها الأنهر مباشــرة أو بالنواعير ، وهناك أرض تغمرها المياه فيتعذر النمو على البــذور • وتتوقف درجات الانتاج الزراعي على هذا التصنيف الواضح للارض ، وكانت الدولة تفرض حقوقها على المزارعين بعد أن تصنف وتسجل هذه الاختلافات في نوعية الارض ، وتضع خطاً بيانياً يحدد طاقة كل منهم • فمثلا كانت الوحدة المكونة من خمسة أفدنة من الكروم ، تساوي عشرين فداناً من الارض المحروثــة ،

(٥٤) معجم البلدان (٨ / ١٥٢) •

وتساوي خمساً وعشرين ومائتي شجرة من الزيتون اذا كانت الارض تلالا • وكانت هناك ثلاثة أنواع من الارض المزروعة ، جعلت مساحة الواحدة منها عشرين فداناً وأربعين فداناً وستين فدانا ، بالنسبة لانتاجها الزراعي كل سنة •

وهكذا قسمت الأرض المنتجة الى وحدات ضرائبية ، تقدر على الأغلب بناء على شهادة أصحاب الأرض في مدد منظمة بين حين وآخر ، وكانت هذه الضريبة تجبى على الأرض المفلوحة •

ومن الواضح أن نظاما كهذا النظام ، لم يكن ليستطاع تطبيقه بنجاح الا اذا احتفظ بالتعادل بين وحدات الأرض ووحدات العمل التي كانت مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، وكانت المحافظة على هذا التعادل مصدر قلق للمالك والحاكم البيزنطي ، وكان من نتائج هذا القلق الدائم تصميم الحكومة على ربط الفلاح الحر (معمر الأرض Colonus) بالأرض التي يحرثها •

وعلى ذلك ، حين يقرر (التفويض الالهي) حاجة الامبراطورية من المال اللازم لادارتها في السنة المقبلة ، توزع هذه الكمية الضخمة من المال المطلوب على ألوية الامبراطورية ، ويقوم حاكم اللواء بتقسيمها بين الولايات التي ينقسم اليها لواؤه ، ثم يعهد لحاكم الولاية بتوزيع هذا الحمل بين بلديات الولاية ، ويعهد لأعضاء البلديات تقرير ماتدفعه كل من القرى الواقعة في نطاق بلدهم ، وأخيرا يقوم موظفو القرية بتقدير المبلغ الذي يخص كل وحدة ضريبة في نواحيهم •

وكان هناك ميل قوي خلال القرن الرابع للميلاد ، لاستبدال ما يعادل الضريبة العينية من المال بالضريبة العينية ، وانتهى الأمر بتعميم قبض الضريبة مالاً لاعيناً ، وجعل ذلك اجبارياً ، وأصبح (التفويض الالهي) يقرر الضريبة المالية المعادلة لها في نفس الوقت •

وكان الحاكم المطلق يضع نصب عينيه دائما ان يهيء لرعاياه بأي ثمن ، الوسيلة لزراعة الأرض وتوفير الأيدي العاملة لها . ولهذا كان رجال الدولة البيزنطية ينظرون الى ماكان يسد اليه الفلاحون الأحرار من العمل عند غيرهم بالتعاقد مع من يعطيهم أكبر أجر ممكن ، على أنه خطر اقتصادي ، فربطوا الفلاح بالأرض التي يشتغل عليها . وهكذا أصبحت الطريقة التي يعمر بها الناس الأرض تقوم على أساس تشريعي ، ذلك أن معمر الأرض كان شخصاً متميزاً عن العبد ، وكان يعتبر عاملاً حراً له الحق في أن يحوز أرضاً وأن يمتلكها ، الا أنه أصبح مجبراً على القيام بواجبه في زراعة قطعة معينة ثابتة له من أرض الدولة ، أو الأرض الداخلة في حدود أرض يمتلكها مالك كبير .

ولم يقف الأمر عند اجبار الناس على الاستقرار في قطع معينة من الأرض والزامهم بزراعتها ، بل ألزمت الجماعة بعد ذلك بضمان هذا الالتزام ، وأصبح مفروضا على هيئة كبراء كل بلد الذين كانوا يكونون مجلسها ، أن يلتزموا بسداد الضرائب المستحقة على البلد وما يحيط به من القرى في حالة ما اذا هرب أحد الملاك ولم يخلفه في القيام بالتزاماته أحد . وما دامت المدينة تتحمل هذه المسؤولية الاجماعية ، فقد أصبح من الضروري أن يوضع ضمان لذلك لصالح الخزانة ، فكونت مجالس جديدة لتحمل هذا العبء . وترينا سجلات ذلك العصر ، كيف كان هذا الحمل ثقيلا ، فبينما كان الغني يستطيع أن يرشو ليحصل على الاعفاء ، كان الفقير لايجد من يعينه حيثما وجه وجهه ، وليس أمامه الا القنوط والاستسلام أو الهرب بجلده . واذا هجر أرضه ، فان المال المقدر عليه ، يقع على كاهل الباقين في أرضهم . وهدد الخراب الطبقات المتوسطة ، وأخذ القروي والمزارع يبحث عمن يحميه من مطالب الدولة ، وكان المالك الكبير على استعداد للقيام بحمايته ، فتمكن بذلك من أن يحقق غاية في نفسه ، اذ أصبح ولياً للقرية يدين له أهلها بالولاء ، وأخذت هذه العلاقة

بينهم وبينه أشكالاً عديدة كان أشيعها أن يتنازل المزارع لذلك المالك الكبير عن أرضه ، ويصبح مزارعاً عنده •

وقد تميز القرنان الخامس والسادس للميلاد ، بنمو قوة الملاك الكبار ، وأصبح تاريخ الامبراطورية من وجهة الزراعة نزاعاً بين الدولة وهؤلاء الملاك الكبار • وشهد القرن السادس الميلادي جماعات من المواطنين يكونون عصابات مسلحة ، وكانت هذه العصابات تهديداً مباشراً للأمن في الولايات ، وكانت خصومات النبلاء الكبار صوراً للرعب المقيم ، وكانوا بعصاباتهم المنظمة يتحدون السلطات المدنية ، ولكن غزوات الصقالبة من الشمال ، وغزوات الفرس والعرب من الشرق والغرب ، استطاعت أن تكسر شوكتهم •

وحين استتب النظام ثانية في عهد بيت هرقل ، كانت هناك فرصة للمالك الصغير ، الا أن الملاك الكبار ، بذلوا محاولات لتمكين سلطانهم على المزارعين الصغار •

وبالامكان التأمل في حياة المزارع القروي البيزنطي ، ولكن علينا أن نميز قبل كل شيء بين القرية الحرة والقرية المملوكة لواحد من كبار الملاك • كان الفلاحون في كلتا القريتين مرتبطين بالأرض التي يزرعونها ، الا أن الأرض في القرية المملوكة للسيد ، يكون مالكها هو المسئول أمام الدولة عن جميع الضرائب بالنيابة عن عبيده ممن ليس لهم الحق في امتلاك الأرض ، فهي دائماً تحت تصرف سيدهم • أما الأرض في القرية الحرة التي يسكنها المعمرون ، فتخص جماعة القرية أو المزارعين أنفسهم ، وكان هؤلاء أحراراً في امتلاك الأرض أو التصرف بها • واذا دخلنا قرية حرة ، لرأينا أرضها تشتمل على الكروم والبساتين التي كانت تزرع فيها الخضر ، وكذلك الأرض المفلوحة والمراعي • وكانت الكروم والبساتين تحاط بخنادق وسياجات شائكة تشدها

الأوتاد ، وكانت الماشية تتعرض للأذى اذا اقتحمتها • أما الأرض غير المفلوحة فلم تكن مسورة ، وكانت على الاغلب ملكاً للأفراد يستطيع المزارع أن يتصرف بها كما يشاء في حدود ملكية جماعته • وكانت المراعي تكون الأرض غـير الصالحة للزراعة ، كالأحراش التي لم تقطع أشجارها ، والأرض الوعرة ، وكانت هذه المراعي تقع في أطراف القرية بعيدة عن مركز الحياة فيها ، وكانت على الأغلب ملكاً للجماعة ، ثم يمتلكها المزارعون قطعة فقطعة ، ثم تنظف وتعد للزراعة ، ثم تقسم على المزارعين ، وبهذا تدخل قطع جديدة في ملكية الأفراد• وقد تكون الأحراش ملكاً للافراد ، فاذا أراد أحد المزارعين أن يزرع قطعة منها، طلب الى صاحبها أن يأذن له بزراعتها ، ويستطيع بذلك أن يستثمرها ويحتفظ لنفسه بغلتها ثلاث سنين تعود بعدها الى صاحبها ، ولكنه اذا زرعها بدون اذن، فقد الحق في المطالبة بمحصولها •

وكان رعاة الماشية يسوقونها في الصباح الى هذه الأحراش العامة لترعى، تصحبهم كلابهم القوية الشرهة ، حتى اذا اصطبغ الأفق بحمرة الشفق عادوا بها الى حظائرها • وكان كل خروف أو ثور يحمل جرساً حول عنقه لئلا يضل ، واذا تجرأ لص وقطع الجرس وتسبب عن ذلك ضلال الحيوان وضياعه ، ألزم بدفع تعويض مقابل تلك الخسارة •

وكانت دعامة ثروة جماعة القرية هو ما تملك من قطعان الماشية بأنواعها ، وكان الراعي يأخذ أجره على عمله ، فيعهد اليه المالك الصغير بثوره الخاص وخروفه فيرعاهما مع القطيع : فاذا شرد حيوان وأحدث ضرراً للأرض المزروعة أو الكروم ، لم يضع على الراعي أجره ، ولكن ألزم بتعويض الخسارة • وكانت الحيوانات المفترسة تحوم حول القرية ، كالذئاب التي كانت ترصد الخراف والحمير لتفترسها ، واذا هاجمت هذه الوحوش القطيع ليلاً ، فالويل كل

الويل للص الذي يتضح أنه سرق كلب الحراسة ، اذ كان يلزم بدفع قيمة الخسارة ، فيدفع تعويضات عن القطيع كله والكلب • وكان يسمح للماشية بعد حصاد الأرض أن ترعى بقايا الزرع ، الا أنه لم يكن يسمح لرجل أن يطلق ماشيته في أرضه الا اذا فرغ كل جيرانه من حصادهم •

أما مكانة المزارع ، فقد يكون صاحب حصة من الأرض ، ويستطيع في هذه الحالة أن يتصرف بها تصرفاً مطلقاً في حدود دائرة جماعته • وقد يكون مستأجراً للأرض ، وهو في هذه الحالة أحد اثنين : اما مزارع لمزرعة في حالة جيدة ، أو مستأجر لأرض لم تكن تزرع على شريطة أن يعيدها لصاحبها بعد أجل معين ، ففي الحالة الأولى يقوم المالك بتقديم المال الرئيس لاقامة مايلزم من المنشآت في المزرعة ، ولا تؤجر المزرعة في هذه الحالة الا لمدة قصيرة قد تكون سنة ، فيدفع المزارع للسيد أجراً باهظاً يبلغ نصف المحصول السنوي، وهو ما يقابل في حسابنا أكبر ايجار يمكن دفعه ، وعلى المؤجر في الحالة الثانية أن يقدم رأس المال ، أي أنه في واقع الأمر يقوم بانشاء مزرعة جديدة ، ويكون استئجاره للأرض على هذا اما للأبد أو لعدد كبير من السنين ، ويدفع عادة أجراً يساوي عشر المحصول • وربما كان يلزم بمقتضى شروط أخرى ، أن يؤدي لصاحب الأرض بعض الخدمات ، أو أن يؤدي اليه كميات من المحصول•

وكانت روابط القرابة في الجماعات القروية متينة جداً بطبيعتها ، واذا وجدنا فلاحين مشتركين في ملكية أرض ، فلابد أن نجد أنهما متصاهران في نفس الوقت غالباً • فاذا أراد أحدهما أن يبيع نصيبه كله كان لقريبه حق الشفعة اذا دفع ثمناً مساوياً لما يدفعه أي غريب عنهما ، وحتى اذا لم يكن المتجاورون أقرباء وكانوا شركاء ، تمتعوا بحق مشابه •

لكن حق المزارع الحر في التصرف لم يكن يخلو من خطر ، فقد كان

المالك الكبير دائم السعي لتوسيع ملكه ، فكان من السهل عليه أن يضطر المالك الصغير الحر الى التخلي عن أرضه لجاره القوي • وحاول التشريع الاصلاحي في القرن العاشر الميلادي أن يحرم على المالك الكبير حيازة أرض علاوة على أملاكه الأخرى في حدود أرض القرية ، سواء كان ذلك عن طريق الهبة ، أم لاعتبار آخر مهم ، وسواء أكان ذلك المالك سيداً مدنياً أم هيئة كنسية • ولكن هذا المنع لم يكن ليعيش طويلاً في هيئته هذه ، ولهذا عدلت القوانين ، وأخذ بالقاعدة التي تقول بأن انتقال الملكية لايصح الا بين ناس من نفس الطبقة الاجتماعية ، الفقير ينقل للفقير ، والغني للغني ، أي كل لمن هو من طبقته في كل حالة • وتداعت القاعدة القانونية لنقل الملكية نقلا مطلقا من كل قيد أمام ماكانت السياسة تفرضه على رجال الدولة من حماية الضعيف ، وظل مركز المالك الكبير القوي بالنسبة للمزارع الصغير الضعيف ، في الامبراطورية البيزنطية الشرقية وسلامته يعتبران القاعدة التي يجب أن تنحني أمامها سائر النظريات القانونية ، وبقي المجتمع مقسماً الى طبقات بعضها فوق بعض ، وكان ذلك دعامة بناء المجتمع في القرن الرابع الميلادي ، كما كان دعامته في القرن العاشر الميلادي أيضاً (٥٥) •

٣ ــ التجارة والصناعة :

كانت التجارة مع الشرق تحتل المكان الأول من الأهمية بالنسبة لايطاليا في عصور الامبراطورية الاولى ، فقد كانت تستورد من الشرق أسباب الترف التي كانت قد أصبحت من ضروريات الغرب • وكانت التجارة مع الشرق

(٥٥) مقتبس من الفصل السادس ، بعنوان : ملكية الارض والضرائب ، كتاب : الامبراطورية البيزنطية ــ نورمان بينز ــ تعريف الدكتور حسين مؤنس ومحمود يوسف زائد ــ ط ٢ ــ القاهرة ــ ١٩٥٧ • ص (١٢٩ ــ ١٤٦) •

لاتزال تستنزف معظم نشاط تجار الروم ، بعد أن نقلت العاصمة من رومة الى القسطنطينية . وكانت الدولة بدورها تبدي اهتماما بالتجارة ، اذ أن كنوز الهند والصين التي كانت الدولة تغدقها على أمراء القبائل المتبربرة في الغرب ، كانت كافية للابقاء على سيادتها الامبراطورية حتى في النواحي التي لم تكن جيوشها قادرة على السيطرة عليها .

وكانت هناك ثلاثة طرق يمكن للمنتجات الشرقية أن تصل عن سبيلها من الشرق الأقصى الى التاجر الرومي : كان أقصرها يعبر واحات بلاد الصغد (سمرقند وبخارى) مخترقاً فارس ، ومن ثم الى حدود الامبراطورية البيزنطية. والثاني يخترق المحيط الهندي الى البحر الأحمر ، والثالث وهو طريق أكثر صعوبة ، يمتد من وسط آسيا الى بحر الخزر ، ومن ثم الى البحر الأسود بعيداً عن دولة فارس . وقد ازداد الاقبال على الحرير بصورة مضطردة مع زيادة أسباب الترف ، وأصبح ارتداء الثياب الحريرية المصنوعة من الحرير الخالص في هذا العصر مألوفاً في الحياة البيتية ، وأخذت الكنيسة أيضاً ترحب بهدايا من هذه المادة الثمينة للألبسة الكهنوتية والستر والأغطية ، ولتزيين المذابح ــ بعد أن كانت أول الأمر ترفض استخدام الحرير للاغراض الدينية ، بينما احتكرت الدولة صنع أشكال معينة من ثياب الحرير كانت تلبس في مراسم البلاط . وكانت الدولة على كل حال تعتمد على القوافل التي تقطع فارس في امدادها بهذه المادة الجديدة . وقد لحق بتجارة الروم ضرر كبير من جراء عرقلة المواصلات ورفع ثمن المادة الحريرية الخام ، وكنتيجة لتحميل البضائع المستوردة ضرائب كمركية باهظة قبل أن تجتاز الحدود الى بلاد الروم ، وبسبب الحروب البيزنطية الفارسية .

ومنذ القرن الخامس الميلادي ، أخذت الدولة تتدخل في التجارة ،

فقصرت السماح بشراء الحرير على وكلاء الدولة في الحدود ، لكي لايكـون لها منافس ، ومن ثم يباع الى الأفراد بالسعر الجاري بعدئذ .

وجلبت شرانق دود القز الى بلاد الروم في أواسـط القرن السـادس الميلادي ، وبدأت أشجار التوت تزرع ، وأخذت الامبراطورية البيزنطية تنتج ما يلزمها من الحرير ، وظلت الدولة تحافظ على احتكارها لصناعة الحريـر باهتمام ، وتستخدم ألوف العمال في ذلك .

وفي خلال النصف الأخير من القرن السادس الميلادي فتح طريق التجارة الشمالي بعد انقطاعه ، وكانت موانىء القرم تاجر مع الهون وجنوب روسيا ، فتجلب الجواهر وتحف الصناعة الرومية الفاخرة وتستبدل بها الجلود والعبيد من الشمال ، بينما كان أهل قبائل القوقاز يبيعون الجلد والفرو للحصول على القمح والملح والخمر .

وكان طريق التجارة الجنوبي أهم من ذلك بكثير ، حيث تمر التجـارة الهندية والصينية والحبشية بالبحر الأحمر ، وكانت سيلان أهم مركز تجاري في حينه ، يلتقي على أرضها تجار الشرقين الأقصى والأدنى وتجـار الهنـد والحبشة والصين . كما كان للروم تجارة مع الروس ، واستطاع الروس دخول القسطنطينية على شريطة أن يكون دخولهم من بوابة واحدة غير مسلحين ، وألا يدخل أكثر من خمسين منهم في المرة الواحدة ، وهناك كانوا يستطيعون قضاء الصيف على ألا يطول مكثهم عن ذلك . وكانت الحكومة البيزنطيـة تهيىء المسكن والطعام والحمامات للتجار الروس طول مدة زيارتهم دون مقابل، وكانت تختص رسل أمير (كييف) الروسية التجاريين بمنح خاصة ، فلم تكن تحصل من التجار الروس على ضرائب كمركية . وكانت التجارة جميعها تقريباً تجري على أساس المقايضة ، فكان الفراء الروسي والشمع والعبيد تقـايض

بالخمور اليونانية والفواكه والأقمشة الحريرية . وكانت الدولة البيزنطية تجهز التجار عند رجوعهم بالمؤن اللازمة لهم أثناء رحلتهم ، كما كانت تمنحهم أدوات لسفنهم كالمراسي والحبال الضخمة والصغيرة والأشرعة ، مما كانوا بحاجة اليها لاصلاح سفنهم وادامتها .

وفي القرن العاشر الميلادي ، أصدرت الدولة البيزنطية مجموعة القوانين لنقابات القسطنطينية التجارية . وأبرز مواد تلك القوانين ، تلك التي تنص على منح الحماية للمستهلك والمنتج على السواء ، فكانت الدولة تحرم على التجار جمع البضائع من السوق بقصد رفع الثمن والانتفاع من ذلك ، وكذلك كان من المحرم شراء البضائع جملة والكسب من وراء بيعها تفاريق ، فكان يجب ــ في حدود الامكان ــ أن يشرى كل شيء ويباع دون تدخل الوسطاء. ووضعت مادة تحفظ للعامل أجره الذي يستحقه ، وتكبح جشع الرأسماليين ، وتمنع احتكار أقلية غنية لصناعة ما . وكان المشتغلون بكل حرفة من الحرف يجتمعون في نقابة خاصة بهم ، وكان الجمع بين عضوية نقابتين في وقت واحد محرماً . وفي الحالات التي تمس مصلحة الدولة ، كحالة التموين مثلاً ، نجد أن القواعد التي كان أعضاء النقابة الخاصة بذلك الموضوع خاضعين لها ، مفصلة تفصيلاً خاصاً ، فكانت الحكومة تقرر الثمن التي تشترى به المواد الخام وسعر بيع المأكولات ، ويظهر أنه كان في استطاعة الدولة أن تطلب بعض الخدمات من النقابات دون مقابل ، وربما كان هذا لتقليد يوناني قديم ، كانت الدولة تفرض بموجبه على مواطنيها الأغنياء أن يتطوعوا للقيام بخدمات لها . وربما كان تعيين رؤساء النقابات يتوقف في كل حالة على موافقة محافظ المدينة ، بينما كانت الدولة تشترط لكي تسهل عليها مراقبة كل المبيعات أن تكون العمليات علنية ، وكان من المحتم أن تتم هذه العمليات في أماكن معينة محددة لكل حرفة . وكان للنقابة وحدها أن تشتري المواد ثم توزعها على

أعضائها ، وكانت تلك الصفقات التي يقوم بها موظفو النقابات لاتتم الا في مواضع معينة . وكان انتهاك حرمة هذه النظم يعرض مرتكبها للعقاب بالفصل من النقابة ومصادرة أملاكه ، أو بتغريمه مالاً ، أو بجلده وقص شعر رأسه ولحيته ، واذا كانت الحالة أكثر خطورة ينفى أو تقطع يده . وكان على التجار الأجانب حال وصولهم العاصمة ، أن يخطروا السلطات الحكومية ، ولم يكن باستطاعتهم أن يمكثوا في العاصمة أكثر من ثلاثة أشهر الا بموجب اتفاق خاص . واذا انتهت هذه المدة دون أن يبيعوا بضائعهم ، قامت الدولة بوضع الترتيبات لبيعها . وكان كل ما يشترونه من البلدة نفسها خاضعاً لرقابة دقيقة، ولم يكن يسمح لهم أن يحملوا معهم شيئاً من الأمتعة التي كان تصديرها محرماً كالمواد الحريرية المتميزة . وكانت الحكومة تكشف عن كل البضائع كشفاً دقيقاً ، فاذا أبيح بعدئذ تصدير بضاعة ما ، طبعت بخاتم الدولة .

غير أن التجارة البيزنطية اضمحلت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد ، لأن الدولة اضطرت الى أن تمنح مدينة البندقية امتيازات شديدة الخطر ، في مقابل الحصول على معاونتها ، وذلك بعد أن أخفقت في الاحتفاظ بأسطولها . ولاشك في أن هناك أسباباً عدة لاضمحلال التجارة البيزنطية ، وحسبنا أن نذكر سبباً يظهر أنه قد لعب دوراً مهماً ، وهو : لم يكن أغنياء الروم على استعداد لأن يجازفوا برؤوس أموالهم في تجارة تذهب الى ما وراء البحار ، بل كانوا يفضلون استثمار أموالهم في الأرض ، لأن الاخطار البحرية كانت في الواقع عظيمة : أخطار شبوب النار في السفن ، كما كان هناك ناس كثيرون يتربصون بالسفن على الشواطىء لأغراقها ، وكانت هناك أخطار لصوص البر وقرصان البحر . وكانت السفن تتعرض لما يسمى بالقصاص ، وذلك أن دولة من الدول تمنح لرعاياها ، الذين أنزل بهم حيف من دولة أخرى، الحق في أن ينتقموا لأنفسهم بمهاجمة كل سفينة تابعة للدولة التي اعتدى

أهلها على رعاياها . وهناك خطر الوقوع في يد القرصان المسيحيين المتدينين ، الذين يكسبون عن هذا الطريق المال الذي يعينهم على الخروج للحج الى بيت المقدس .

ومن هنا ، كانت السفن تسير جماعات في قوافل لتبادل المساعدة ، وكانت تحمل رجالاً مسلحين للدفاع عنها .

لهذا لم يكن أغنياء الروم مستعدين للمجازفة بأموالهم في مخاطر التجارة البحرية ، فكانوا يستغلون أموالهم في شراء الأرض وتثميرها ، فاضمحلت تجارة الروم ، وتفوقت عليها تجارة البندقية فواقاً بعيداً (٥٦) .

أما خلال القرنين التاسع والعاشر للميلاد ، فكان الصانع منهمكاً في أشغاله ميسورا ، فدولة الروم لم تعرف عهداً في تاريخها زهت فيه الصناعة والتجارة زهوهما في هذين القرنين . ولم تكن القسطنطينية في أي وقت من أوقاتها أكثر نتاجاً وأوفر ربحاً ، وأصبحت بوفرة مالها وحذق صناعها أم المال والذهب والفن والعجائب للعالم أجمع ، وقصدها أمهر الصناع وأطمع التجار من سواحل البلطيق حتى الأسود والأدرياتيكي ، ومن ارمينية والقوقاز حتى اسبانيا والبرتغال ، وتمنى بذخها وثروتها أمراء الاقطاع شرقاً وغرباً .

فعلاوة على البقالين واللحامين والخبازين والبنائين والنحاتين والرخامين والنجارين والحدادين والخياطين والرسامين ، كان هناك طبقة من التجار والصناع يعنون بنسج الحرير وصبغه وتزيينه بالرسوم وبالفضة والذهب ، وهؤلاء أدهشوا العالم بدقة صنعهم ومهارتهم ، فجمعوا أموالا طائلة ، وجعلوا من القسطنطينية قبلة أنظار أهل البذخ والترف في الشرق والغرب معاً . كما

(٥٦) مقتبس من الفصل الثالث عشر : التجارة من كتاب الامبراطورية البيزنطية .

أن صناعة الروائح العطرية لم تقل شأناً عن صناعة الحرير .

وشجعت الحكومة هذه الصناعات وأخفت أسرارها ، ونظمت أمورها ، ثم حمت هذه الصناعات من مزاحمة الاجانب، فحددت الاستيراد أو منعته[٥٧].

لقد كانت تجارة الروم وصناعتهم في تقدم تدريجي حتى نهاية القرن العاشر الميلادي ، حيث بلغت أوج تقدمها ، ثم اضمحلت بعد ذلك خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلادي ، فتأخرت وتقدم عليها غيرها من الأمم ، كما ذكرنا ذلك .

تاريخ بلاد الروم قبل الفتح الاسلامي

وفي ايامه الاولى

١ ـ مولد الامبراطورية البيزنطية :

الروم عند العرب قبل الاسلام وبعده هم الرومان وخلفاؤهم البيزنطيون، والبيزنطيون عند أنفسهم روم ، أي رومان . وعاصمتهم : (رومة الجديدة) أي القسطنطينية ، ولايزال الروم الأرثوذكس يدعون القسطنطينية مركز البطريرك المسكوني حتى يومنا هذا : (رومة الجديدة) .

واللفظ : روم في نقوش الصفا اسم بلاد واسم شعب ، وورد اسم الروم في القرآن الكريم في : (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . في أدنى الأرْضِ وهُمْ من بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)[٥٨] . في آية واحدة ، مرة واحدة فقط ،

---

(٥٧) الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ـ الدكتور أسد رستم ـ ص (٢ / ٩٦ ـ ٩٧) ـ بيروت ـ ١٩٥٦ .

(٥٨) الآيات الكريمة من سورة الروم (٣٠ : ١ ـ ٣) .

وحملت السورة التي جاءت فيها تلك الآية الكريمة اسم : سورة الروم ، وهي من السور المكية [٥٩] .

وكانت رومة ، عاصمة الروم الاولى ، ولكنها تقهقرت لأسباب كثيرة نذكر أهمها بايجاز شديد .

فقد كان من جراء التوسع العسكري الروماني ، أن تعاظم كسب قادة الجيش وضباطه وحكام الولايات وكبار الموظفين ، فعادوا الى أوطانهم متمتعين بجميع ضروب التنعم والترف ، مشبعين بغطرسة من ذاق لذة السلطة المطلقة ، بعيداً عن وازع الشريعة الرومانية وقيود النظم الجمهورية .

وتهافت الأغنياء والكبراء على اقتناء المزارع الواسعة المترامية الأطراف، وحشروا فيها ما ملكوا من أرقاء . ولم يقو المزارع الصغير على مزاحمة جاره المزارع الكبير ، فضم أرضه الصغيرة الى أرض جاره الكبيرة ، وربط نفسه بتلك الارض الى الأبد . ومع أن هذا النظام الاقطاعي لم يجعل من المزارع الصغير الذي لا أرض له رقيقاً لسيده ، فانه فقد حريته في أن يذهب حيث يشاء . وكانت حياة الرقيق في هذه المزارع الكبيرة شاقة تعسة ، وكان يكوى بمياسم ليبقى الوسم علامة يعرف بها عند الفرار ، فنفر الرقيق من صحبة سيده، وانقبضت نفسه عن العمل له باخلاص وأمانة . وتضاءلت على الأيام حقول القمح وبساتين الزيتون وكروم العنب ، وبار قسم من المزارع وترك لينبت فيه العشب والدغل . واعتمدت رومة على قمح مصر وحبوبها لتغذية أبنائها وأبناء المدن الايطالية الاخرى ، وقلت الأيدي العاملة لهجرة الفلاحين الى المدن ، فبارت الارض لهذا السبب أيضا ، وضعف الانتاج الزراعي .

(٥٩) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (٣٢٩) ـ محمد فؤاد عبدالباقي ـ القاهرة ـ ١٣٧٨ هـ .

وكان هناك عداء مزمن بين الفقراء والأغنياء . فثار الأرقاء أكثر من مرة على سادتهم ، وثفر المزارعون الصغار في ايطالية وغيرها وأحرقوا المزارع الكبيرة التي أنشأها كبار الملاكين . بيد أن الأرقاء لم ينظموا صفوفهم . ولم يكن لديهم في وقت من الأوقات برنامج سياسي معين يسعون لتحقيقه ، وجل ما بلغوا اليه أنهم كرهوا أسيادهم وثاروا في وجوههم وتمنوا زوال نعمتهم ، وذلك بعمليات متفرقة في غالب الأحيان .

وأدى توسع رومة في الشمال والجنوب والشرق والغرب ، الى توسع مماثل في أفق أبنائها العاملين في حقلي الصناعة والتجارة ، فخرجوا من ايطالية الى الولايات الجديدة يوظفون أموالهم فيها ، وقام من أبناء هذه الولايات نفسها ، ولاسيما الشرقية منها ، من شاطر هؤلاء علمهم وانتاجهم ، فنشطت الزراعة والصناعة والتجارة في الولايات . ومع الزمن ، فقدت ايطالية سيطرتها الاقتصادية التي كسبتها في حروب التوسع المتتالية ، وقل انتاجها الصناعي وتدنى ، فأصبح في مستهل القرن الثالث الميلادي قليلا ، فقل الدخل عموماً وقل دخل الدولة ، لتأخر الصناعة والتجارة وانحسار دخلها ومواردها وواراداتها .

وكانت الخدمة العسكرية في أوائل عهد رومة محصورة في المواطنين الرومانيين ، ولما جاء يوليوس قيصر منح حقوق المواطن الروماني بعض وجوه الولايات وأعيانها، وقضت ظروف الحرب والاستيلاء والتوسع بتكبير الجيش، فجندت رومة أبناء الولايات في وحدات مساعدة ، ثم تساهلت رومة مع كل من لمست فيه استعداداً لتفهمها والامتزاج بأبنائها ومنحته هذا الحق الكبير . وفي سنة (٢١٢م) أبيح هذا الحق لجميع سكان الامبراطورية ، فأصبح الجيش مؤلفاً من جميع عناصر حوض البحر الأبيض المتوسط ، مما أدى الى انحطاط الجيش الذي أصبح ضخماً في كميته هزيلا في كيفيته .

كما أن التوسع العسكري الكبير ، أدى الى تغيير آخر في الجيش ، فالحدود الشاسعة الطويلة ، والاعمال الحربية المتتابعة ، قضت بتطويل مدة الخدمة العسكرية • والانحطاط الاقتصادي اضطر الحكومة الرومانية الى أن تقطع جنود الحدود أرضا يحرثونها ، وأن تجيز لهم أن يتأهلوا ويقيموا في أكواخهم قرب الحدود ، فقضى الجنود حياتهم بأكملها في خدمة الجيش ، وأصبحوا طائفة عسكرية تعيش لنفسها لا جيشاً من الشعب يقوم بخدمة الدولة •

كما عجل كثيراً في انحطاط الجيش ، أن الجند أصبحوا يختارون من يرضون عنه ليصبح امبراطوراً ، ويعزلون من لا يرضون عنه ويعينوا مكانه غيره ، كما أمسى الامبراطور نفسه قليل المهابة والاحترام ، وهذا أدى الى انهيار الضبط والربط في الجيش ، ولا قيمة لجيش لا يتحلى بالضبط العالي والربط المتين •

وكان الامبراطور في بدء الامر وجيهاً رومانياً كبيراً خول سلطة عسكرية واسعة في ظروف حربية قاهرة ، وكانت هذه السلطة أو القيادة تنتهي بانتهاء الحرب • ثم جاء الامبراطورية بطولها وعرضها وتعددت مشاكلها ، فوكلت رومة القيادة الى رجل واحد طوال عمره • وبقيت سيادة الدولة الرومانية تظل هذا الامبراطور الفرد ومنها يستمد سلطته ، وبقي هو ممثل الجمهورية الاوحد ، واستحق لقب : (أوغوسطوس) أي قديس لأنه كان في نظر الرومانيين رمز آلهة رومة الحي • وانحصرت السلطة التشريعية بيد مجلس الشيوخ ، وكذلك ادارة الدولة وفرض الضرائب وجبايتها ، ولما كانت القوة العسكرية بيد الامبراطور ، كان من الطبيعي جداً أن يتطاول على حقوق مجلس الشيوخ في نطاق سلطته ، وأن تتدرج الدولة الرومانية الجمهورية في سلم الملكية •

وتبين أن الجيش بعد أن انفصل عن الشعب الروماني وأصبح خليطاً من كل من هب ودب ، بقي يمارس سلطة هائلة في انتقاء الامبراطور بالمشاركة مع مجلس الشيوخ ، ولكن هذه السلطة أصبحت غاشمة بعد انحطاط الجيش •

وتساقط الاباطرة واحداً بعد آخر قتلا بأيدي جنودهم أو بأيدي جنود أعدائهم ، وتكاثرت الحروب على الروم ، وتصاعدت الافكار الفلسفية التي فرقت الشعب دون جدوى •

وظهرت المسيحية ، فعانت ما عانت من اضطهاد الروم ، ويشير المؤرخون عادة الى عشرة اضطهادات بين سنة أربع وستين للميلاد الى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة الميلادية [٦٠] ، حيث كانت سنة البراءة التي تنفس فيها المسيحيون الصعداء •

فقد تنصر قسطنطين الكبير (٢٨٠ ــ ٣٣٧ م) سنة (٣١٢م) ، فظهرت رسوم مسيحية على مسكوكاته ، وجعل شارة الصليب على رايته ، واهتم بالنصارى واعتنى بهم ، وحرم التبشير باليهودية والدعاية لها سنة (٣١٥م) ، وأصبح حبر الأمة الأعظم يرعى جميع الاديان وبخاصة المسيحية ، ولكنه لا يكره أحداً على أن يذهب مذهبه ، ولكل من رعاياه أن يتبع الرأي الذي يراه •

وقضت ظروف قسطنطين السياسية والعسكرية ببقائه في الشرق أكثر من الغرب ، فعزم على انشاء عاصمة في الشرق تسهل الدفاع عن الولايات الغربية والشرقية ، ووقع اختياره على بيزنطة ، ولا نعلم بالضبط متى خطط قسطنطين عاصمته الجديدة ، ولكننا نعلم أن تدشينها جرى في الحادي عشر من أيار سنة (٣٣٠م) ، وسماها : رومة الجديدة ، ولكن الشعب أطلق عليها

---

(٦٠) الروم (٩ ــ ٢٣) ، حول التفاصيل •

اسم : القسطنطينية [٦١] •

٢ ـ الحياة الاجتماعية :

كانت الهوايات والنزعات في الامبراطورية البيزنطية الشرقية دينية ، وكانت الامور من سياسية واجتماعية تلبس ثوباً دينياً •

لقد كان البيزنطي يعيش في عالم تملاه وتسيطر عليه القوى الخفية ، فكانت عطلاته أعياداً دينية ، وألعابه في الملعب تستهل بالتراتيل الدينية ، وعقوده التجارية توسم عليها علامة الصليب أو تحتوي على ابتهال للثالوث المقدس • واذا أراد أن يستخير الله لم يفعل ذلك الا عن طريق الناسك أو عن طريق الرؤى الذي يتمثل فيها القديسون الأموات • وكان يتخذ من التمائم المقدسة تعاويذ له ، ويرى في الغبار المحتوي على قطرة عرق انحدرت من جسم قديس من الذين ماتوا على الأعمدة أنجح دواء عنده • وكانت حروبه صليبية مقدسة وامبراطوره خليفة لله في أرضه ، وكل حادثة مروعة في الطبيعة فهي اما نذير أو بشير ليثنيه أو يحفزه •

وكانت النتيجة لهذه النظرة أن أصبح العلم متهماً ، فقد وجد أحد أطباء العاصمة أن نسبة الوفيات عالية في الطبقة العاملة الذين يعيشون في مساكن تحت الارض ، وكان ذلك في طاعون القرن الرابع الميلادي ، فأعلن للملأ أن ذلك سببه قلة الهواء النقي ، فاتهم الطبيب بالكفر ولما أصيب الطبيب بالمرض وقضى نحبه ، انتصر رجال الدين المسيحي ، واعتقد الناس أن موته كان عقاباً له على زندقته •

والحق أن البيزنطي تحول بالسليقة الى القديس بعد أن عاين عجز

---

(٦١) الروم (٥١ ـ ٦٤) ، حول التفاصيل •

الطبيب ، وبعد أن كان الناس ينامون في الهياكل الوثنية ليبرأوا من أسقامهم، أخذ المسيحي حينئذ يتردد الى الكنيسة أو الى مقام أحد الشهداء ، وتولى الملاك ميكائيل مهمة شفاء الناس التي كان يتولاها الاله القديم في المعبد ، وأخذ القديس المسيحي يحل محل الاله الوثنى الذي كان يدرأ الأذى عن المدينة •

وهذا الشعور المستمر بوجود القوى الخفية ، هو الاطار الذي كان يعيش فيه الانسان البيزنطي ، ذلك أن ميله الى اللاهوت كان يظهر في كبار الأمور وصغارها ، وكان العالم المحجوب عن الأبصار يدور معه في الآجلة والعاجلة •

ولم يكن ساكن العاصمة يعيش في جو ديني حسب ، ولكنه كان يعيش في جو خطر ، ولاشك في أن أعصابه كانت في بعض القرون تحيا في توتر مستمر ، لأن مدينته كانت تقاسي حصاراً بعد حصار • ومما لاجدال فيه أن الامبراطورية الرومانية في الغرب سقطت لأن أعداءها فاقوا جيوشها عدداً ، ولو تيسر للمدافعين يومئذ البارود والمدفع لباءت هجمات أعدائهم بالاخفاق ، لأن ذلك السلاح كان يكفي ليسد العجز العددي عند الرومان • وكانت أسوار القسطنطينية تمثل للشرق بمعنى من المعاني المدفع والبارود اللذين حرمتهما الامبراطورية الغربية ، فآل أمرها الى الزوال • ولكن لابد للاسوار من رجال، واذا كان المدافعون عنها فئة قليلة ، فلابد من أن تلعب الخدعة والحنكة والخيانة الصراع ــ اذا دعت الحاجة اليها ــ دورها بالنيابة عنهم • وهكذا مال الخلق البيزنطي الى ألوان من الدهاء لاتعرف المبادىء ولا حدود الأخلاق ، تلك الخصال التي نستطيع أن نلمسها حتى في الشخصيات والناس عامة • ونستطيع أن نقرر من غير حرج ، أن النفعية الذاتية التي انغرست في النفوس دون شك ، كانت شائعة في الروم الشرقيين رفيعهم ووضيعهم •

ذلك أن التوتر الدائم له رد فعل ، هو الافراط في التراخي •

ومن العبث أن ننكر ، أن العنف والوحشية والجور ، وهي خصال كانت متأصلة في نفوس البيزنطيين ، كانت تلعب دوراً كبيراً ، فقد كان جمهور العاصمة ينظر باستخفاف الى قيم الحياة البشرية نتيجة لسخطه على الساسة الذين أبغضهم بغضاً مريراً ، ونتيجة للسهولة التي كان التحريق والقتل يقترفان بها أمام أعينهم كلما وقع شغب وهياج • وزادت الحكومة سوءاً ، فضربت للناس أسوأ المثل في هذه الناحية ، بما كانت تطبقه من معاقبة المجرمين بتوقيع عقوبات تقوم على قطع الجوارح ، كقطع الأيدي ، وجدع الأنوف ، وسمل الأعين •

وعلى الرغم من الخطر المحدق بالعاصمة دوماً ، كان البيزنطي يتطلب لنفسه تسلية ومرحاً ، وكانت مراكز الحياة الثلاثة في العاصمة هي : القصر ، وميدان السباق ، والكنيسة • فاذا أغلقت الحمامات وأقفلت أبواب ميدان السباق ، فقدت الحياة عند البيزنطي بهجتها ، وأصبحت تافهة ضحلة لا غناء فيها •

وكان المتسابقون يعيشون في عالم تسوده الخرافات الوثنية ، حتى لقد كانوا يحاولون بالتعاويذ السحرية والتمائم أن يقيدوا منافسيهم برقى حتى يفوزوا دونهم ، وكثيراً ماكان السائقون يفتشون قبل بدء السباق حتى لاتكون معهم الخرزة السحرية التي تكفل لهم الفوز دون استحقاق ، مع كثير من الشعوذات الأخرى •

وكان ميدان السباق مكاناً تعرض فيه الانتصارات الامبراطورية ، حيث كان الأباطرة يضعون الحذاء الارجواني — رمز السيادة — على رؤوس المنافسين المقهورين أو الأعداء المغلوبين • كما كان أيضاً محكمة جنايات ،

يتخذ فيها القضاة مجالسهم بانتظام • حتى ان الأمبراطور اذا اقتنع بارتكاب أحد الحكام جريمة من الجرائم ، قضى على المجرم أن يحرق حياً على مرأى من الرعية • وكذلك كان الملعب مسرحاً لتلك المواكب التي اعتاد الناس أن يروا فيها رجلاً من رجال البلاط أو رجال الدين المغضوب عليهم ، يسار بـه بين صفوف الشعب الساخر ، وربما أركب حماراً وجعل وجهه الى ذيله • كذلك كان الملعب متحفاً فيه روائع فن النحت القديم ، حيث كان رجال الكهنوت في الكنيسة المسيحية ، وقد رضوا عما يجري في الملعب كان الملعب مرآة للعالم البيزنطي •

وكان للرجل البيزنطي بطلان هما : الفائز في سباق العربات ، والقديس المتقشف • أما الأول ، فكان تنصب الصور والتماثيل اجلالاً له في كل مكان، وكان سائق عجلة السباق يمنح امتيازات خاصة ، فكان في نجوة من كل عقاب بدني ، واليه كان رجال الأدب يرفعون أحسن مقطوعاتهم •

أما المتقشف الزاهد ، فكان الحجاج يأتون اليه من كل صوب ، يحدوهم شوق لاهف ليروا القديس على عموده ، وينالوا بركته ، وليحملوا معهم تمثالاً صغيراً من تماثيل الرجل الطاهر ، التي كانت تصنع لتباع بالجملة لكل من يطلبها من الاتقياء • وهذا التمثال مع القنديل المعلق به ، كان يحمي دكان المتبرك وبيته من كل أذى ، ويعطيه ثقة جديدة وشعوراً متجدداً بالاطمئنان وسط أخطار الحياة •

وكان هناك وحدة في الأسرة واخلاص متبادل بين أفرادها • والمرأة ربة البيت ، ولها نفوذها الملموس في مجال عملها على زوجها وأطفالها • وكانت البنت تتزوج في سن مبكرة ، وكان اختيار الزوج مما تعنى به الأسرة، وقلما كانت البنت ترى زوجها قبل الزواج • على أن المرأة البيزنطية لم تكن

سجينة بيتها على أية حال ، على الرغم من أن الحرائر المحصنات لم يكن يرتدن دور التمثيل . وكانت نظرية الروم عن السيادة لاترى غضاضة في زواج الأمير بأمرأة لايجري في عروقها دم الملوك ، بل كثيراً ماكان النسل الامبراطوري يتقوى باختيار عروس من الطبقات المتوسطة ، حتى كان الامبراطور أحياناً ينتخب شريكة حياته من بين سرب العذارى الجميلات اللواتي انتقين من الولايات لتلك الغاية (٦٢) .

٣ ــ السيادة البيزنطية :

جمعت السلطة النافذة داخل حدود الامبراطورية البيزنطية في شخص الامبراطور ، فكان هو مصدرها الأوحد . ولكن ظل حق الامبراطور في العرش يخضع للانتخاب طيلة تاريخ الامبراطورية ، فكان مجلس الشيوخ والجيش ينتخبان الحاكم : الجيش يمارس حقوقه الوراثية في تنصيب الملوك، والشعب يؤيد ذلك ، فكان باستطاعة مجلس الشيوخ أو الجيش أن يتقدم أحدهما فيعين مرشحاً ، ثم يزكيه الطرف الآخر . أي أن انتخاب الامبراطور كان يمر بالأدوار التالية : (١) ينادي مجلس الشيوخ أو الجيش بوضع المرشح «في وضع دستوري يجعله في مكان الامبراطور المنتظر ، على أن يكون من الجائز بعدئذ تثبيت ذلك أو الغاؤه ». (٢) أن يوافق الطرف الآخر على ذلك، لأنه يملك الحق ذاته في الترشيح . (٣) التصديق على هذا الاختيار حين يهتف الشعب الروماني الذي يجتمع عادة في ميدان السباق (٦٣) . (٤) تتويجه

(٦٢) انظر التفاصيل في كتاب : الامبراطورية البيزنطية (١٦ ــ ٣٩) .
(٦٣) كان لتتويج الاباطرة منذ القرن السابع يجرى في الكنيسة الكبرى ، ويحضره اعضاء مجلس الشيوخ وممثلون عن الجيش والشعب الذي يهتف للامبراطور داخل الكنيسة وخارجها ، وكان التتويج قبل القرن السابع يجرى في ميدان السباق خارج المدينة .

بالتاج على يد البطريرك الأعلى قائماً بتمثيل المنتخبين لا الكنيسة ... وقد جرت العادة بذلك وان لم يكن شرطاً أساسياً .

تلك هي الاجراءات التي ينص عليها التقليد الدستوري في منح السلطان لأحد من الناس ، لكنها لاتكفل له سوى لقب بشرى . بيد أن عرش الامبراطور كان يقوم على أسس أكثر رسوخاً ، فالامبراطور صفي الاله ، وقد وقع عليه الاختيار منذ ولادته لتحقيق ارادة السماء ، واذاً فالمرشح الناجح هو بالضرورة من اختارته مشيئة الله ، بغض النظر عن الطريقة التي اكتسب بها هذا النصر ، فنجاحه هو المسوغ الوحيد ، وهذا النجاح يطمس صفحة ماضيه ، وهو الأساس الذي يلزم الناس بطاعته .

واذاً فمن الواضح أن الامبراطور ملك كاهن ، ومنصبه كهانة ملكية ، وما الامبراطور الا أحد رجال الدين ، فهو يستطيع أن يدخل المعبد المقدس ، ويقترب من المذبح حيث لايسمح لأحد من العلمانيين (غير رجال الدين) بالمرور . وفي استطاعته أن يقبل ستار المذبح ، وأن يتناول بيده الخبز المقدس. وعهدت له العناية الالهية ــ كما عهدت لبطرس من قبل ــ في رعاية أتباع السيد المسيح ، ولكن يظهر هذا الجانب من كهانة الامبراطور بوضوح أكثر ، أضيف منذ القرن التاسع الميلادي ــ على ما يظن ــ عمل آخر رمزي في حفل التتويج ، الا وهو أن يقوم البطريرك بمسح الامبراطور بالزيت المقدس ، ولم يكن يعبر بذلك عن ارادة الدولة ، بل عن المشيئة الالهية .

غير أن النظرية (الالهية) في أصل الملكية كانت تحمل في طياتها نتيجة أبعد مدى ، فمصدر الرفعة هو الله يعز من يشاء ويذل من يشاء ، واذاً فالعرش الامبراطوري مباح للجميع ، فلاحهم ونبيلهم ، جاهلهم وعالمهم ، على السواء ، غير أنه اشترط في الامبراطور أن يكون مسيحياً ، وأضيف بعد ذلك أن يكون

مسيحياً أرثوذكسياً ، وفيما عدا ذلك يمكن لأي واحد من الناس أن يقع عليه اختيار الله عظيماً كان أم حقيراً غنياً أم فقيراً .

بيد أنه لم يكن هناك من سبيل دستوري لاسقاط الامبراطور بعد انتخابه سوى ثورة ناجحة ، وهنا أيضا لايحول اختيار العناية الالهية له ، دون أن يعتبر مجرد غاصب في حالة اخفاقه ، واذاً فالثورة تصبح مشروعة ، بل وجزء من الدستور المعمول به .

بيد أن اختيار الأباطرة بطريق الانتخاب وحده ، لم يكن ليضمن للناس سير الأمور سيراً حسناً ، مادام اغتصاب العرش مباحاً في هذه الدولة ، ولايعتبره الناس خيانة الا في حالة الاخفاق ، ثم اننا لاينبغي أن ننسى أن هذا الاغتصاب كان يدعم القوة الامبراطورية في بعض الأحيان . ومن ثم عدلت النظرية الرومانية القديمة ـ فيما يختص بطريقة اختيار الحاكم الأعلى للدولة ـ كما يلي : ان تفويض الحكم للامبراطور ، يخوله حق تتويج خلف له أثناء حياته ، ويظل مستبداً وحده بالسلطان طالما بقي في قيد الحياة ، رغم وجود خليفة الى جواره ، فاذا توفي انتقل السلطان الى خليفته من تلقاء نفسه » .

وهكذا فقد المنتخبون حق الانتخاب ، ولم يبق أمامهم الا ان يحيوا الحاكم الجديد ، قائلين : « مات الملك ، يحيا الملك ! » .

وقد كان مما يميز الأباطرة الشرقيين العسكريين كفايتهم العسكرية كقادة للجيوش في ميادين القتال .

ولم يكن الامبراطور ملك الملوك [٦٤] ، كما كان يسمى رسمياً بعد سقوط الامبراطورية الساسانية ، التي كان كسرى المنازع الوحيد له في هذا

---

(٦٤) اي الباسيليوس Basileus

اللقب ، فقد قال المسيح : « انه وارث هذا العالم » ، فعلى نائبه ــ وهو الامبراطور ــ أن يرعى ادخال العالم في دائرة ملكه ، أليس هو الآخر مخلصاً للعالم ؟ أليست قوته هي المدبرة له ؟ اذاً فهو الحاكم الأعلى ، وله الحق في السيادة على العالم كله .

ولم يكن الأمر ليقف الى هذا الحد ، فانه لما كانت مملكة الأرض مصوغة على مثال مملكة السماء ، اذاً فهي ليست عالمية فحسب ، بل خالدة أيضا ، وليس باستطاعة بشر أن يقوض دعائمها . أما الأباطرة الفاسدون ، فليسوا الا عقاباً الهياً للناس ، حتى اذا انتهت مدة عقاب البشر ، وتاب أهل البلاد عن خطاياهم ، أشرقت شمس رحمة الله مرة أخرى ، وهكذا تصبح المسيحية مصدراً دائماً لبعث جديد ، وكانت هذه العقيدة راسخة قبل المسيحية في رومة ، فاستحال ذلك الى عقيدة دينية .

واذا كان الأمر كذلك ، فما هي القيود العملية والنظرية التي تحد من ادعاء الأباطرة السيطرة على الكون ؟

بالرغم من أن الأمبراطور هو المشرع الأعلى ، وبالرغم من أنه لايسأل عما يفعل ، فقد كان عليه لهذا السبب ذاته أن يلزم نفسه بمراعاة القوانين . ولا ننسى أولئك الذين كانوا يحيطون بالامبراطور ، فهم رجال فقهوا التقاليد المحافظة ، تقاليد هيئة الحكم الشديدة التعقيد . وقد أصبح مجلس الشيوخ ــ اذا استثنينا ممارسته لسلطته القديمة في تنصيب الملوك ــ مجلس حكام يفضلون السبل المطروقة ، ومن المؤكد أن الأباطرة لم يعدموا كثيراً من الحكماء والناصحين ، وجدوا من الحكمة ما جعلهم يأخذون بنصحهم .

وقد كان سكان العاصمة أيضاً الى جانب حرس المدينة الرسمي ، حتى القرن السابع الميلادي على الأقل ، يكونون قوة فاعلة ، وكانوا على قوة تمكنهم

من الاخلال بالأمن اذا ما فقدوا سيطرتهم على أنفسهم ، وعلى استعداد لتقديم مرشح آخر ينافس صاحب العرش ، ونشر الفوضى عن طريق الحرق والقتل • والظاهر أنه حين خمدت المقاومة الشعبية المنظمة لارادة الامبراطور زمن بيت هرقل ، أقام الرهبان أنفسهم نواباً للشعب ، وحملوا لواء المقاومة ضد الأباطرة، واستطاعوا أن يعتمدوا على مؤازرة الأتقياء ، وأثبتوا أنهم خصوم أشد خطورة على الامبراطور من البطريرك الذي كان بامكان الامبراطور أن يعزله• واستطاع الجيش أيضاً أن يوقف بعنف أي اجراءات لايرى تنفيذها ، اعتماداً منه على قوته •

الا أن هناك قيداً آخر أعمق مما ذكرناه ، ذلك هو التأثير الخفي لتقليد يفترض في الأباطرة : (حب الخير للناس) ، يحتم على الامبراطور اسداء خدمات انسانية جليلة لشعبه ، وكان هذا المثل الأعلى — في الواقع — قوة كابحة لجماح الامبراطور •

وأخيراً ، كان المنتخبون ، قبل أن يوافقوا على منح أحد من الناس السلطة الامبراطورية ، يستخلصون منه وعداً صريحاً بمراعاة ذلك • ومع مضي الزمن ، أخذ الامبراطور عند تتويجه يقسم قسماً رسمياً ، يبدأ بالاعتراف بالعقيدة الأرثوذكسية ، ويتضمن توكيداً منه لمنشورات بطارقة العالم السبعة ومجامع دينية محلية أخرى ، وحقوق الكنيسة وامتيازاتها ، وبعد بأن يظل خادماً مخلصاً للكنيسة المقدسة ، وابناً باراً بها وحاميا لها ، ويأخذ عهداً على نفسه بأن يظل انسانيا في حكمه لشعبه ، عادلاً بينهم ، وأن يتجنب توقيع عقوبات التنكيل بالناس أو الحكم بالاعدام ما استطاع الى ذلك سبيلا ••• وصيغة القسم من الأهمية بمكان ، بحيث تظهر لنا ماكان يتطلبه البيزنطيون من حاكمهم •

وكانت قواعد السلوك في البلاط صارمة ، وفيها وصف دقيق مفصل للأدوار التي تقوم بها كل طبقة من الهيئة الحاكمة الامبراطورية في سلسلة الاستقبالات والاحتفالات التي كانت تكون : (السنة المسيحية) البيزنطية • وفيها ذكر مفصل للملابس والحركات ومواضعها وأوقاتها ، والكلمات الرسمية التي جعلتها العادة مع مرور الزمن مقدسة •

ولنتصور زعيماً بربرياً من أحد السهول أو الصحارى ، وصل الى البلاط البيزنطي ، ونزل في ضيافة القصر ، وشاهد عجائب العاصمة في رعاية موظفي الامبراطور ، كان عليه أن يمثل بين يدي الامبراطور ، تراه يمر في متاهات من الدهاليز الرخامية ، وغرف غنية بالفسيفساء والأردية الذهبية ، وبين صفوف حرس القصر الذين يرتدون زياً أبيض واحداً ، يحف به النبلاء والأساقفة والقادة وأعضاء مجلس الشيوخ ، بينما يعزف أرغن الكنيسة ، تصاحبه فرق المغنين بالكنيسة والخصيان ، ثم أخيراً يسجد مبهوراً بهذه الفخامة التي بغير حدود ، في حضرة الامبراطور الصامت الوقور ، سيد رومة الجديدة ، ووريث قسطنطين ، وهو متربع على عرش القياصرة • وقبل أن يسمح له بالنهوض ، يرى الامبراطور وقد تغيرت حلته والعرش وقد تبدلت زينته التي رآها حين نظر اليه آخر مرة ••• يرى الامبراطور وهو ينظر اليه كما ينظر الاله الى واحد من البشر • ترى ، من ذا الذي يسمع زئير الأسود الذهبية حول العرش، وتغريد الأطيار ، ثم يستطيع بعد ذلك أن يرفض أوامر الامبراطور ؟ وعلى هذا النحو يطويه الامبراطور تحت جناحه ، ويحارب من أجل المسيح الروماني وامبراطوريته ، وتغدق عليه الامتيازات والهبات والهدايا من أجل وعده بالدفاع عن الحدود ، وربما منح مركزاً رسمياً في الحكومة ، فيصبح نبيلاً أو قائداً في الجيش ، وربما حالفه الحظ فتكون مساعدته ذات قيمة كبيرة للامبراطورية ، فيوعد عندئذ بتزويجه من أميرة بيزنطية ، كما فعل هرقل مع

زعيم الخزار ، فيعتنق المسيحية ، وسيقوم الامبراطور نفسه بدور الأشبين عند الحوض المقدس ، ومن ثم ينتدب أحد الأساقفة من أتباع بطريرك القسطنطينية للاشراف على مصالح الروم في بلاده . وفي حالة قيام شعبه ضده واسقاطهم له ، يسمح له بالالتجاء الى الامبراطورية ، ومن ثم يعاد بحراب الروم الى مركزه ، وفي هذه الحالة لايبقى عند رجال الدولة ريب في اخلاصه.

ومع أنه لم يكن للامبراطورية ممثلون دائمون لدى الحكومات الأجنبية، الا أن بعثاتها كانت تتوالى ، فتحفظ تقاريرها في ديوان الرسائل الامبراطورية [٦٥] .

٤ ــ الكنيسة الأرثوذكسية :

لم تكتب الحياة لطقوس رومة الشرقية فحسب ، بل احتفظت الكنيسة حتى اليوم بطبيعتها التي اكتسبتها أيام الأباطرة المسيحيين : فآراء هذه الكنيسة في اللاهوت ، وشعائرها ، وصيغها التي كانت تلقى أثناء المراسم الدينية ، ولون حياة الرهبنة والتقشف ، وقديسوها وأعيادها ، ذلك كله تراث من أيام البيزنطيين ، لاتزال تبقي على سلامته روح المحافظة التي لاتلين .

أصبحت القسطنطينية في عصر قسطنطين مدينة مسيحية ، الا أنها ظلت فيما يختص بحق التشريع الكنسي تخضع لأسقف هرقلة ، ونجد أن التاريخ الداخلي للكنيسة بعد أن اعترف بها مجلس الشيوخ ، يكاد يكون سرداً لجهاد أسقف القسطنطينية في سبيل الظفر باستقلاله عن مطران هرقلة من جهة ، وفي سبيل سيطرته على منافسه في الاسكندرية من جهة أخرى . ولقد خرج بطريرك رومة الجديدة منتصراً ، وشاركه الامبراطور هذا النصر ، فقد رأس

(٦٥) انظر التفاصيل في كتاب : الامبراطورية البيزنطية (٧٣ ــ ٩٤) .

جستنيان الكنيسة كملك كاهن ، وأصبحت عاصمته مركز حياة الكنيسة وتنظيمها .

وكان اذا رغبت احدى الأسقفيات في تقديم نفسها على غيرها من مثيلاتها، نظر الناس فيما اذا كانت قد أسست على يد أحد الرسل ، وكان هذا المقياس المعترف به في تقديم الكنائس بعضها على بعض . أما الشرق ، فقد حاول أن يجد تسويغاً لهذا النظام ، وانتهى الى النظرية القائلة : بأن اسبقية المدينة في الميدان الكنسي لابد أن تقوم على أسبقيتها في الميدان المدني . وسعت بيزنطة بعد ذلك الى الأنتصار على رومة . بحجة أخذتها من منطق رومة نفسها ، فاذا كانت رومة تقول بأن القديس بطرس هو مؤسسها ، فقد اكتشفت رومة الجديدة أن باستطاعتها في اعتمادها على تزوير وقتي ، أن تدعي أن القديس ادريس (اندرياس) هو مؤسسها ، والقديس ادريس هو الذي أحضر بطرس الى المسيح لأول مرة . غير أن قساوسة المجمع الديني العالمي الثاني الذي عقد في القسطنطينية سنة (٣٨١م) ، اعترفوا بالنظرية القديمة اعترافاً صريحاً ، وحكموا لأسقفية العاصمة بالمكان الاول في الكنيسة الشرقية بعد السدة الرسولية في رومة : « لأن القسطنطينية هي رومة الجديدة » ، وبذلك تحررت مدينة الأباطرة من سيطرة هرقلة .

وقد نشأت خصومات داخل الكنيسة ، نتيجة لتصميم أساقفة الاسكندرية على أن يستخدموا تأثيرهم وسيطرتهم في مقاومة قوة القسطنطينية الكنسية الناشئة ، وقد انتصرت الاسكندرية ثلاث مرات على القسطنطينية[٦٦] ، وأخيراً هزمت الاسكندرية في مجمع خلقيدونية سنة (٤٥١م) ، لأن البابا والامبراطور صمما على تحطيم كبرياء مصر ، لكن بطريرك الاسكندرية لم يذعن ، فخلع

(٦٦) انظر التفاصيل في كتاب : الامبراطورية البيزنطية (٩٩ ــ ١٠٥ . .

وثني ، وكان هدف مجمع خلقيدونية انتصار القسطنطينية والانحياز الكلي للكنيسة الشرقية .

وأجاز المجمع الصيغة الغربية التي نقحها البابا ليو الكبير واوردها في رسالته العقيدية المسماة : Tomos حيث قال : « هناك طبيعتان يجب تمييز احداهما عن الاخرى في المسيح حتى بعد تجسده وهما الالاهية والانسانية ، وقد ظل الاختلاف بينهما باقيا بالرغم من وحدة الشخصية » . وكانت وجهة النظر اللاهوتية عند الاسكندريين تتجه دائماً الى الصوفية والرمز ، وتؤكد طبيعة المسيح المقدسة ، حتى انها لتهمل طبيعته البشرية ، وهكذا ابتلعت الناحية المقدسة الجانب البشري ، وبذلك وصلت الكنيسة المصرية الى اعتقادها بطبيعة مقدسة واحدة . وهكذا وقفت الفئة التي أسست الكنيسة القائلة بطبيعة واحدة صفاً واحداً في مقاومة التعريف الذي انتهى اليه مجمع سنة (٤٥١م) وفي نبذ عقيدة البابا ليو الكبير ، وعلى هذا فقد انتهى بالناس الى الحرب لا الى الصلح .

لقد وحد منشور (زينو Zeno's Henoticon بين الكنائس الشرقية سنة (٤٨٢م) ، الا أن ثمن ذلك كان الانشقاق عن رومة سنة (٤٨٤م) ، كما أسس يعقوب البردعي (Jacobus Baradaeos) أسس الكنيسة اليعقوبية المستقلة في حكم جستنيان . وسعى بيت هرقل مرة أخرى لايجاد اتحاد مع أصحاب العقيدة المقدسة الواحدة غير أن العقيدة القائلة بالقوة الناشئة عن طبيعة واحدة أو ارادة واحدة في المسيح المتجسد لم يكن باستطاعتها الثبات طويلا ، ولم تكف هذه المعضلة عن ازعاج سياسي الامبراطورية البيزنطية ، الا حين استولى المسلمون على سورية ومصر مؤئل الهراطقة ، واستطاعت الامبراطورية بعد ذلك أن تكون أرثوذكسية ، وهكذا استطاع جستيان الثاني

أن يعقد الصلح مع رومة •

وعندما أصبحت البطريركيات الرومانية الشرقية اسقفيات في بلاد المسلمين ، بقى بطريرك القسطنطينية بلا منازع ، وأصبح تشريعه يسري على الامبراطورية ، الا أن بطريرك العاصمة عاش في ظل القصر الامبراطوري • وكان اخفاق بابوات للغرب في نزاعهم مع كنيسة القسطنطينية ، قد علمهم كيف يحلون المعضلة الدوناتية[٦٧] ؛ ولم يعد امبراطور الدولة البيزنطية يستطيع بعد ذلك أن يترك للسلطات الكنسية حكومة الكنيسة غير المنظمة ، فقد أبان منشور الامبراطور الذي دعا به الى عقد مجمع نيقية ووجهه لخلفائه ، الطريق بحيث لم يعد بمقدور أي بطريرك لرومة الجديدة أن يقاوم الارادة الامبراطورية ، وتوالت التشريعات في محاربة الهراطقة من جهة والوثنين من الخلقيدونية ، وانتصار فكرة توحيد الكنيسة ، ختاماً للنزاع الذي قام من أجل السيادة داخل الكنيسة الشرقية •

وشهد القرن السادس الميلادي آخر هجوم شن على الوثنية الباقية في الامبراطورية ، وتوالت التشريعات في محاربة الهراطقة من جهة والوثنين من جهة أخرى خلال أكثر من مائتي سنة ، واستعمل قسطنطين العنف في القضاء على الدوناتيين الافريقيين بحجة أنهم مهددون للامن أكثر منهم مارقين على العقيدة • وجعل بين السلطة وبين الاشتراك لوظائف الكنيسة ، ونفوا من القسطنطينية وحرم على الوثنيين حق الوراثة والتوريث ودخول وظائف البلاط والجيش ، وجرد الهراطقة أيضاً من حق دخول الجيش • وبالرغم من أن

(٦٧) الدوناتية : فرقة نصرانية ظهرت في افريقية في العصر البيزنطي ، وهي منسوبة الى اسقف يسمى : دوناتوس ، عارض اسقف قرطاجنة ، والتف حوله طائفة من القساوسة ، وتكونت منهم فرقة دينية ، ظلت تناوىء كنيسة قرطاجنة حتى ايام جستنيان •

الهراطقة كانوا يؤدون ما يقع على غيرهم من المواطنين من أعباء ، فقد حرم عليهم التمتع بامتيازاتهم • وحرمت عليهم قوانين جستنيان الاشتغال بالمهن الحرة ، بل تقرر هدم كنائسهم ، وأغلقت دونهم الاجتماعات العامة ، وأصبحت شهاداتهم القانونية ضد الأرثوذكسيين غير مقبولة ، وأضحت وصاياهم لاغية ، وفقدوا ما يخولهم حق الوراثة ولو بوصية اختيارية ، وحق وراثة شخص توفي دون أن يوصي ، فأصبح المنشق عن الكنيسة منبوذ المجتمع • وكانت سياسة جستنيان فيما يختص بالمانويين (أتباع مذهب ماني) سياسة ابادة ، فخصائص الروح فوق خصائص الجسد ، واذاً يجب القضاء التام على كل ما من شأنه أن يسبب العدوى •

ويمكن تلخيص آراء جستنيان في الحكومة بالعبارة الموجزة : حكومة واحدة ، وقانون واحد ، وكنيسة واحدة •

وقد صدرت سلسلة أخرى من القوانين ضد الوثنية ، وأدخل في القرن السادس الميلادي ألوف من الوثنين في المسيحية قسراً دون أن يعتنقوها فعلا • ونتج عن تلك التشريعات دخول كثير من غير المسيحيين في المسيحية ، بيد أن الغالب من هؤلاء المتنصرين الجدد كانت رهبتهم للاله المسيحي ناتجة عن خوف من الناس ، في حين ظلت قلوبهم في وادٍ آخر ، اذ ظلت على ولائها للعقيدة القديمة •

وهكذا انحطت المقاييس الأخلاقية والدينية داخل الكنيسة ، وشعر الناس أن الحياة المسيحية أخذت تفقد مثلها العليا المتشددة ، فأخذوا يجاهدون في سبيل الافلات من عالم لا يحتمل في نظرهم ، وامتلأت صحارى مصر بطالبي العزلة الذين يبغون الوصول الى الله ، غير أنهم لم ينفصلوا عن الكنيسة المنظمة انفصالا فعلياً ، لكنهم كفوا أنفسهم بأنفسهم ، وكانوا في غنى عن حظيرة

الكنيسة • وهكذا قامت الرهبنة منفصلة عن الكنيسة ، وكانت من ناحية احتجاجاً فردياً على نظام قام بأكبر نصيب في تأييد الدولة • ولما كانت الكنيسة تسعى لتركيز سلطانها في ادارتها الداخلية ، فقد قررت أن تحول دون بقاء أية حركة دينية خارجة عنها ، ولا مفر لأي لون من ألوان التدين من أن يؤيد قضيتها ، واذا كان لابد من تكييف الحركة الجديدة بما يلائم أغراض الكنيسة، فانها ـ أي الكنيسة ـ كانت مستعدة لترتيب معونة مالية مؤقتة توصلها الى أغراضها ، فاذا لم يخضع الميل الجديد الى التقشف لادارتها ، أصبح من اللازم عليها تحطيمه ، وأصبح على الزاهد أن يتصل بأولئك الذين يشاركون الاعتقاد بمثله العليا ، اذ أن ذلك يفسح المجال أمامه لممارسة فضائل المسيحية •

ومهما يكن من أمر ، فان مساكنهم التي اتخذوها لتنسكهم في الكهوف المنعزلة أو جعلوها معلقة فوق صخور الجبال ، هو الذي ايقظ الشعور بالاجلال والرهبة والحماسة العاطفية في نفوس عامة الشعب ، فهرع الحجاج من الشرق والغرب لالقاء نظرة على القديس العمودي الذي قضى سنين طويلة على عموده ، حتى فقد القدرة على الوقوف ، وأصبح لا يعينه على الوقوف سوى الرباط الذي يمسكه بعموده •

وسعت الكنيسة مرة أخرى لتحويل هذا التنسك المحبب الشائع لخدمة أغراضها بشتى الوسائل ، فكان نجاحها في هذا المجال محدودا •

وقد رأينا أن الحاج الى الأماكن المقدسة كان يعود حاملا معه تمثالا أو صورة للقديس ، وربما كانت هذه العادة من العوامل التي أعانت على تقوية عبادة الصور التي نشأ عنها نزاع اللاصورية الذي طال أمده •

وقد ضاعت كتابات اللاصوريين ، ونستطيع أن نتبين أسس مهاجمتهم لعبادة التماثيل مما كتبه خصومهم • فلم يكن محطمو الصور من أنصار المذهب

العقلي ، بل كانوا مصلحين دينيين ، فكانوا ينظرون الى شعور الناس بالتقديس نحو الصور والتماثيل نظرتهم الى عبادة الأصنام أو نوع من أنواع الوثنية •

ولم يكن عباد الصور أقل اخلاصاً لمبدئهم ، فالواقع أن كثيرين منهم نظروا للنزاع على أنه جهاد للبقاء ، فشعر صناع الصور المجيدون أن الخطر يتهدد مورد رزقهم ، لأنهم كانوا يعيشون من رسم الصور المقدسة • وظل بعض أنصار الصور ينافحون عن مبدئهم بحجة كان الشرق يقول بها في وقت مبكر منذ القرن الرابع الميلادي ، وأخذها الغرب فيما بعد ، الا وهي أن الصور المقدسة انجيل الجاهل ، فالصور ما هي الا مذكر ، وهي للنظر بمثابة الكلمات للاذن ، مهمتها الافهام والتقريب •

وأخيراً ، انتصر عباد الصور ، وعاشت الصور المقدسة في الكنائس بخاصة والأماكن العامة أيضاً •

وبقي هناك موضوع الخصومة مع رومة ، فقد اتسعت الهوة بين الشرق والغرب مع السنين ، حتى لقد انقطعت الصلة بين البلاطين الشرقي والغربي في أوائل القرن الخامس ، الا أن يكون بعض ما كان يثور بينهما من نزاع في اتصال أحدهما بالآخر اتصال عداء ، فكانت مشاكل الغرب والشرق في هذا العصر اللاهوتي مختلفة ، حيث أن نزعات قواد كنيسة الغرب كانت عملية تدور حول علاقة الانسان بالله ، فكانت مسائلهم تختص بتخليص الانسان أو تحريره من ارادته الانسانية ، ومضوا تحت تأثير أوغسطين ينشئون لعقيدتهم نظاماً خاصاً مقنناً • أما النزاع في الشرق فيدور حول علاقة أفراد الثالوث المقدس بعضهم ببعض ، ودار فيما بعد حول الطبيعة المزدوجة لابن الاله المتجسد • وكانت رومة هي الملجأ الأخير الذي تطلب عونه كل طائفة قليلة مغلوبة على أمرها في الكنيسة الشرقية ، وكان تدخل الغرب على ذلك في نظر الأكثرية

تدخلا تنظيميا من شأنه أن يقوم هرطقات الشرق ، فلم تكن كنيسة رومة على وفاق مع كنيسة القسطنطينية خلال نصف مدة القرون الخمسة التي تقع بين وصول قسطنطين للعرش والمجمع الديني العالمي السابع الذي عقد سنة (٧٨٧م).

وكان اختلاف اللغة بين الكنيستين أهم من ذلك كله ، فبينما كانت رومة الجديدة تقوم في وسط يتكلم اليونانية ، كانت ايطاليا في القرن الرابع الميلادي لا تعرف اليونانية ، بل تتكلم اللاتينية ، فكانت رسائل البابوات للمجامع الدينية الشرقية تقرأ أولا باللاتينية ثم تترجم الى اليونانية لكي يتسنى لرجال الدين الشرقيين فهمها ، وكثيراً ما كانت تترجم ترجمة خاطئة .

ان الشرق والغرب لم يستطيعا التفاهم ، لأن كلاً منهما يجهل لغة الآخر.

ولم يكن كبار البطارقة البيزنطيين في الحقيقة على استعداد لأطاعة ما تمليه رومة ، فانتهزوا بشوق فرصة اكتسابهم محبة الشعب، وهاجموا مزاعم البابوية . ولما كان البطريرك والبابا شخصيتين بارزتين في الوقت نفسه ، فقد نتج الانشقاق الديني عن ذلك . وكانت رومة كثيراً ما تلقن القسطنطينية درساً في موضوع الأرثوذكسية ، ولكن بيزنطة حرصت على أرثوذكسيتها الخاصة بها ، واستطاعت أن تدافع عنها في وجه الغرب .

وقد حان الوقت لنتبين نواحي القوة والضعف في الكنيسة الأرثوذكسية.

ان تدينها يغرنا حين نقرأ أدبها اليوم ، اذ أنها علقت أكبر قيمة على فضيلة البكاء ، مدفوعة الى ذلك بشعور متجدد بالخوف من الخطيئة ، وفيض الدمع انما هو تأثر نفسي خاص بصاحب الترتيل العاطفي بشكل رئيس . وان الانسان ليشعر أن فضيلة رجل الكنيسة البيزنطي ، انما كانت صادرة عن الامل بالجزاء في العالم الآخر . كما أن الكنيسة الشرقية أخذت تشك في القيم

الانسانية وتسعى لكبتها ، فقد اعتبرت الأدب الكلاسيكي القديم خطراً واعتبرت تلميذ أفلاطون في عداد الهراطقة ، وكان يعد خائنا • وكانت الكنيسة اغريقية ، فرضت اللغة الاغريقية على أتباعها ، وهكذا قضى على لهجات آسيا الصغرى الوطنية • وقد انقذت الكنيسة الامبراطورية البيزنطية ، ومالت في آخر الأمر الى السعي للتوفيق بين رغباتها ورغبات الدولة ، ولم تكن تفرض على الداخل في مذهبها أعباء كثيرة ، فكانت تبدى تسامحا كبيرا فيما يختص بعقيدته وعبادته السابقتين •

ولكن يجب أن نقرر أنها حددت للعالم المسيحي معاني العقيدة ، واذا كانت كنيسة تابعة للدولة الى حد بعيد ، فقد كانت مشبعة بروح تبشيرية ، ونجد أن جميع الفنون البيزنطية التي كتب لها البقاء ذات طابع كنسي • واذا كانت هذه الكنيسة قد خضعت للدولة ، فان من رجالها من عانى التشريد والعذاب والتنكيل من أجل العقيدة • وقد احتفظت الكنيسة في القرون المظلمة بجذوة الهيلينية حية تحت الرماد ، ولاتزال تلك الكنيسة على ولائها لاهدافها التي وضعتها منذ قرون خلت حتى اليوم •

للبحث صلة

المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي (١)

الدكتور يوسف عز الدين
(عضـــو المجمع)

مقدمة : ـ

ترددت كثيرا في الكتابة في هذا الموضوع لصعوبة الاحاطة التامة به ، فطبيعته المتحركة تحول دون الاحصاء التام . فمعذرة اذا كانت خطوط البحث عامة . لأن الغاية هي اثاوة الموضوع وابراز هدفه الاول . ومن الاستقراء العام نجد أن حركة وضع المصطلحات الجادة في المؤسسات العلمية المستمرة ، يزحمها بالمناكب القوية العريضة ، العمل التجاري في اصدار المعجمات بشكل واسع ونشرها دون رقابة علمية حتى غطت على ما تخرجه المجامع والمؤسسات العلمية وتفوقت عليها بالكثرة وجمال الاخراج واتقان الاغلفة والاغراء النسبي في الزينة الخارجية .

ولم يقف العمل التجاري عند هذا الحد انما تجرأ ناشر على تزوير جزء ألصقه بلسان العرب جمع فيه المصطلحات العلمية التي وضعت في المجامع لم يسمع بها ابن منظور ولا عصر ابن منظور ، ورغم فائدة هذا الجمع ، فينبغـــي مراقبة مثل هـــذه الحركة قبـــل ان تـــتفحـــل ويصبح الفيروزابادي والزمخشري والفراهيدي من مؤلفي القرن العشرين .

المصطلح : ـ

يوضع المصطلح باتفاق جماعة على معنى محدد لعلم او فن او فكر او

---

(١) قدم في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في ٢١ جمادى الاول ١٤٠٤هـ الموافق ٢٣ شباط ١٩٨٤م .

تيار فلسفي او ظاهرة في الادب والعلم والفن والفلسفة ، او جانب منه ، أو جزء لتسهيل الفهم وتحديد الدلالة . وقد ورد في (الوسيط) باقرب معنى واقصره بانه (اتفاق طائفة على شيء مخصوص ، ولكل علم اصطلاحاته).

الحضارة الأوربية :

غمرتنا الحضارة الحديثة التي جاءت من الغرب بانواع شتى من المخترعات والفلسفات التي لا يمكن ان تتوقف ، وزخت العلوم الجديدة والتقنية المتطورة والآراء المتصارعة على عالمنا العربي بما لم نسمع به من قبل ، ولم يسمع حتى ابناؤها بها من قبل هذا القرن . وغمر اللغة العربية طوفان من المصطلحات المتناقضة والاطر الفكرية الغربية في الكتب والمجلات ووسائل الاعلام المختلفة التي ترجمت الى اللغة العربية .

دور المجامع :

وقد حاولت مجامعنا — جاهدة — تقريب وجهات النظر المتباعدة عندما عقدت اجتماعين لها في بغداد والقاهرة ، وكانت تريد الاجتماعات دورية لانجاز مهمتها العلمية ، غير أن الامور الخارجة على ارادة العلم حالت دون الاستمرار فيها ، والاستفادة المرجوة من لقاء اصحاب الشأن والارتفاع بجهود المجامع .

ومع ذلك فقد كنا في المجمع العلمي العراقي ، ندرس المصطلحات التي تم وضعها في مجمعي اللغة العربية في القاهرة ودمشق وننتفع بما وضع من المصطلحات الجديدة التي كانت تعرض على اللجان (٢) .

(٢) يمكن ملاحظة ذلك في المصطلحات التي وضعها المجمعيون في بغداد في الفزياء وعلم الاحياء والهندسة المدنية والري والبزل وعلم الغابات وعلم النفس والامراض العقلية ، ومن اعضاء هذه اللجان كما وردت في (مصطلحات علمية) المطبوعة في مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٢ الاساتذة السادة .

المنظمة العربية :

وقد حاولت المنظمة العربية للثقافة والعلوم عدة محاولات جادة في هذا السبيل ، كما عقد المجلس الاعلى لرعاية الآداب والعلوم والفنون اجتماعات في تونس ودمشق والقاهرة لكن حالت دون استكمال هذه الاجتماعات الظروف والعوائق المعروفة ووقفت امام فكرة توحيد المصطلح وحدّت خطراته التي يرجوها المخلصون (٣) .

ان كثرة الجامعات — بما فيها من خير — وزيادة عدد المتعلمين الذين يعرفون اللغات الاجنبية وانتشار المجامع زاد في تفرق الكلمة وتناقض المصطلح فمن الضروري القيام بعملية تنسيق جادة وتنظيم مستمر بين المؤسسات العلمية في الوطن العربي .

— اعضاء المجمع العاملون احمد عبد الستار الجواري وعبد العزيز البسام ومحمود الجليلي وعبد اللطيف البدري ونجيب خروفة واللواء محمود شيت خطاب وحسن الكاتي ويوسف عزالدين ومحمد تقي الحكيم وجميل الملائكة واحمد ناجي القيسي وجواميز مجيد سليم وفخري الدباغ وعلي عطية وجلال محمد صالح واحمد سوسة رحمه الله ، اضافة الى خبراء يختارهم المجمع من ذوي الاختصاص في العلوم التي يضع مصطلحاتها ووضع المقدمة الدكتور صالح احمد العلي .

(٣) هناك مشاريع اخرى للمعاجم تلك التي نشرت في تونس في الرياضيات والكيمياء والفيزياء ونذكر مؤتمر الجزائر الذي عقد في ١٩٦٤ م بأشراف اليونسكو والمؤتمر الذي عقد في طرابلس الغرب سنة ١٩٧٧ لتوحيد المصطلحات ومؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي عقد في بغداد سنة ١٩٧٨ . وبعد المؤتمر الزمت الجامعات والمؤسسات التربوية بالبدء في التعريب في الصفوف الاولى، وبدأ التعريب في كليتي الطب وطب الاسنان سنة ١٩٨٠ — ١٩٨١ الجامعية، اضافة الى تدريس مادة علمية باللغة الاجنبية في كل سنة دراسية . واسس لهذا الغرض مركز التعريب لتنظيم عملية التعريب وتنسيق المصطلحات، وشارك في المؤتمر أعضاء من المجمع العلمي العراقي العاملين هم جميل الملائكة ، ومحمود الجليلي ومحمود شيت خطاب وعبد الرازق محي الدين ويوسف عز الدين وفخري الدباغ واسهموا في بحوث المؤتمر ودراساته وتوصياته .

الدكتور يوسف عزالدين

التعريب في القديم :

عندما بدأ التعريب في العصر العباسي في بغداد ، كانت المصطلحات موحدة لأن مصدرها واحد هو بيت الحكمة وقد اعتمدت البلاد الاسلامية عليها وبالرغم من أن البداية لم تكن تلائم الذوق العربي الاصيل بدخول كلمات اجنبية في الترجمة مثل (ارثماطيقي) للحساب (وجومطريا) للهندسة و (وبويطيقا) للشعر وغيرها مما هو معروف ، وقد تبدلت هذه الالفاظ وصقلت لما اشرف الادباء واصحاب الذوق العربي الاصيل على الترجمة فقد احتوى المترجم الاديب المعنى وفهمه وصبه في الذوق العربي ومن الامثلة ما صنعه ثابت بن قرة في كتابي (اقليدس) و (المجسطي) .

التعريب الحديث :

واستميح سادتي عذرا ان ذكرت بداية وضع المصطلح الحديث التي ما تزال اشارة واضحة في لغة العلوم والفنون والآداب في مصر عندما أرسل محمد علي باشا بعوثه الى الغرب . فقد كانت هذه البعثات رائدة في عملها برياسة رفاعة رافع الطهطاوي .. فقد فرض على جميع الاعضاء بعد عودتهم الاهتمام بالتعريب والترجمة .

فقد درست مجلة (يعسوب الطب) (٤) الصادرة ما بين عامي ١٢٨٥ هـ و ١٢٨٦هـ و (روضة المدارس) التي املك نسخة مصورة منها (٥) وقلبت كتبا ترجمت الى اللغة العربية في مختلف العلوم والفنون ، فوجدت جهدا كبيرا ودقة واضحة في الترجمة ووضع المصطلح تشابه حركة الترجمة الاولى التي قامت في بغداد . ومن هذه الكتب (٦) .

---

(٤) لا تملك دار الكتب اعدادا كاملة للمجلة .

(٥) كتب الزميل الشاعر الكبير محمد عبد الغني حسن دراسة ممتازة عن (روضة المدارس) ونشرت بالهيئة العامة للكتاب في القاهرة .

(٦) تركت التمارين والتعليقات باسلوبها وفكرتها .

١ ــ حقائق الاخبار في اوصاف البحار .
تأليف علي باشا مبارك .
٢ ــ الصحة التامة والمنحة العامة .
تأليف طبيب مصره ولقمان عصره معلم الامراض الباطنية بالمدرسة الطبية محمد بدر افندي .
٣ ــ اثار الافكار ومنثور الازهار .
تأليف عبدالله بك فكري .
٤ ــ المباحث البينات فيما يتعلق بالنبات .
تأليف الحاذق الماهر ذي الفضل الباهر ــ أحمد افندي ندا ــ مدرس المواد الثلاثة بالمدرسة الطبية .
٥ ــ الازهار البديعة في علم الطبيعة .
تأليف مسيو بيرون معلـــم الكيمياء بمدرسة الطب . جمعه من كتب الفن الفرنساوية وترجمه يوحنا عنجوري المدعو بحنين مع مساعدة المؤلف المذكور لمعرفته بالعربية وصححه الشيخ يونس الواعظ المصحح.
٦ ــ احسن الاغراض في التشخيص ومعالجة الامراض .
تأليف محمد التونسي محرر كتب الطب ، قابله مع جامعه محمد شافعي الحكيم الماهر .
٧ ــ حسن الصنيعة في علم الطبيعة .
لمدرسه علي افندي عزة احد خواجات العلوم الرياضية بمدرسة المهندسخانة الخديوية .
٨ ــ التشريح العام .
تأليف كلار ترجمة عيسوي افندي النحراري استملاه الشيخ عوض

القنائي وهو المصحح الاول ، المقدمة استملاها الشيخ علي العدوي وهو المصحح الثاني ، قابله مع بيرون الكيماوي الطبيب العارف لكثير من اللغات .

ومن قراءة التعليقات التي كتبت على الصفحات الاولى يجد الباحث مقدار للجهد وشكل العناية الشعور بالمسؤولية التي بذلت في سبيل خدمة اللغة العربية ولم يكتف المترجمون بالترجمة والتدقيق والمراجعة والتأكد من وضع المصطلح المناسب انما كانوا يضعون الملاحق لتسهيل فهم المصطلح وضبط الكلمات وقد شرح الفكرة احد هذه الكتب بقوله :

(فيه كثير من الاسماء الاعجمية سواء كانت فرنساوية او يونانية كاسماء مهرة المشرحين ، وبعض حيوانات قد ذكرت للتبين ، واسماء بعض امراض ومفاصل ولعجمتها كان التحريف فيها حال التلفظ بها اقرب حاصل ، ولا يمكن النطق بها على حقيقتها بالضبط التام الذي به يستقيم الكلام ، ولا سبيل الى ذلك الا بضبطها بالعبارة ، لأن الضبط بالشكل غير مأمون الخسارة ، امرني حضرة ناظر مدرسة الطب الانساني الآن الشهير بيرون ان اضبطها بالعبارة ليسهل التلفظ بها ويهون وأن أرتبها على نسق حروف المعجم لتكون مراجعتها أسهل واقوم واحكم ...) (٧)

دقة الترجمة والتطبيق :

وأعود فأقول ان دقة الترجمة ووضع المصطلح – رغم الضعف والركة – أحيانا مما يلفت نظر الدارس فقد كان كل طالب من طلاب البعثات الذين عادوا الى القاهرة حريصا على نقل علوم الغرب وفكره وطراز حياته الى البيئة التي كان يعيش فيها وتطبيق ما كان يراه صالحا من العلوم الحديثة الى الطلاب

(٧) التشريح العام ، تأليف كلار ، طبع في بولاق ١٢٦١ .

والاستفادة منها في حياة مصر العامة وما قام به الطهطاوي وما طبع نموذج حي لذلك..

كما اجريت دراسات علمية جديدة على مياه حلوان الملحية الكبريتية من (حضرة موسيو جاستنبيل خوجة الكيمياء والطبيعية ، وترجم الدراسة ذو المعارف الجمة فتوتلو احمد افندي ندا — لاجل معرفته الفرق بين الأوصاف الكيمياوية لماء حلوان المحتوي على الاصل الكبريتي والاوصاف الكيمياوية للماء المجرد عنه ...) (٨).

وقد ذكر ما حصل للماء من التفاعل الكيمياوي .. وعنيت (يعسوب الطب) بمظاهر الامراض ووصفتها بدقة . .

توحيد المصطلح :

سبق لي ان القيت اكثر من محاضرة في مؤتمر (تعريب التعليم العالي في الوطن العربي) الذي عقد في بغداد ما بين الرابع الى السابع من شهر آذار سنة ١٩٧٨ (٩) . دعوت الى ضرورة توحيد المصطلح العلمي في الوطن العربي . وهو احساس كل من عالج امور المصطلحات ومن يقرأها في الكتب والمعاجم التي تصدر في الاقطار العربية . ومؤتمركم خير شاهد على عمق الاحساس وصدق الشعور بالمسؤولية القومية والوطنية العلمية في ضرورة التوحيد سواء اكان في أطار المحاضرات والكتب ام بين دفتي المعجمات المتنوعة فقد دعت الضرورة الى جمع المصطلحات وضمها بعد التنسيق في معجم موحد يعتمد عليه الباحث والدارس والمترجم كل حسب اختصاصه .

وقد احس اعضاء المجامع في القاهرة ودمشق وبغداد والاردن بضرورة

(٨) يعسوب الطب ، العددان ٢٥ و ٢٦ صفر ١٢٨٥ هـ .

(٩) أسهم عدد من اعضاء المجمع العاملين وقد نشرت بحوثهم في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٩ م .

توحيد المصطلح وقد دارت الفكرةفي بيت الحكمة في تونس ــ الجلسات الأولى ــ لوضع حد لهذه الفوضى في اختيار المصطلح وضرورة توحيده .

ولتأكيد هذا الاتجاه صدرت عدة معجمات في العراق موحدة منها المعجم الطبي الموحد ــ ومن الصدف الحسنة ان توزع آخر طبعاته علينا في هذه الجلسة والمعجم العسكري وغيرها من المعاجم في الطب والفيزياء والكيمياء وعلم طبقات الارض (الجيولوجي) وللوصول الى توحيد المصطلح في العلوم المختلفة مثل علم النفس وعلم الاحياء والهندسة المدنية والري والبزل والغابات والامراض وكنا نراجع ما اقرته المجامع العربية وما اصدره مكتب تنسيق التعريب في الرباط ولم نكن نغفل دراسة الكتب المترجمة باختلاف المترجمين وتعدد الباحثين وكانت محاولات مجمع اللغة العربية المبكرة في القاهرة جادة في الدعوة الى توحيد المصطلح وما قام به مصطفى الشهابي من جمع لاشهر الالفاظ اللاتينية لانواع النبات وترتيبها على حروف المعجم وذكر ما يقابلها باللغة العربية مجال دراسة اللجان المختصة (١٠) .

ولا يمكن نسيان جهود اتحاد المجامع العربية في اصدار المعجمات الموحدة في الطب والنفط والقانون والمعجم الموحد للمصطلحات العلمية في الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم الحيوان وعلم طبقات الارض ، كما سعت المنظمة العربية للتربية والعلوم في هذا الصدد لشعورها العميق بهذا التمزق اللفظي .

وخارج المجامع قامت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي باصدار ثلاثة قواميس في الكيمياء ومشروع المؤسسة يشتمل على خمسة معاجم باللغة العربية والفرنسية والانكليزية لشرح المصطلحات وقد وعدت المؤسسة بالالتزام بقواعد وضع المصطلحات التي اقرتها المجامع العربية .

---

(١٠) يلاحظ اعداد مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق في اعدادها المتنوعة ومنها العدد الاول سنة ١٩٦١ ومعجم المصطلحات الجراحية الانكليزية والفرنسية والعربية للامير مصطفى الشهابي ومعجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية ، طبع مكتبة لبنان .

مشكلة المصطلح :

ان اختلاف المصطلح العلمي في الوطن العربي مشكلة آنية لابد من حلها فقد كثرت الشكاوى من هذا الاختلاف والتفرق في وضعها واستعمالها وما تزال تدخل للحياة العامة ولغة الصحافة والكتاب ونحس بهذا الاختلاف في ابسط اشكالها في اللغة اليومية والاستعمال الرسمي .

فنحن في العراق نقول وزارة النفط وفي المملكة العربية وزارة البترول والمعادن وهناك من يسمي النفط بالزيت ووجدنا اختلافـا في كثير مـن المصطلحات الحيوية منها على سبيل المثال :

علم الطبيعة — الفيزياء — وتسمونها الفيزيقيا .

الملحق في الامتحان — الدور الثاني ويسمى الاكمال .

المدارس الاميرية والاعمال الاميرية تسمى الرسمية .

المدارس الحرة — الخاصة — الاهلية .

ناظر — مدير

المرتب — الماهية — الراتب — الرزق

محال على التقاعد — محال على الاستيداع .

العوائد — الرسوم

وظيفة خالية — شاغرة

كادر — ملاك

وكيل نيابة — حاكم تحقيق — مستنطق

محكمة النقض — محكمة الاستئناف

المحافظ — المتصرف — المدير

مدير الامن — مدير الشرطة — الحكمدار

سنترال — بدالة — مقسم

ولو تتبعت مثل هذه الكلمات لاحتاج الامر الى صفحات كثيرة اضافة الى شيوع كلمات اجنبية مثل الطابور وسره وكوبري ونمرة باش وتلغراف وجرنال .. والحبل على الجرار وجرائدنا العربية والاذاعة المسموعة والمرئية شاهد يومي على ما أقول . فلابد من تدارك الامر والتكاتف مع الجرائد اليومية ووسائل الاعلام بالابتعاد عن مثل هذه الالفاظ وتوحيدها في معجم واحد او معجمات حسب حاجة الحياة المعاصرة . وحياتنا الحاضرة المتطورة تخدم عملنا بما فيها من سرعة المواصلات ووسائل النشر الحديثة وادوات الطبع المتطورة وقد اصبحت الوثائق والرسائل والصكوك ترسل صورها من بلد الى آخر بالهاتف المصور .

وقد توحدت الامم المختلفة رغم اختلاف جذورها فحري بالعرب القضاء على الفرقة الفكرية والتمزق اللفظي في وضع المصطلح العلمي . اذ أخشى أن يأتي اليوم الذي لا تفهم شعوب العرب المصطلحات التي توضع في اقطارها المختلفة واقاليمها المتباعدة .

هذه المشكلة قد حلها السلف الصالح بوضع كتب للمصطلحات مثل مفاتيح العلوم للخوارزمي والمعرب للجواليقي والمتوكلي للسيوطي والتعريفات للجرجاني والمخصص لابن سيده وغيرها من مصطلحات اللغة والادب والفلسفة . فالدارس العربي والمسلم قد وحد المصطلحات ورآها ضرورة لمسيرة حياته الحضارية والعلمية في العصر العباسي وحاولها احفاده في زمن محمد علي باشا (١١) وكان من نتيجة وحدة المصطلح فهم العلوم وهضمها وانتشارها واستعمالها في الكتب العلمية المختلفة حتى اصبحت مألوفة ميسورة لكثرة تداولها .

---

(١١) المؤسسات العلمية في زمن محمد علي باشا وضعت معجما كبيرا في عدة مجلدات سمي قاموس القواميس الطبية . ولا يمكن اغفال ما في مخطوطات التراث العربي لابن الهيثم وابن سينا والكندي وابن بطال وابن وحشية من مصطلحات في مختلف العلوم والفنون .

ولابد لي أن اسجل شكوى استاذين في المغرب العربي ومعاناتهما من المصطلحات التي توضع في مشرق الوطن العربي ، فقد قال الاستاذ الدكتور محمد السويسي زميلي في المجلس العلمي لبيت الحكمة في تونس .

(واجهنا مشكل المصطلحات في العربية حين حدت بنا الظروف منذ ما يزيد على الثلاثين سنة الى الاشراف على تحرير القسم العلمي في مجلة المباحث والى تدريس اصول الرياضيات والعلوم الفيزيائية) . فقد كانت المشكلة قديمة حاول الاستاذ وضـــع مصطلحات جديدة اعتماداً على التراث العربي وما وضع المشارقة من المصطلحات لكنه وجد تشتتا وتفرقا في وضع المصطلح فقال :

(قام الباحثون في المشرق منذ امد بعيد باعمال كثيرة كانت مفيدة ، وأكب العديد من الاخصائيين جاهدين على انشاء ما يقابل في العربية ، المصطلحات العلمية الجاري بها العمل ، ولكن هذه المساعي ، كانت مشتتة وكانت نتائجها متباينة مختلفة فصار المعجم العربي الحديث ملفقا تلفيقا مصطبغا بعديد من الالوان وهو مائج متحرك يعرض من المستحدثات افواجا من الالفاظ المشتركة التي قد توازي المدلول المقصود موازاة تامة او هي لا توازيه ، والتي تتميز بحسب البيئات وتختلف باختلاف الاشخاص ، فعرّب كل اخصائي بعض مصطلحات اختصاصه ، متأثرا باللون الذي طغى على اللفظ المستعمل في لغة الاصل التي استند اليها وجعلها اساسا في بحثه فتراكمت المفردات وتعددت لاداء المفهوم الراحـــد او لوصف الظاهرة الواحدة ...) (١٢)

وقال الدكتور احمد الاخضر من الجزائر :

(١٢) مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، بغداد ١٩٨٠ ص ٥٥ .

(ولو كان المعجميون العرب المصريون قد اهتموا بتأليف معاجم متخصصة على منوال اسلافهم (كابن سيده في مخصصه) لادركوا اضطراب المصطلحات التي لا يقبل بحال من الاحوال ، وما كان علينا أن نقوم بهذا العمل الجبار لاعادة تنظيمها اليوم ...) (١٣) .

الخاتمة :

ان توحيد المصطلح في لغتنا المعاصرة ضرورة من ضرورات حياة العرب الفكرية المعاصرة لاثبات الذات في الوطن لان التطور العلمي في هذه المرحلة الدقيقة من مراحل تطور الحضارة السريع لابد له من اعداد متقن ومنسق بعد أن اصبحت البشرية عالما واحدا مشتركا في كل قضاياها العامة .

واللغة العربية هي الاداة القوية التي تربط الاقطار العربية وتسجل تطورها العلمي وتقدمها الحضاري فمن الضروري ان توحد مصطلحاتها بعد أن اصبحت جزء من الفكر القومي والوطني لان ترك الامور على الغارب سوف يخلق لغات متنوعة لن تمكن الاستفادة منها في الاقطار العربية الاخرى . وليست القضية اعتزازا بالنفس واعتدادا بالاقليمية انما هي قضية مصير موحد وقضية مستقبل الحضارة والعلوم في وطننا فمن الضروري ان تأخذ الامور بالجد واحتواء الحضارة الغربية ومواجهتها بفهم علومها ومصطلحاتها .

ان فهم العلوم لا يتم بصورة مفيدة وفاعلة في تطور الفكر العلمي عند العرب الا اذا فهم الباحث العلوم الجديدة في لغته المعاصرة فقد تقدمت اليابان وطورت علوم الغرب عندما درست العلوم الغربية بلغتها رغم الصعوبات الكبيرة في هذه اللغة وقد تطورت العلوم الحديثة في روسية عندما بدأ العلماء يدرسونها باللغة الروسية ، ولم تصل الصين ذات اللغة العجيبة المعقدة الى

---

(١٣) المصدر السابق ، ص ٥٨٩ .

اكتشاف او اختراع القنبلة الذرية ومزاحمة الغرب في صواريخه الا بعد دراسة العلوم المتطورة باللغة الصينية (١٤) .

كنا ندرس الكيمياء ولا نعرف ما يحتويه المصطلح من كميات المواد وكنا نحفظ غيبا المصطلحات العلمية كي تنجح في الامتحان لاننا لا نعرف بصورة مضبوطة محتويات هذه المصطلحات العلمية . والطالب في الغرب يعرف ما معنى كبريتوز وكبريتات وكبريتد وكبريتيك وما مقدار الاكسجين والكبريت في هذا المصطلح .

ان وضع المصطلحات باللغة العربية وتنسيق المعجمات وتوحيدها سوف يخلق جيلا عربيا يفكر بلغته ويعرف اسلوب البحث العلمي ودقائق المصطلح ومن فهم الاسلوب العلمي فقد تطور فكره في البحث ووصل الى النتائج الجيدة وأصبح مبدعاً . لأن اللغة خير وسيلة للتأصيل العلمي والفكري . وبعث الثقة العميقة بالتراث اللغوي الذي عانى من الاتهامات المريرة .

ان الايمان بقدرة اللغة سبيل الى بعث الثقة بالذات ووسيلة للتأصيل العلمي والفكري في الامة واحتواء الحضارة الجديدة لان العلم متى اصبح مشاعا يصبح سهلا ومتناولا من اصحاب الحرف والاعمال العامة وعلى هؤلاء المعول في ادارة كثير من اعمال المخترعات الحديثة .

ولا بد في هذا المجال من مراجعة المعاجم التي وضعت لمختلف العلوم والفنون والاستفادة من اصحاب الخبرة في كل فن وعمل في وضع المصطلح العلمي . ويمكن اتخاذ الخطوات التالية :

١ــ عقد المؤتمرات الدورية المتقاربة التي بدأت في المجامع ــ ولم تستمر ــ

(١٤) لكي تلم باللغة الصينية لابد لك ان تعرف عدة آلاف حرف وقد احسست بصعوبة لغتها عند زيارتي للصين الشعبية ولا شك ان اليابان تعاني مثل هذه الصعوبات ولكن لم تتخل عن اللغة رغم الصعوبة البالغة ولم تكن البلغارية لها حروف حتى وضعها لها كيرل وتيردي .

لتوحيد المصطلح الذي يضعه المجمعيون قبل ان يطبع في المعجم الموحد للعلم الواحد .

٢- ان يكون التنسيق مستمرا بين جميع المؤسسات العلمية والمجامع بتبادل ما وضع من المصطلحات ودراستها وابداء الرأي في كل مصطلح .

٣- اسهام عدد من اللغويين في المؤسسات العلمية عند وضع المصطلح فقد لاحظت بعض المصطلحات يضعها العالم الفاضل بعلمه ولكنه بعيد عن الذوق اللغوي والاسلوب العربي فتدخل الالفاظ الاجنبية التي الفها العالم ويفرضها لشدة حرصه وقرب معناها الى نفسه .

٤- من المهم وجود هيئة علمية للتنسيق قادرة على العمل المنظم والحركة السريعة وتملك القدرة المالية والمعنوية في التنسيق والطبع والنشر .

٥- تحديد معنى المصطلح بوضع تعاريف مطولة واختيار الدقة في لغة العلم المعاصرة ، وايضاح الدلالة العلمية والتفاعلات التي جاء منها المصطلح لان الايضاح ضرورة لفهم المصطلح في أول وضعه والاتفاق عليه .

٦- جمع المصادر العلمية من مصادرها العلمية المعاصرة وحذف الاختلاف البين وتقريب وجهات النظر ما بين هذه المصطلحات والتأكيد على دراسة ما وضع في المشرق العربي والمغرب العربي لاختلاف القواعد الفكرية العلمية بتنوع الجذور الاجنبية التي اخذت منها هذه المصطلحات .

٧- ولا بأس من الاستفادة من المصطلحات العلمية التي وضعت في زمن محمد علي باشا رغم ما فيها من سذاجة وبدائية وقد وجدت الكتب التي انتشرت في المدارس مطبوعة او مخطوطة في دار الكتب وقد ذكرت جزء منها .

شكر وتقدير :

واخيرا اقدم جزيل شكري وتقديري للمبادرة الكريمة التي قام بها

مجمع اللغة العربية للدعوة لهذا المؤتمر فان عمله التاريخي خطوة كبيرة في سبيل الوحدة الفكرية للقضاء على التمزق الفكري في وضع المصطلح . لان توحيد المصطلح اقوى قاعدة للنهوض بالعلم المعاصر وتقريب فهمه ونشره بين اكبر عدد من المتعلمين وا صحاب الحرف . . وبالتالي فهو عمل خالد في الفكر المشتت في بلادنا العربية .

وا رجو أن تكون هذه الخطوة العلمية باعثا لحفز همم المؤسسات العلمية في كل الاقطار العربية للسير في هذا السبيل .

واختتم قولي هذا بالتهاني القلبية لمجمع اللغة العربية ولرئيسه استاذنا شيخ الفلاسفة المعاصرين الدكتور ابراهيم بيومي مدكور واساتذتي وزملائي اعضائه واتمنى لهم اعذب التهاني والعمر المديد والانتاج المستمر .. بالعيد الذهبي راجيا ان يكون المجمع منارا يشع بعلمه ونبراسا يهتدى بفضله وفكرا يستفاد منه وفضلا يطور الحضارة المعاصرة ويقدمها حية لجميع الامة العربية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



كتاب الشجر والنبات

وكتاب النخل

لأبي عُبَيْد القاسم بن سلاّم

المتوفى سنة ٢٢٤ هـ

تحقيق

الشيخ محمد حسن آل ياسين

عضو المجمع

ابو عبيد القاسم بن سلاّم — وزاد بعضهم : بن مسكين بن زيد — علَم شامخ من أعلام العربيــة ، واستاذ كبير من أساتذة علم القراءات والحديث والغريب، ورائد بارز من روّاد البحث اللغوي والتأليف المعجمي في تاريخنــا المشرق التليد .

• وُلِد بهراة سنة ١٥٠ أو ١٥٤ هـ ، واليها نُسِب فقيل الهَرَوي ، وكان زيد ابو جدّه حمّالاً ، وابوه سلاّم عبداً رومياً مملوكاً لرجلٍ من اهل هراة ، ثم دخل في عداد موالي الأزد .

• ارتحل في طلب العلم في البلدان ، فزار بغداد والكوفة والبصرة ودمشق والقاهرة ، وحضر حلقات الدرس فيها ، فأخذ وسمع ، وروى وحدّث . وكانت له الرواية عن عدد كبير من أعلام اللغة والنحو والغريب من كوفيين

وبصريين وغيرهم ، ومنهم : ابو زيد الأنصاري ، وابو عبيدة ، والأصمعي ، وابو محمد اليزيدي ، وابن الأعرابي ، وابو زياد الكلابي ، والأُموي ، وابو عمرو الشيباني ، والفرّاء ، والكسائي ، والأحمر ، وابو الحسن اللحياني .

• أقام ببغداد مدّة للافادة والتدريس والامـــلاء ، وكان ينزل بدَرْب الريحان ، وفيها ألف كتابه الشهير « غريب الحديث » . كما أقام بطرسوس ثماني عشرة سنة يتولّى شؤون القضاء فيها .

• له طلاّب كثيرون قال القفطي فيهـــم : « وعادت بركة أبي عبيد ـــ رحمه الله ـــ على أصحابه ، فكلهم نبغ في العلم واشتهر ذِكرُه وأخذ عنه وتصدر للافادة ».

• حجّ بيتَ الله الحرام في سنة ٢١٤ أو ٢١٩ هـ ، وأقام بمكة المكرمة بعد الحج مجاوراً الى أنْ توفي فيها في المحرّم من سنة ٢٢٤ هـ ـــ ٨٣٨ م ، في أشهر الروايات .

• وبقي اسمه بعد وفاته موضع اكبار العلماء والمعنيين على مرّ القرون ، فذكروه بكل إجلال واحترام ، واثنوا عليه بما يستحقه من تبجيل وتقدير . وكان منهم ابو عثمان الجاحظ ، وقد قال فيه :

« ومن المعلّمين ثم الفقهاء والمحدّثين ؛ ومن النحويين والعلماء بالكتاب والسنّة والناسخ والمنسوخ وبغريب الحديث وإعراب القرآن ؛ وممن قد جمع صنوفاً من العلم : ابو عبيد القاسم بن سلاّم . وكان مؤدّباً لم يكتب الناسُ أصحّ من كتبه ولا أكثر فائده » .

وذكره ابن دُرُستويه فقـــال : « من علماء بغداد المحدّثين النحويين على مذهب الكوفيين ، ورواة اللغة والغريب عن البصريين والكوفيين ، والعلماء بالقراءات ، ومَنْ جمع صنوفاً من العلم ، وصنّف الكتب في كل فنٍّ من العلوم والأدب فأكثر » .

★ ★ ★

الشيخ محمد حسن آل ياسين

ألّف ابو عبيد في العلوم التي برع فيها فأجاد وأبدع ، وقد ذكر له المؤرخون عدداً كبيراً من المؤلفات ، منها ما طُبع ومنها ما هو مخطوط موجود ومنها ما ضاع خبره ، ونورد فيما يأتي جريدة بأسماء تلك الكتب ، وربما كان بعضها فصولاً مستلة من كتبه المطوّلة :

١ ـ كتاب آداب الاسلام .

٢ ـ كتاب الأجناس من كلام العرب : طبع في بومباي المندسنة ١٩٣٨ م .

٣ ـ كتاب الأحداث .

٤ ـ كتاب أدب القاضي .

٥ ـ كتاب الأضداد في اللغة : عزاه بروكلمان لأبي عبيد وذكر ان نسخة مخطوطة منه في مكتبة عاشر أفندي في استانبول . والظاهر انه أضداد ابي حاتم .

٦ ـ كتاب الأمثال (وسمّاه ابن النديم : الأمثال السائرة) : نشره نشرةً علمية جيدة مركزُ البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى في مكة المكرمة سنة ١٤٠٠ هـ ، وكان قد طُبع قبل ذلك أكثر من مرّة .

٧ ـ كتاب الأموال : قال فيه القفطي : « من أحسن ما صُنّف في الفقه وأجوده » ، طبع للمرة الاولى في القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ، ثم أعيد طبعه ـ فيها أيضاً ـ سنة ١٣٨٨ هـ .

٨ ـ كتاب الإيمان ومعالمه : طُبع بدمشق .

٩ ـ كتاب الأيمان والنذور .

١٠ ـ كتاب الحجر والتفليس .

١١ ـ كتاب الحيض .

١٢ ـ كتاب الخطب والمواعظ (وسمّاه ابن خير : مواعظ الأنبياء) : منه نسخة مخطوطة في لايبزغ .

١٣ ـ كتاب الشعراء .

١٤ ـ كتاب شواهد القرآن .

١٥ ـ كتاب الطهارة .

١٦ ـ كتاب عدد آي القرآن .

١٧ ـ كتاب غريب الحديث : طُبع في حيدر آباد الهند في أربعة أجزاء في سني ١٣٨٤ ـ ١٣٨٧هـ / ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ م .

١٨ ـ كتاب غريب القرآن : قال بروكلمان : « يبدو أن القائمة المنسوبة الى أبي عبيد ؛ والمشتملة على ما ورد في القرآن من لغات القبائل مأخوذة من كتابه المفقود في غريب القرآن . وقد طبعت هذه القائمة على هامش كتاب التيسير في علم التفسير لعبدالعزيز بن محمد الديريني المتوفى ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م ، المطبوع في القاهرة ١٣١٠ هـ » .

١٩ ـ كتاب الغريب المصنّف : وربما يقال له الغريب المؤلّف ، وقد يُكتفى بـ « المصنّف » أو « المؤلف » في تسميته ، وروى الأزهري في تهذيبه بسنده عن ابي عبيد قوله : « كنت في تصنيف هذا الكتاب اربعين سنة أتلقّف ما فيه من أفواه الرجال » ، وفي رواية اخرى : « ثلاثين سنة » . وسيأتي مزيد كلام فيه بعد ذلك .

٢٠ ـ كتاب فضائل الفرس : ذكره القلقشندي في صبح الأعشى : ٤ / ٩٢ .

٢١ ـ كتاب فضائل القرآن : ذكر بروكلمان أنه نُشر في مجلة اسلاميكا .

٢٢ ـ كتاب فَعَلَ وأفْعَلَ : ذكر بروكلمان أن نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية في القاهرة .

٢٣ ــ كتاب القراءات : قال فيه القفطي : « كتاب جيّد ، ليس لأحدٍ من الكوفيين قبله مثله » .

٢٤ ــ كتاب ما خالف فيه العامّة لغة العرب : نقله بروكلمان عن لسان العرب .

٢٥ ــ كتاب المذكر والمؤنث .

٢٦ ــ كتاب معاني الشّعر : روى بروكلمان أنه مذكور في طبقات الشافعية للسبكي .

٢٧ ــ كتاب معاني القرآن .

٢٨ ــ كتاب المقصور والممدود .

٢٩ ــ كتاب الناسخ والمنسوخ .

٣٠ ــ كتاب النسب .

وقال ابن النديم بعد ذكر أسماء مؤلفات ابي عبيد : « وله غير ذلك من الكتب الفقهية » ، وقال القفطي : « وله كتب كثيرة لـم تُرْوَ في أصناف الفقه كله » .

أما كتاب مقاتل الفرسان الذي عزاه بروكلمان له نقلاً عن المزهر للسيوطي في بعض طبعاته فهو لأبي عبيدة كما ذكر في فهرس مؤلفاته وكما ورد في طبعة البابي الحلبي من المزهر : ١ / ٤٣٤ .

★ ★ ★

أمّا « الغريب المصنّف » فيُعـدُّ ــ في الحقّ ــ من أجلّ مؤلفات أبي عبيد وتراثه اللغوي النفيس ؛ بل في طليعة المعجمات اللغوية الرائدة بعد « عيْن » الخليل . وحسبنا في ذلك كلمة شمر بن حَمْدَويه المعروفة : « ما للعرب كتاب أحسن من مصنّف ابي عبيد » .

وقد نال الكتاب منذ عصر المؤلف بل منذ الفراغ من تأليفه ؛ اهتماما

كبيراً قلّ ما حظي بمثله كتاب آخر ، ثم أصبح – بعد ذلك – مصدراً رئيساً لكل مَنْ ألّف في اللغة وعُني بها ، ويروي الأزهري – وهو أحد المعجميين القدامى البارزين – انه اختلف الى الإيادي في سماعه سنتَيْن وزيادة .

ولعل من أكبر ما يحكي لنا هذا الاهتمام – ومازال المؤلف حيّاً – ما رواه الزُّبيدي في طبقات النحويين : أنه قيل لأبي عبيد إن فلاناً يقول : أخطأ ابو عبيد في مائتي حرف من المصنّف ، فقال : « في المصنّف مائة ألف حرف ، فإنْ أخْطِيء في كل ألفٍ حرفين ما هذا بكثير ممّا استُدْرِك علينا ، ولعل صاحبنا هذا لو بدا لنا فناظرناه في هاتين المائتين بزعمه لوجدنا لها مخرجاً » .

وفي نصّ آخر : أنه قيل له إن فلاناً « ذكر أنك صحّفتَ في المصنّف نيفاً وعشرين حرفاً ، فقال : ما هذا بكثير ؛ في الكتاب عشرة آلاف حرف مسموعة » .

وليس أصرح من هذين النصّين ولا أبلغ دلالة على اهتمام معاصري ابي عبيد بكتابه وتصدّيهم اقراءته وتدقيق مطالبه واحصاء الحروف التي أخطأ فيها أو صحّف ، وذلك برهان ناصع على الشهرة الكبيرة التي نالها الكتاب والضجة التي أثارها يومذاك .

ثم جاء بعد وفاة ابي عبيد مَنْ حاول التقليل من أهمية الغريب المصنّف وقيمته وما تضمنه من إنجاز علمي كبير في عصره ، فنفى أن يكون ابو عبيد هو المبتكر لهذا المنهج في تقسيم الألفاظ على أبواب المعاني ، وانما كان في ذلك عيالاً على غيره وناقلاً عمّن سبقه . قال ابن النديم في ترجمة النضر بن شميل : « له من الكتب كتاب الصفات ، وهو كتاب كبير يحتوي على عدة كتب ، ومنه أخذ ابو عبيد القاسم بن سلاّم كتابه غريب المصنّف » .

وقال ابو الطيّب اللغوي : « وأمّا كتابه المترجم بالغريب المصنّف فانه اعتمد فيه على كتاب عمله رجل من بني هاشم جمعه لنفسه ، فأخذ كتب الأصمعي فبوّب ما فيها ، وأضاف اليه شيئاً من علم ابي زيد وروايات عن الكوفيين » .

وقال ولدنا محمد حسين في التعليق على ذلك :

« والحق ان في ذلك غلوّاً كبيرا ، فلو وازنّا بين ماذكره ابن النديم من أجزاء كتاب (الصفات) وأبوابه ، وكتب الغريب المصنّف وأبوابه ، لظهر الفرق الكبير فيما استجدّ في الغريب المصنف من كتب وأبواب . فكتاب الصفات خمسة أجزاء تضم ما يقرب من ثلاثين باباً ، على ما ذكر ابن النديم .. والغريب المصنف ثلاثون كتاباً أو قريب من ذلك ، تضم ما يقرب من ألف باب ، تختلف طولاً وقصراً . . . » .

ثم يقول بعد ايراد حججه على ما ذهب اليه : « فكيف يكون بعد هذا كتابُ الصفات للنّضر هو المثال الذي احتذاه الغريب المصنّف ! ... الاّ أن يكون المقصود ... سبق النضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) الى تأليف الصفات . فإن كان ذلك ما أرادوا فنَعَمْ » (١) .

ومهما يكن من أمر ، فان الكتاب — كما أسلفنا — قد نال من الاهتمام والشأن ما لا ينكر . وقد تصدّى لشرحه جماعة من العلماء ، كابن السيرافي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، وابي العباس المرسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ .

كذلك تصدّى لردّه وتصحيحه عدد من الأعلام ، وفي طليعتهم العالم اللغوي النحوي علي بن حمزة البصري المتوفى سنة ٣٧٥ هـ ، وقد ورد ردّه هذا في ضمن كتابه « التنبيهات » المطبوع في القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ

---

(١) الدراسات اللغوية عند العرب : ٢٩٢ .

(الصفحات : ١٨٩ ــ ٢٧٣) . والملاحظ في بعض تلك الردود والتصحيحات انها اجتهادية أو ذوقية ، وليست أغلاطاً مسلّماً بها .

وقد سلمت ــ والحمد لله ــ من عوادي الدهر نسخ مخطوطة متعددة من الغريب المصنف ، وروى بروكلمان وجود نسخ منه في مكتبات : أيا صوفيا ، القاهرة ، مجموعة لندبرغ في ليدن ، امبروزيانا ، اسكوريال ، فاتح ، داماد زاده ، وغيرها (٢) .

★ ★ ★

وفي أثناء اشتغالي بإعداد « معجم النبات والزراعة » أثار انتباهي ما رأيته من شيوع النقل عن ابي عبيد في كل المعجمات ؛ ومن تكرار اسمه في كل باب من أبواب اللغة وكل حرف من حروفها ، فكان من الضروري الرجوع الى كتابه « الغريب المصنف » للوقوف عليه ومعرفة ما يضمه من معلومات تخص هذا الموضوع .

وقرأت الأبواب الخاصة بالنبات والشجر والنخل في هذا الكتاب قراءة فاحصة ، وقد أعجبني ذلك غاية الإعجاب ، فرجح عندي نشره ووضعه بين يدي القراء والمعنيين ــ لغويين ونباتيين ــ ، تقديراً للجهد الذي بذله مؤلفه

(٢) رجعنا في ترجمة ابي عبيد الى المصادر الآتية ــ مرتبة على حروف الهجاء ــ : انباه الرواة للقفطي : ١٢/٣ــ٢٣ والبداية والنهاية لابن كثير : ١٠/ ٢٩١ــ ٢٩٢ وبغية الوعاة للسيوطي : ٣٧٦ ــ ٣٧٧ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ــ الترجمة العربية ــ : ٢ / ١٥٥ ــ ١٥٩ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ٤٠٣/١٢ ــ ٤١٦ وتذكرة الحفاظ للذهبي : ٤١٧/٢ ــ ٤١٨ والتهذيب للأزهري : ١٩/١ ــ ٢٠ و ٣٢ و ٣٧ وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي : ٥٤/٢ ــ ٥٥ وطبقات النحويين للزبيدي : ٢١٧ ــ ٢٢١ والفهرست لابن النديم : ٥٤ و ٧٨ وفهرسة ابن خير الاشبيلي : ٧١ و ٢٩١ وكشف الظنون لحاجي خليفة : ١٢٠٩/٢ ومرآة الجنان لليافعي : ٨٣/٢ ــ ٨٦ ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي : ١٨ و١٤٨ ومعجم الادباء لياقوت : ١٦/ ٢٥٤ ــ ٢٦١ ونزهة الألباء لابن الانباري : ٩٣ ــ ٩٨ ووفيات الأعيان لابن خلكان : ٢٢٥/٣ ــ ٢٢٧ .

في هذه السبيل ، واعترافاً له بالريادة أو بكونه أحد الرادة الأوائل في هذا الميدان ؛ إذ يُعَدُّ نصُّه هذا ثالثَ ما وصل الينا من نصوص السلف في النبات بحسب التسلسل التاريخي بعد كتابَيْ أبي زيد والأصمعي .

وكان المستشرق الدكتور اوغست هفنر قد نشر كتاباً باسم « النخل » عزاه للأصمعي (يراجَع كتاب البلغة في شذور اللغة / ص ٦٣ — ٧٢ / بيروت ١٩١٤ م) . وهو في حقيقته كتاب النخل لأبي عبيد ، وقد استلّه من الغريب المصنف رجل غير معروف ، فاختصر وحرّف فيه وصحّف ، وحذف أسماء الرواة ومعظم الشواهد الشعرية .

ويمتاز نبات ابي عبيد بكثرة الرواية عن الأصمعي ، بل ان أكثر ما فيه مروي عنه ، ولكنها ليست رواية عن كتابه في النبات وانما عن الأصمعي نفسه ؛ وإن كان كثير من ذلك قد ورد في نبات الأصمعي باختصار أو بلفظ آخر .

أما رواياته عن ابي زيد — وهي قليلة — فلم تكن عن كتابه « الشجر » ، وانما عن ابي زيد نفسه ، ولا وجود لتلك المعلومات في الكتاب المذكور .

★ ★ ★

تهيّأت لي من مخطوطات الغريب المصنف ثلاث نسخ رجعتُ اليها في تحرير النص :

الاولى — نسخة المكتبة الامبروزيانية في ميلانو — ايطالية . وهي في ٢١١ ورقة ، وقد جاء في آخرها : « تمّ كتاب الغريب المصنف بحمد الله ومَنّه ، والصلاة على النبي وآله ، في جمادى الأول (كذا) ، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة . رحم الله كاتبه وغفر له » .

وقد جعلت هذه النسخة هي « الأصل » لكونها أقدم النسخ الواصلة الينا ، مع ما تمتاز به من صحة في النّسخ ؛ ودقة في الضبط وإن لم يكن ضبطاً كاملا .

الثانية ــ نسخة مكتبة فيض الله في استانبول ــ تركية ، وهي في ٢٨٧ ورقة ، وقد جاء في آخرها : « وقع الفراغ من نسخه للنصف من شعبان ، سنة ست وثلاثين وخمسمائة .. الخ » .

وقد قابلت بها الأصل ، ورمزت لها بـ « ت » .

الثالثة ــ نسخة مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، وهي في ٣٤٢ ورقة ، وقد جاء في آخرها : « تمّ بحمد الله وعونه » ، كما جاء في هامش الصفحة الأخيرة بخط الأب أنستاس ماري الكرملي ما لفظه : « كان هذا الكتاب في خزانة السيد عبدالحميد البكري ، وكتبه لخزانته محمود حمدي من النسّاخ المصريين ، وكان قد فرغ من كتابته في سنة ١٣٣٠ للهجرة . ولمّا توفي صاحب الخزانة المذكورة بيعتْ كتبه في المزايدة ، فاشترى منها طائفةً كبيرة أحدُ الكتبيين في مصر ، ثم اشتريتها منه في ١٦ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٨ بثلاثة جنيهات مصرية » .

وقد قابلت بها الأصل استئناساً ، ورمزت لها بـ « م » .

★ ★ ★

وبعـــــد :

فليس لديَّ ما أقوله في الختام غير التمني المخلص بأن يجد الباحثون والمعنيون ــ إذ يقفون على هذا النص اللغوي الأصيل في النبات والشجر والنخل ــ ما نطمح أن يجدوه فيه من فائدة ومتعة ، وأن يلمسوا ــ من خلاله ــ البرهان الصريح الناطق على سموّ لغتنا الخالدة وقدرتها المطلقة على البقاء والتطور واستيعاب كل مايحتاجه اليوم والغد ــ على امتداده ــ من ألفاظ العلم والحضارة والمعرفة الانسانية .

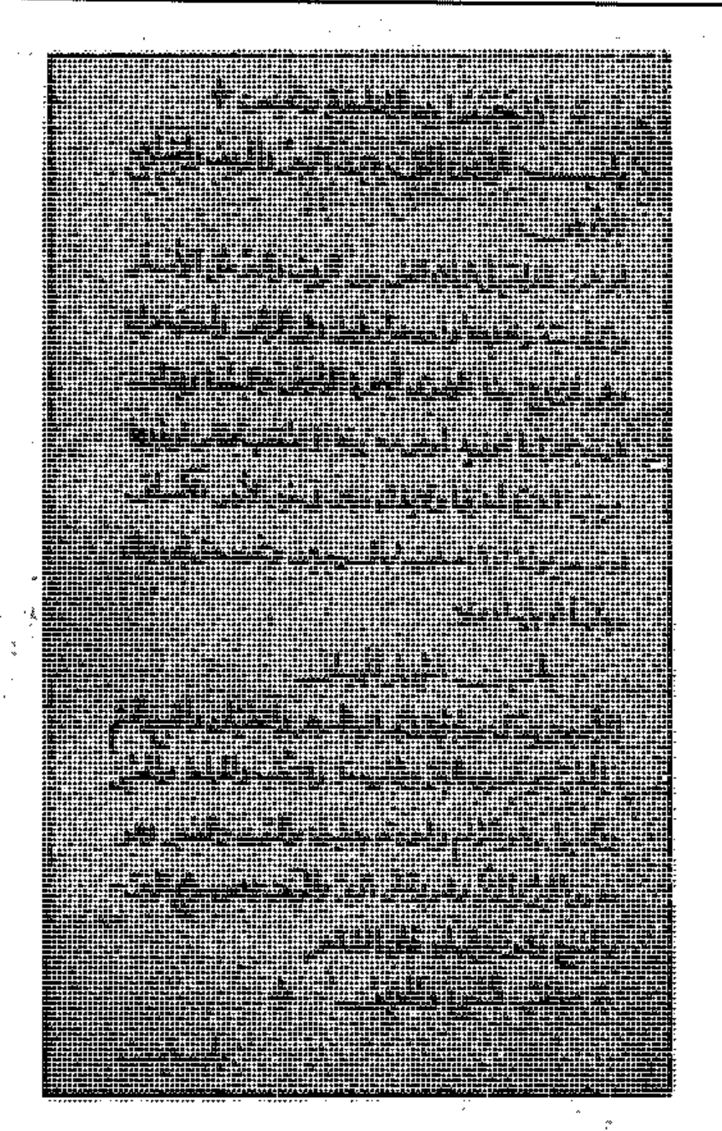
وكان منهجي في التحقيق متّجهاً نحو تحرير النص وإبرازه أقرب ما يكون الى لغة مؤلفه وألفاظه ، واكتفيت في الهوامش بايراد بعض التعليقات

المختصرة التي تخص اختلاف النسخ وتخريج الشعر ، مع الاشارة الى أهمّ ماكتبه علي بن حمزة البصري في الردّ على ابي عبيد . ولم أُشِر في اختلاف النسخ الى ما ورد في الأصل مما سقط من النسختين الاخريين . والله تعالى ولي التوفيق .

★ ★ ★

« صورة صفحة من النسخة الأصل »

• صورة صفحة من النسخة ت •



« صورة صفحة من النسخة م »

[٧٠ / أ]

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الشجر والنبات

باب اشجار الجبال

[قال] (١) الأصمعي : من شجر (٢) الجبال :

العَرْعَر . والظَّيَّان . والنَّبْع . والنَّشَم . — قال : والظَّيَّان ياسمين (٣) البَرّ — . والشَّوْحَط . والتَّأْلَب . والحَمَاط . والحَثْيَل . والجَلِيل — وهو الثُّمَام — واحدته جَلِيلة . والشَّثّ . والضَّبْر — وهو جَوز البَرّ (٤) — . والمَظّ — وهو رُمَّان البَرّ — . والرَّنْف — وهو بَهْرامَج البَرّ (٥) — . والشَّوْع — وهو شجر البان — ، قال الشاعر (٦) :

بحافَتَيْهِ الشَّوْعُ والغِرْيَفُ (٧)

باب ما ينبت منها في السَّهْل

قال الأصمعي : من نبات السَّهْل :

---

(١) زيادة من ت .

(٢) في ت و م : من أشجار

(٣) جاء في هامش ت مانصه : « الياسمين معرب النون على هذه اللغة ، وهو قول سيبويه . وقال ابو حاتم : الياسمون — بفتح السين — في موضع الرفع بالواو ، وفي موضع الجر بالياء » .

(٤) في نبات الأصمعي : وهو جوز الجبل .

(٥) جاء في هامش ت مانصه : «قال ابو عبيد : لا أدري ما بهرامج البر ، أظنها فارسية » .

(٦) هو أحيحة بن الجلاح .

(٧) العجز في تركيبي شوف و غرف في العباب والتاج ، وصدره فيهما : « يزخر في اقطاره مغدق » . والعجز نفسه مع صدر آخر في نبات الأصمعي : ٣٧ ونبات الدينوري ٥/٤٩ واللسان غرف .

الرِّمْث . والقِضَة . والعَرْفَج . والنُّقْد . والشُّقارى . والحِنْزاب — وهو جَزَر البَرّ — . والأَقَاني . والسُّطاحَة . والغَبْراء . والطَّحْماء . والدَّرْماء . والحَرْشاء . والصَّفْراء . والكَرِش . والحَلَمَة . واليَنَمَة . والراء — واحدته (٨) راءة ، تقديرها راعَة — . والشُّبْرُم . والسَّرْح . والنُّعْض . والنَّفَل . والحَسَك . والسَّعْدان . والجَرْجار . والعَرار — وهو بَهار البَرّ — . والجَثْجاث . والقَيْصُوم . والسَّكب . والشِّيح . والقَرْنُوَة . والحُلَّب . والحِلِبْلاب . والحُرُبُث . والزَّنَمَة (٩) . والتَّرِبَة . والخُزامى — وهو خِيْرِيُّ البَرّ — . والأُقْحُوان — وهو البابُونَج (١٠) ، [٧٠/ب] ويقال هو القُرّاص — . والشُّكاعى . والحَنْوَة . والزُّبّاد . والبُهْمى .

وقال ابو عمرو : القُرّاص : البابونَجُ (١١) ، واحدته قُرّاصة . [قال] (١٢) : والذُّرَقُ : الحَنْدَقُوقى (١٣) ، فَعْلَلُولى .

وقال الفَرّاء : العَبَيْثُرانُ والعَبَوْثُران : شجر طيِّب الرِّيح . [قال] (١٢) : والصَّعْبَرُ والصَّنْعَبَر (١٤) : شجر بمنزلة السِّدْر . [قال] (١٢) : والعَرَتُنُ : نباتٌ ، يقال منه : أديم مُعَرْتَن .

---

(٨) في ت و م : واحدتها .

(٩) هكذا وردت الكلمة في الأصل و ت ، وفي م: «والترفة» وهي في مطبوع نبات الأصمعي: « الرنمة » بالراء المهملة ، ورواه عنه كذلك في لسان العرب (رنم) . وكل من الرنمة والزنمة نبات .

(١٠) كذا في الأصل ، وفي ت و م : « البابونك » . ومثله في هامش الأصل ، وفي هامش ت : « البابونج » .

(١١) في ت و م : البابونك .

(١٢) زيادة من ت .

(١٣) في م : الحندقوق ، ومثله في نبات الأصمعي ، وكل من الحندقوق والحندقوقي صحيح .

(١٤) في ت : والصنبر والصعبر .

وقال ابو عمرو : السَّخْبَرُ (١٥) شجرٌ ، واحدته سَخْبَرَة .

وقال الأصمعي : النُّقَد (١٦) والنُّعْض ـ جميعاً ـ : شجر ، واحدته نُقَدَة ونُعْضَة .

[وقال](١٧) غيرُ واحدٍ : الكَنَهْبَل شجر ،[واحدته كَنَهْبَلَة](١٨). والدَّوْح : العظام منه ومن غيره .

باب ما ينبُت منها في الرَّمْل

قال الأصمعي : من نبات الرَّمْل :

الغَضا . والأَرْطى . والأَلاَء ، قال بِشْر :

فانَّكُمُ ومَدْحَكُمُ بُجَيْراً   أبا لَجَإٍ كما امْتُدِحَ الأَلاءُ(١٩)

وهو شجر حَسَن المنظر مُرُّ الطعْم .

[قال] (١٧) : والسَّبَط : النَّصِيُّ (٢٠) مادام رطباً ، فاذا يبس فهو الحَلِيُّ .

وقال ابو عمرو : اذا يَبِس الأفاني فهو حَمَاط (٢١) .

باب الحَمْض والخُلَّة من النَّبات

قال الأصمعي : الحَمْض من النَّبت : ما كانت فيه مُلُوحة ، والخُلَّةُ

(١٥) وردت الكلمة هنا في الأصل بالشين المعجمة بدل المهملة، وسيأتي بالمهملة بعد صفحتين، وهي بالمهملة أيضاً في ت و م ونبات الأصمعي وهو الصواب .
(١٦) ضبطت الكلمة في الأصل بضم القاف ؛ وفي ت بسكونها ، وكلاهما صواب .
(١٧) زيادة من ت .
(١٨) زيادة من م و هامش ت .
(١٩) ديوان بشر بن ابي خازم : ٣ ، وفيه وفي م : «ومدحتكم بجيراً» .
(٢٠) في الأصل وت : «والسبط والنصي» ، وما أثبتناه من م ، وهو الصواب ، وقد نقل ذلك عن ابي عبيد بالنص في العباب واللسان (سبط) .
(٢١) كذا في الأصل ، وفي ت و م : الحماط .

ما سوى ذلك ، والعرب تقول : الخُلّة خُبز الإبل والحَمْض لحمها أو فاكهتُها ، وانما تُحوّل الإبلُ الى الحَمْض اذا ملّت الخُلّة . وكلُّ هذا من النبت . وليس شيء من الشجر العظام بحَمْضٍ ولا خُلّة (٢٢) .

قال : فمن الحَمْض :

الرِّمْث . والغَضَة . والرُّغْل . والقُلاّم . والحَرْم . والدَّرْماء (٢٣) . والنَّجيل . والخِذْراف .

[وقال] (٢٤) غيرُه (٢٥) : الغَوْلان ــ أيضاً ــ حَمْض .

باب العِضاه وسائر الشجر

[قال] (٢٤) الأصمعي : العِضاهُ من الشجر (٢٦) كلُّ شجرٍ له شوك . ومن أعرَف ذلك : الطَلْح . والسَّلَم . والسَّيال . والعُرْفُط . والسَّمُر . والشَّبَهان [٧١ / أ] .

[وقال] (٢٤) غيرُه : القَتاد .

[وقال] (٢٤) الأصمعي : الضَّعَة شجر مثل الثُّمام ، وجمعه ضَعَوات ، قال جرير :

مُتَّخِذاً في ضَعَواتٍ تَوْلَجا (٢٧)

[وقال] (٢٤) غيره : الصَّفْصاف : الخِلاف .

[قال] (٢٤) ابو عُبَيْدة : الرَّنْدُ شجر طيِّب من شجر البادية ، قال : وربما سمّوا عُودَ الطِّيب رَنْداً ، يعني العُود الذي يُتَبَخَّر به.

---

(٢٢) في ت : ولا بخلة .
(٢٣) لم ترد « الدرماء » في نبات الأصمعي .
(٢٤) زيادة من ت .
(٢٥) وهو قول الأصمعي أيضاً كما في نباته المطبوع .
(٢٦) في ت : من الأشجار .
(٢٧) ديوان جرير : ٩٢ .

وأنكَر أن يكون الرَّنْدُ الآسَ (٢٨) .

والوَقْل : شجر المُقْل ، واحدته وَقْلة . والخَشَلُ (٢٩) : المُقْل نفسُه (٣٠) ، [واحدته خَشَلَة] (٣١) .

[قال] (٣٢) ابو عمرو : القُرْزُح شجر ، الواحدة (٣٣) قُرْزُحة .

[قال] (٣٢) : والسَّخْبَر شجر ، واحدته (٣٤) سَخْبَرَة .

[قال] (٣٢) : ويقال لرؤوس الحليّ من الخلاخيل والأسْوِرَة : خَشَل أيضاً (٣٥) .

[وقال] (٣٢) غيره : القَصِيْص شجر تنبت في أصله الكَمْأة .

[قال] (٣٢) : والمَيْس شجر يُعْمَل (٣٦) منه الرِّحال . والغاف شجر . والإسْحِل شجر . والسَّرَاء والمَرْخ والعَفَار : من الشجر يكون

(٢٨) هكذا ورد تسلسل الجمل في ت و م ، وكانت جملة (وأنكر - الى - الآس) قد وردت في الأصل بعد قوله الآتي : (والخشل المقل نفسه) .

(٢٩) قال علي بن حمزة : «وقال ابو عبيد : الخشل المقل واحدته خشلة ... وانما هو الخشل بالإسكان» التنبيهات : ٢٢٦ .

(٣٠) قال علي بن حمزة : «وقال : هو المقل نفسه . والناس فيه مختلفون ، فمنهم من يقول هو حتات المقل الذي يحت عنه ؛ وهو سويق المقل، ومنهم من يقول : هو مايبقى من المقل بعد أن يؤخذ عنه حبه ،وقال ابو نصر : الخشل المقل ؛ وقد قيل سويق المقل» التنبيهات ٢٢٧ .

(٣١) زيادة من ت و م .

(٣٢) زيادة من ت .

(٣٣) في ت و م : «والواحدة» .

(٣٤) في ت : «والواحدة» .

(٣٥) الجمل بكاملها مثبتة في الاصول ، ولكن تسلسلها في ت يختلف عن الأصل . وقال علي ابن حمزة معلقاً على هذه الفقرة : «واما قول ابي عبيد : يقال لرؤوس الحلي من الخلاخيل والأسورة خشل فغلط، لأن الخشل وهو ايضاً - هاهنا ساكن - كل ما كان من الحلي اجوف، ورؤوس الحلي مصمتة أو جوف» التنبيهات : ٢٢٧ .

(٣٦) في م : تعمل .

فيها النـار . والمِرْصاد : التُّوت. والنَّبْع شجر . والساسَم والتَّنْضُب والأَثْأب — واحدتها أَثْأبة (٣٧) — أشجار كلُّها (٣٨) . والبَشَام شجر طيِّب الريح يُستاك به . والكَنَهْبُل (٣٩) شجر عظام . والعُرُنْط شجر . والعِتْرُ شجر صغار واحدتها (٤٠) عِتْرَة . والغَرْف والغَلْف شجر يُدْبَغ بهما (٤١) . والسَّبَط شجر . والهَيْشَر شجر . والغِسْل : الخِطْمِيُّ .

[وقال] (٤٢) غيره : السَّخَم شجر . والعَنَم شجر دقاق الأغصان يُشَبَّه به (٤٣) البَنَان . والسَّلاَم شجر ؛ واحدته سَلاَمَة . والقَفْعَاء شجر .

[و] (٤٢) قال العَدَبَّس : الرَّمْرَام شجر ؛ واحدته رَمْرَامَة . والمَرْخ والعَفَار : ضَرْبانِ من الشجر يُقْدَح (٤٤) منهما النار .

باب الآجام

[قال أبو عبيد] (٤٢) : الغابة : الأَجَمَة . والغَيْطَل : الشجر

---

(٣٧) وردت جملة (واحدتها أثابة) في الأصل بعد قوله : (أشجار كلها) ، وقد أثبتنا التسلسل الوارد في ت و م .

(٣٨) في ت : كلها أشجار .

(٣٩) هكذا ضبطت الكلمة في الأصل هنا ، ومرت بفتح الباء بضبط الأصل أيضا ، وأشار في ت الى جواز الضم والفتح فيها ، وهي كذلك .

(٤٠) في م : واحدته .

(٤١) قال علي بن حمزة : وقال ابوعبيد : الغرف والغلف شجر يدبغ بهما . والأمر بخلاف ذلك ، قال ابن الأعرابي : الغرف بالإسكان — ضروب تجمع ، فاذا دبغ بها الجلد سمي غرفاً . وقال الأصمعي : الغرف — باسكان الراء — جلود يؤتى بها من البحرين . وقال ابوحنيفة : أخبرني رجل من ربيعة قال : الدباغ بالبحرين بالتمر والأرطى فتجيء جلوده لينة متانا . وثم غرف آخر واحدته غرفة ، وهي شجرة يصنع منها القياس ، ذكرها أبو زيد مع الأسحل والتألب وقال : والغرف أرقها والتألب أخشنها . وهذا الغرف لايدبغ به ، ولاأظن ابا عبيد عرفه » التنبيهات : ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٤٢) زيادة من ت .

(٤٣) في م : بها .

(٤٤) في م : تقدح .

[الكثير] (٤٥) المُلْتَفّ ، ويقال : الأَجمة ، وكذلك الأَيْكَة . والدَّغَل والغِيْل [نحوه] (٤٥) ، والغِرْيَفُ (٤٦) مثلُه .

والشَّعْرَاء : الشجر الكثير .

والزَّارَة : الأَجَمَة .

والأَبَاءة : الأَجَمَة ، ويقال [٧١ / ب] : هي من الحَلْفاء خاصّة ، والخِيْسُ مثله .

والأَشَب : كثرة الشجر [أيضاً] (٤٧) .

باب ابتداء نبات الأشجار (٤٨) وتوريقها

[قال] (٤٩) الأصمعي : يقال للرِّمث أول ما يتفطّر ليخرج ورقُه : قد أقْمَل . فاذا زاد قليلاً قيل : [قد] (٤٩) أدْبَى . فاذا ظهرتْ خُضْرته قيل : بَقَل . فاذا ابْيَضَّ وأدْرَك قيل : حَنَط . فاذا جاوزَ ذلك قيل : أوْرَس ؛ فهو وارِس ، ولا يقال منه مُوْرِس .

واذا تفطّر العَرْفَج ليخرج قيل : قد أخْوَص .

واذا تفطّر العِضاهُ قيل : قد نَضَح ، قال ابو طالب بن عبد المطلب :

ليتَ شِعري مُسَافِر بن ابي عَمْـ ـرو وليتٌ يقولها المحزونُ
بُوْرِكَ الميّتُ الغريب كما بو رِكَ نَضْحُ الرمّان والزَّيتونُ (٥٠)

(٤٥) زيادة من ت و م .
(٤٦) جاء في هامش ت مانصه : « والغريف الأجمة ، ووقع في كتاب ابي عبيد : الغريف » ، والوارد في المعجمات الغريف بفتح الغين وكسر الراء بمعنى الأجمة ، أما الغِرْيَف – بكسر الغين وسكون الراء وفتح الياء – فهو شجر .
(٤٧) زيادة من م .
(٤٨) في الأصل : « الشجر » وما أثبتناه من ت و م .
(٤٩) زيادة من ت .
(٥٠) ديوان ابي طالب – صنعة ابي هفان – : ١٦/أ وصنعة علي بن حمزة : ٥١/ب .

قال : والرِّبْل ضروبٌ (٥١) من الشجر اذا بَرَدَ الزمانُ عنها وأدبر الصيف (٥٢) تَفَطَّرَتْ بورقٍ أخضر من غير مطرٍ ، يقال [منه](٥٣) : [قد] (٥٤) تَرَبَّلَت الأرضُ .

والخِلْفَة : نبات ورقٍ دون ورق (٥٥) .

والغَمير : النبت ينبُتُ في أصل النبت حتى يغمر الأول . [و] (٥٦) قال ابو عمرو في الغمير مثله .

وقال الأصمعي : الإعبال : وقوع الورق ، يقال أعْبَلَت الأشجارُ اذا سقط ورقها ، واسم الورق : العَبَل . وقال ابو عمرو : العَبَل مثل الورق وليس بورق . [وقال] (٥٦) ابو عبيدة : العَبَل كلُّ ورق مفتول كورق الأَرْطى والأَثْل والطَّرفاء وأشباه ذلك .

[و] (٥٦) قال الأصمعي : وما وقع من ورق الشجر فهو سَفير .

وقال ابو عمرو : السِّنْف (٥٧) : الورقة (٥٨) ، قال ابن مقبل :

---

(٥١) في الأصل : «ضرب» ، وما أثبتناه من ت و م ، وفي إبات الأصمعي : «والربل وجماعه ربول وهي ضروب من النبات» .

(٥٢) في ت : اذا برد الزمان وأدبر الصيف عنها . وفي م : اذا برد الزمان عليها وأدبر عنها الصيف .

(٥٣) زيادة من ت و م .

(٥٤) زيادة من م .

(٥٥) في نبات الأصمعي : بعد ورق . وفي العباب (خلف) : ورق يخرج بعد الورق الأول في الصيف .

(٥٦) زيادة من ت .

(٥٧) في م : ابو عمرو قال والسنف الخ .

(٥٨) قال علي بن حمزة : «وروى ابو عبيد عن ابي عمرو : السنف الورقة ، قال ابن مقبل : تقلقل سنف المرخ في جبة صفر . وابو عمرو بعيد من هذا الغلط المبلل ، ما هذا الشعر لابن مقبل ، ولا رواية الشعر : تقلقل سنف المرخ ، ولا للمرخ ورقة ، ولا السنف بورقة . ولكنه سمع ذكر ابن مقبل في جملة أشياء سمعها صحيحة ، فحفظها غير ملسبع ، وصنف =

تَتَلْقَلُ سِنْفِ المَرْخِ في جَعْبَةِ صِفْرِ (٥٩)

عن ابي عمرو : أَمْصَخَ الثُّمام : خرجتْ أما صِيخُه ؛ واحدته أَمْصُوخة ، وأَحْجَنَ : خرجتْ حُجْنَتُه ، وكلاهما خُوص الثمام .

عن ابي عمرو : اذا مُطر العَرْفَج ولانَ عُودُه قلتَ : قد ثَقَّب عودُه . فاذا اسْوَدَّ شيئاً قيل : قد قَمِل [٧٢ / أ] ، لأنه يُشَبَّه ما يخرج منه بالقمْل . فاذا ازداد [شيئاً] (٦٠) قليلاً قيل : قد أرْقاطَ . فاذا ازداد قليلاً آخر قيل : أدْبَى ، لأنّه يُشَبَّه بالدَّبا ، وهو حينئذ يصلح أن يُؤكَل . فاذا تمت خُوصتُه قيل : قد أخْوَص .

باب نُعُوت الأشجار في ورقها والتفافها

[قال] (٦٠) ابو عمرو : شجرة فَنْواء : ذات أفنان . قال ابوعبيد : كان ينبغي أن يكون فَنّاء — من الفَنَن — على القياس ، ولكنْ هكذا قاله (٦١) وشجرة قَنْواء : طويلة .

= على حفظه الفاسد ، وستري من أين أتي فيما أذكره لك إن شاء الله : قال ابو زياد : من العضاه المرخ ، وهو يتفرش ويطول في السماء حتى يستظل به ، وليس له ورق ولا شوك ، وعيدانه سلبة قضبان دقاق . . . ومنه يكون الزناد التي يقتدح بها ، وتخرج في المرخة ثمرة كأنها هذا الباقلي ، الا أنها أعرض محددة الطرف ، ومن أجل ذلك يقول ابن مقبل :

يرخي العذار ولو طالت قبائله ... عن حشرة مثل سنف المرخة الصفر

فهذا لابن مقبل لامارَوى . ثم قال ابو زياد : والسنف وعاء ثمر المرخة يخرج فيها ، فاذا يبس سقط حبه وبقي في المرخة قشره ذاك وهو سنفه . وقال ابو حنيفة : أخبرني بعض أعراب عمان فذكر كلاماً قال فيه : والمرخ خوار خفيف العود ، لخفته قال الجعدي في وصف الفرس :

تتلقل عن فأس اللجام لسانه ... تتلقل عود المرخ في جعبة صفر

فهذه الرواية « عود المرخ » ، والشاعر الجعدي ، والسنف وعاء الثمرة ، والمرخ لاورق له ، وابن مقبل صاحب بيت لم يأت به » التنبيهات : ٢٢٨ — ٢٢٩ .

(٥٩) الشطر في ديوان ابن مقبل : ١٠٨ ، وصدره فيه (تتلقل عن فأس اللجام لهاته) وفيه أيضاً « في الجعبة الصفر » .

(٦٠) زيادة من ت .

(٦١) في م : «أن تكون فناء في القياس ، ولكن كذا قال » وقد سقطت هذه الجملة من ت .

[و] (٦٢) قال الكسائي : شجرة مَرْداء وغُصْن أمرد : لاورَق عليهما . وشجرة [وَرِقَة و] (٦٣) وَرِيقَة : كثيرة الورق .

وقال ابو عمرو : الزَّمْخَر : الكثير (٦٤) المُلْتَفّ من الشجر .

[وقال] (٦٢) غيره : الخُوْط : القَضِيب :

والشَّكِير من الشجر : ما نبت حول الشجر (٦٥) .

والرَّبُوض : الشجرة العظيمة ، قال ذو الرمّة :

تَجَوَّف كلَّ أرْطاةٍ رَبُوضٍ (٦٦)

[قال] (٦٢) : والدَّوحة : العظيمة .

والوارِقَة (٦٧) : الخَضْراء الورق الحَسَنَتُه .

وأمّا الوَرَاق (٦٨) فخُضْرة الأرض من الحشيش ، وليس هو من الورق ، قال أوْس بن حَجَر :

كأنَّ جِيادَهُنَّ برَعْنِ زُمٍّ   جَرَاد قد أطاع له الوَرَاقُ (٦٩)

[زُمّ : أرضٌ] (٦٢) .

[قال] (٦٢) : والخُرْص كلُّ قَضِيب من شجرة ، قال قيس بن الخَطِيم :

---

(٦٢) زيادة من ت .
(٦٣) زيادة من ت و م .
(٦٤) كذافي الأصل و م ، وفي ت : الكثيف .
(٦٥) في ت وم : الشجرة .
(٦٦) ديوان ذي الرمة : ١٥١٢/٣ ، وعجز البيت : من الدهنا تفرعت الحبالا .
(٦٧) في ت : والوارفة ، بالفاء .
(٦٨) في ت : وقال غيره وأما الوراق الخ .
(٦٩) ديوان أوس : ٧٩ ، وفيه : كأن جيادنا في رعن .

تَرى قِصَدَ المُرّان يُلْقى كأنّه تَذَرُّع خِرْصانٍ بأيدي الشّواطبِ (٧٠)

واحدتها شاطِبة ، وهي التي تقشر عَسيب النخلة لتُعْمَل منه الحَصير ، ثم تُلْقيه الشاطبة الى المُنَقِّية .

باب ثمار الشجر وما يبقى من الشجر

[قال] (٧١) الأصمعي : البَرير ثمر الأراك ، فالغَضُّ منه : المَرْد ، والنَّضيج : الكَبَاث (٧٢) .

والعُلَّف : ثمر الطّلْح ، واحدته عُلَّفَة .

[قال] (٧١) : والحَبَلة : ثمر العِضاه . قال ابو عمرو في الحَبَلة مثله .

قال ابو عمرو : البَرَم : ثمر الطّلْح ، واحدته بَرَمَة .

[وقال] (٧١) الفَرّاء : المُصعَة : ثمر العَوْسَج ، وجمعها مُصَع (٧٣).

[وقال] (٧١) الأصمعي : العُرْوَة من الشجر : الشّيء الذي [٧٢ / ب] لايزال باقياً في الأرض لا يذهب ، وجمعه عُرى ، وهو قول مُهَلْهِل :

شَجَرُ العُرى وعُرَاعِرُ (٧٤) الأقوامِ (٧٥)

[وقال] (٧٦) ابو عبيدة في العُرْوَة مثله أو نحوه ؛ الا أنه قال : هذا

---

(٧٠) ديوان قيس : ٣٣ ، وفيه : ترى قصد المران تهوي كأنها تذارع خرصان .

(٧١) زيادة من ت .

(٧٢) في نبات الأصمعي المطبوع : والغض منه الكباث ، والمدرك منه المرد .

(٧٣) ورد قول ابي عمرو في البرم وقول الفراء في المصعة، في الأصل ، بعد قول الأصمعي في العروة وقبل قول ابي عبيدة ، وقد وضعناهما هنا كما في ت وم . وهو الألصق بسياق الكلام.

(٧٤) جاء في هامش ت ما لفظه : «يروى عراعر وعراعر على الواحد والجمع» . أي بفتح العين وضمها.

(٧٥) البيت لمهلهل في الجمهرة : ٢/٣٩٠ والتهذيب : ١/١٠٣ و ٣/١٥٩ والمقاييس : ٤/٣٧ و٢٩٥ والمخصص : ٢/١٦٤ و١٥/١٧٧ وتركيب (عرى) في الصحاح والعباب واللسان. وعزاه في الأساس (عرى) للبيد ، ويراجع في التعليق على هذا العزو : ديوان لبيد ٣٥٨ ، وصدره : (خلع الملوك وسار تحت لوائه) .

(٧٦) زيادة من ت وم .

البيت لشُرَحْبِيل رجلٍ من بني تَغْلِب (٧٧) . [وقال] (٧٨) ابو عمرو مثل قولهما في العُرْوَة أو نحوه .

باب ابتداء النبات وإدباره

[قال ابو عبيد] (٧٨) : قال الأصمعي : العرب تقول : شَهرٌ ثَرى [بالثاء] (٧٨) وشَهرٌ تَرى [بالتاء] (٧٨) وشهرٌ مَرْعى (٧٩) . فأمّا قولهم « ثَرى » فأول (٨٠) ما يكون المطر فتَبْتَلُّ منه الأرض ، ثم يطلع (٨١) النبات فذلك قولهم : شهرٌ تَرى (٨٢) ، ثم يطول بقَدر ما يمكن النَّعَم أنْ ترعاه [فذلك المَرْعى] (٨٣) .

قال : فاذا حَسُنَ نباتُها قيل : قد اكْتَهَل . فاذا اشتَدَّ (٨٤) خَصاصُ النبت قيل : قد استكَّ (٨٥) . فاذا خرج زَهَرُه قيل : قد جُنَّ جُنُوناً وقد أخذ زُخَارِيَّه ، قال ابنُ أحمر :

وجُنَّ الخازِباز به جُنُونا (٨٦)

[قال] (٨٣) : وقال ابن مقبل :

زُخاريُّ النبـات كأنَّ فيـه ... جِيادَ العبقريَّـة والقُطُوع (٨٧)

---

(٧٧) وكذلك عزاه ابن بري وقال : « هو الصحيح » . اللسان (عرا) .
(٧٨) زيادة من ت .
(٧٩) وفي نبات الأصمعي : « شهر ثرى وشهر ترى وشهر مرعى وشهر استوى » وفسر الأخير بقوله : ثم يستوي النبت في الربيع (أو : الرابع) ويكتهل » .
(٨٠) وفي ت و م : فهو أول .
(٨١) في ت : « فيطلع » بدل « ثم يطلع » .
(٨٢) في ت : فذلك قولهم ترى ، وفي م : فذلك قولهم ثرى ، وفي نبات الأصمعي كالأصل .
(٨٣) زيادة من ت و م .
(٨٤) في نبات الأصمعي المطبوع « استد » وذكر محققه أن الأصل اشتد .
(٨٥) في ت : استد .
(٨٦) الشطر في شعر ابن أحمر : ١٥٩ ، وصدره : تفقأ فوقه القلع السواري . ولم يرد الشاهد وقائله في ت و م .
(٨٧) ديوان ابن مقبل : ١٦٢ .

[قــال] (٨٨) : فاذا كــادَ يغطّي الأرضَ أوغطّاها بكثرته قيل : قــد استَحْلَسَ . فاذا اتّصل (٨٩) بعضُه ببعض قيل : قــد وَصَتِ الأرض فهي واصيَة . فاذا بلغ والتفّ قيل : قد استأسَدَ .

وقال ابو عمرو : فاذا صــار بعضه أطــول من بعض قيــل: تَنَاتَل النبتُ .

وقال ابو زيد : أبْشَرَتِ الأرضُ : اذا أخرجتْ نباتها ، وما أحسن بَشَرَةَ الأرض . وأودست الأرضُ وما أحسن وَدَسَها : مثلُه .

[وقال] (٨٨) ابو عبيدة : تَوَدَّسَت (٩٠) الأرضُ .

[وقال] (٨٨) الكسائي : اضبَأكت الأرضُ واضمأكتْ : اذا خرج نباتُها (٩١) .

ابو زياد [الكلابيُّ] (٨٨) والأحمر [قالا] (٨٨) : أمْشَرَت الأرضُ وما أحسن مَشَرَتها (٩٢) .

وطرَّ النبتُ يَطُرُّ طُرُوْراً : اذا نبت ، عن الكسائي (٩٣) ، وكذلك الشارب :

---

(٨٨) زيادة من ت .

(٨٩) في ت : فاذا استحلس .

(٩٠) في الأصل و م : ترسدت ، وما أثبتناه من ت .

(٩١) في ت : نبتها .

(٩٢) جاء في هامش ت مانصه : « في الأصل والسماع : مشرتها » بسكون الشين ، وكلاهما صواب . وقد ورد قول ابي زياد والأحمر في كل من ت وم قبل قول الكسائي : اضبأكت الخ .

(٩٣) لم ترد جملة «عن الكسائي » في ت وم لأن قوله : (طر النبت الخ) قد ورد فيهما بعد قوله المتقدم : اضبأكت الخ .

[وقال] (٩٤) الأموي : كَشَأَ النبتُ والزَبَرُ : اذا طلع [٧٣ / أ] ، عن الكسائي . فاذا طلع يقال : قد ظَفَّر (٩٥) تظفيرا (٩٦) .

وقال الفرّاء : اللُّعاع أول النبت ، يقال : قد ألَعَّت الأرض ، وتَلَعَّيْت أنا : أكلته (٩٧) .

غيره : اكْتَهَل : طال .

وقال الأصمعي (٩٧) : فاذا تهيأ النبات لليبس قبل : [قد] (٩٨) اقطارّ . فاذا يبس وانشق قيل : قد تصوَّح . فاذا تمّ يبسه قيل : قد هاجت الأرض تهيج هياجاً . فإنْ كان من أحرار البقول وذكورها قيل لما يبس منه : اليَبِيْس (٩٩) والجَفِيف والقَفّ .

[قال] (٩٤) : وما كان من البُهْمى خاصةً فان شوكها هو السَّفا ، ويبيسها [هو] (٩٤) العِرْب والصَّفّار . وأوّل (١٠٠) ما يبدأ منها : البارض. فاذا تحرّك قليلاً فهو جَمِيم . فاذا ارتفع وتمّ من قبل أن يتفقأ : فهي (١٠١) الصَّمْعاء . فاذا تكسّر اليبيسُ فهو حُطام . فاذا ركب بعضُه بعضاً فذلك الثِّنُّ (١٠٢) . فاذا اسودّ من القِدَم فهو الدِّنْدِن . وكل حُطام شجرٍ أو

---

(٩٤) زيادة من ت .
(٩٥) في ت : قيل ظفر ، وفي م : قيل قد ظفر .
(٩٦) وردت هاتان الفقرتان (ظفر) و(اللعاع) في م في آخر الباب .
(٩٧) وردت فوق كلمة « الأصمعي » في ت كلمة « الاموي » ، وفي م : « قال » ولم يرد اسم القائل .
(٩٨) زيادة من ت وم .
(٩٩) في م : اليبس . وفي نبات الاصمعي : اليبس واليبس .
(١٠٠) في م : فأول .
(١٠١) في م : فهو .
(١٠٢) في ت وم : فهو الثن .

حَمْض أو أحرار البقول أو ذكورها (١٠٣) فهو الدَّرِيْن اذا قَدُم ؛ عن ابي عمرو . والدَّرِيل : الذي قد أتى عليه عام .

[وقال] (١٠٤) الأصمعي : فاذا يبس الكَلأُ ثم أصابه مطر قبل الصيف فاخضرَّ فذلك النَّشْر .

وقال ابو زيد : عَرَدَ النبت يَعْرُد عُرُوداً : اذا طلع ونجم ، وكذلك الناب وغيره .

[وقال] (١٠٤) غيره : الخِلْفَة : ما نبت في الصيف ، والذَّرِيُّ : ما يبس منه .

فاذا طال النبتُ قيل : قد تَرَوَّح ، فهو مُتَرَوِّح .

والهَجير : ما يبس من الحَمْض ، قال ذو الرُّمة :

ولم يَبْقَ بالخَلصاء ممّا عَنَتْ بـه من الرُّطب الا يَبْسُها وهجيرُها(١٠٥)

ويُروى : « يُبْسُها » ، فهما (١٠٦) لُغَتان ، عن ابي عمرو . عَنَتْ : أنْبَتَتْ .

ابو عمرو : اقْتَانَّ النبتُ اقْتِيْناناً (١٠٧) اذا حَسُن ، ومنه قيل للمرأة مُقَيِّنة : أيْ انها تُزَيِّن .

غيره : القَفْل : ما يبس منه أيضاً ، قال ابو ذؤيب يذكر أنه عرقب ناقةً :

---

(١٠٣) في م : واحرار البقول وذكورها .
(١٠٤) زيادة من ت .
(١٠٥) ديوان ذي الرمة : ٢٢٧/١ ، وفيه : (من النبت الا يبسها) .
(١٠٦) في م : « وهما » ، ولم ترد الكلمة في ت .
(١٠٧) هكذا ورد الفعل ومصدره في الأصل ، كاقشعر ، ولكنه في ت وم واللسان (قين) : اقتان اقتياناً ، وقال في التاج انه الصواب .

فتخَتَّرتْ كما تتَتَايع الريحُ بالقَفْلِ (١٠٨)[٧٣ / ب]

باب ضُرُوب النبت المختلفة

[قال الأُمويّ] (١٠٩) : الحُوَّاءة نبت: شبه لَوْن الذئب .

[وقال] (١٠٩) الكسائي : الذَّآنين نبتٌ والطَّراثيث نبت ، والواحد ذُؤْنُون وطُرْثُوث . ويقال : خرج الناسُ (١١٠) يتَذَأْنَنُون ويتطرثثُون: اذا خرجوا يأخذون ذلك ، ويتمغفرون : اذا خرجوا يأخذون المغافير . وقال ابو عمرو : المغافير مثل الصَّمغ يكوّن في الرِّمْث وغيره ، وهو حلو يؤكل ، واحدها مُغْفُور ، يقال منه : قد أغْفَرَ الرِّمْث .

قال : والبُرْعُوم : زَهَرُ النبت قبل أنْ يتفتّح .

[وقال] (١٠٩) الأصمعي : الخافور نبتٌ . والحَزّاء — ممدود — : نبت (١١١) . والسِّحاء — ممدود — : نبتٌ تأكله النّحلُ فيطيب عسلها عليه . والذُّبَحُ: نبت أحمر تأكله النّعام. والحُمّاض والقَسْوَر والثَّغام: كلُّه نبتٌ .

والخَلى: الرَّطْب من الحشيش(١١٢) ، وبه سُمّيت المِخْلاة ، فاذا يبس فهو حشيش ، تقول منه (١١٣) : حَشَشْتُ فأنا أحُشُّ . والمَحَشُّ : الشيء الذي يُجعَل فيه الحشيش ، ويقال : مِحَشٌّ بكسر الميم .

والأَيْهُقَان : الجرجير ، [قال لبيد :

---

(١٠٨) ديوان المداليين : ١/٣٨ ، وصدره : (ومفرعة عشى تدرت لرجلها) ، والرواية فيه (تتابع) بالباء الموحدة .

(١٠٩) زيادة من ت .

(١١٠) في ت : خرج القوم .

(١١١) في ت : «والحزاء نبت ، ممدود» .

(١١٢) قال علي بن حمزة: «وقال ابو عبيد : والخلى الرطب من الحشيش . وانما هو الرطب بالضم ، فأما الرطب فضد اليابس» التنبيهات : ٢٢٩ .

(١١٣) في ت : يقال منه .

فَعَلا فروعُ الأَيْهُقان وأطفلتْ بالجَلْهَتَيْن ظباؤها ونعامُها](١١٤)

والحُرُض : الأُشنان . والحَبَق : الفُوذَنَج . والبُطم : الحبة الخضراء . والقَصَافص : الرَّطْبة ، واحدتها (١١٥) قَصْفَصَة ، وأصلها بالفارسية : أسْبِسْت . والقَفُّور : نبت . واللُّعاعة : بقلة ناعمة .

عن الأصمعي : العُنْصَل بَصَل البَرّ ، [ويقال العُنْصُل] (١١٦) . والرِّبَّة : بقلة ، وجمعها رِبَب . والقَنَا : عِنَب الثعلب ، ويقال : نبت . والمُكُور : نبت . والنَّصِيّ (١١٧) والشُّدَّاء — ممدود — : نبت . والعَلَجان : نبت . والعَرَاد : نبت ، والواحدة (١١٨) عَرَادة ، وبها (١١٩) سُمِّي الرَّجُل . والحاذ : نبت ، واحدته حاذة . والقُلْقُلان : نبت ، وكذلك القُلاقِل . والثَّمَاني : نبت (١٢٠) . واليَرُوق : نبت . والخِمْخِم (١٢١) نبت. والعِظْلِم نبت ، ويقال : انه الوَسْمَة . [و](١٢٢)

(١١٤) زيادة من ت ، والبيت في ديوان لبيد : ٢٩٨ .
(١١٥) في ت : واحدها .
(١١٦) زيادة من م .
(١١٧) كذا في الأصل ، ولعل كلمة (النصي) زائدة ، ولم ترد في ت وم .
(١١٨) في ت وم : : واحدته .
(١١٩) في م : وبه .
(١٢٠) هكذا ضبطت الكلمة في الأصل وت واللسان والقاموس . وقال علي بن حمزة معقباً على ذلك : « وقال : الثماني نبت . وليس في النبت شيء يقال له الثماني ، ولولا أنه أتى بالأثاني لظننت أنه قلبه . . . قلت أدري من أي شيء صحف هذا الحرف ، الا أن يكون سمع بيت ذي الرمة :
ولم يبق ألواء الثماني بقية   من الرطب الا بطن واد وحاجر
فظن أن الثماني نبت ؛ لما سمع ذكر الرطب وقرأه بالضم، فأخطأ في القراءة والتفسير ، وانما الثماني هاهنا هضبات ، والألواء جمع لوى . فأكبر ظني أنه من هذا قلبه » التنبيهات : ٢٢٩ — ٢٣٠ .
(١٢١) وردت الكلمة في الأصل وت بالخاء المعجمة ، وفي م بالمهملة ، وجاء في هامش ت : « والحمحم أيضاً » ، وكلاهما وارد .
(١٢٢) زيادة من ت و م .

العَنْدَم : دَمُ الأَخَوَيْن ، ويقال : هـو الأَيْدَع [٧٤/أ] أيضاً ، ويقال : هـو البَقَّم . والعِشْرِق : نبت . والقَضْب : الرَّطْبة . والحَفَأُ — مقصور مهموز — : البَرْدِيُّ . والجَدْر : نبتٌ . والآء — على وزن الماع ، واحدته آءَةٌ — والتَّنُّوم — واحدته (١٢٣) تَنُّومة — : نبتان (١٢٤) ، قال زهير :

أَجْنَى له بالسِّيِّ تَنُّوم وآءُ (١٢٥)

والحَلِيُّ : نبت . والمَكْنان : نبت . والشَّقِر : شقائق النعمان ، ويقال : نبتٌ أحمر ، واحدته شَقِرَة ، [وبها سُمِّي الرَّجُل] (١٢٦) ، قال طَرَفة :

وعَلا الخَيْلَ دِماءٌ كالشَّقِرْ (١٢٧)

[وقال الآخر :

قد أحمل الرمحَ الطويل كعوبُه به من دماء القوم كالشَّقِرات](١٢٨)

---

(١٢٣) في الأصل : « واحده » ، وما أثبتناه من ت وم .

(١٢٤) في الأصل : . . والتنوم نبت واحده تنومة ، وفي ت وم : والآء والتنوم نبتان ، واحدته آءة وتنومة ، وما أثبتناه ملفق من مجموع ذلك .
وقال علي بن حمزة معلقاً على ذلك : « ليس الأمر كذلك ، وانما الآء ثمر السرح. قال ابو عمرو : والسرح يشبه الزيتون، وثمره الآء واحدته آءة . وقال ابو زياد : وللسرح عنب يسمى الآء واحدته آءة، يأكلها الناس، أبيض، ويربيون منه الرب. ولكن ابا عبيد لما سمع قول الشاعر :
أصك مصلم الاذنين أجنى له بالسي تنوم وآء
ظن أن الآء شجر كالتنوم » التنبيهات : ٢٣٠ .

(١٢٥) ديوان زهير : ٦٤ ، وبقيته كما تقدم في الحاشية السابقة .

(١٢٦) زيادة من ت وم .

(١٢٧) ديوان طرفة : ٦٤ ، وصدره فيه : (وتساقى القوم كأساً مرة) .

(١٢٨) زيادة من م . وقد ورد البيت في الجمهرة : ٣٤٦/٢ (وفيه : الرمح الأصم) وعزاه للحارث بن مازن بن عمرو بن تميم ، وهو في التكملة (شقر) معزواً لشقرة ابي قبيلة من العرب ، وورد في التاج (شقر) أيضاً وعزاه لشقرة وقال : هو لقب معاوية بن الحارث ابن تميم أبي قبيلة من ضبة بن أد بن أدد .

والأَفاني : نبت ، واحدته أفانِيَة ، وهو نبت أحمر وأصفر (١٢٩) .

قال : والمُرار : نبتٌ أو شجر اذا أكلَتْه الابلُ قلصتْ عنه مَشافِرُها ، ومنه قيل لحجرٍ : آكِل المُرار . قال ابو عبيد : أخبرني ابن الكلبي أن حجراً انما سُمّي آكِلَ المُرار : انّ ابنة له كان سبَاها مَلِكٌ من مُلوك سَليح يقال له ابنُ هَبُولة ، فقالت له ابنة حُجْر : كأنك بأبي قد جاءك (١٣٠) كأنه جَمَلٌ آكِل مُرارٍ ، تَعْني (١٣١) كاشراً عن أنيابه . وواحدة (١٣٢) المُرار مُرارة ، وبها (١٣٣) سُمّي الرَّجُل .

والغَذَم : نبت ، قال القطاميّ :

في عَثْعَثٍ يُنْبِت الحَوْذانَ والغَذَما (١٣٤)

والعَيْشُوم : نبت .

وقال ابو عمرو : الذُّرَق : الحَنْدَقُوقى (١٣٥) ، قال رؤبة :

حتى اذا ما هاج حيرانُ الذُّرَقْ (١٣٦)

والحيْرَان : جمع حَيْرٍ (١٣٧) .

---

(١٢٩) في ت وم : والأفاني نبت احمر وأصفر ، واحدته أفانية .
(١٣٠) في ت : قد أتاك ، وفي م : بأبي جاء .
(١٣١) في الأصل : يعني ، وما أثبتناه من ت وم .
(١٣٢) في الأصل : وواحد ، وما أثبتناه من ت وم .
(١٣٣) في ت : وبه .
(١٣٤) ديوان القطامي : ٩٨ ، وصدره فيه : كأنها بيضة صفراء خد لها . وعزاه الدينوري في نباته : ٥/١٠٩ للأخطل ، ولم يرد في ديوانه . وقيل : ان الصواب في البيت المذكور هو العين المهملة وان المعجمة تصحيف كما في اللسان .
(١٣٥) في م : الحندقوق . وكلاهما وارد .
(١٣٦) ديوان رؤبة : ١٠٥ ، ونصه فيه : حتى اذا ما اصفر حجران الذرق .
(١٣٧) جاء في اللسان (حير) : «ولايقال حير ، الا أن ابا عبيد قال في تفسير قول رؤبة : حتى اذا ما هاج حيران الذرق : الحيران جمع حير ، لم يقلها أحد غيره ، ولاقالها هو الا في تفسير هذا البيت . قال ابن سيده : وليس كذلك أيضاً في كل نسخة » . وجاء في هامش ت : «قال أبو محمد : الصواب جمع حاير» .

والجَرْجار : نبت . والحُلَّب : نبت .

وقال الفَرّاء : الثَّصَف : شيءٌ يَنْبُت في أصْل الكَبَر كأنه خيارٌ(١٣٨)

[وقال] (١٣٩) ابو عمرو : الذَّنَبان : نبت . والعرّار نبت . والحَنْوَة : نبت طيّب الريح . والخُزامى والجَثْجاث : نبتان طيبا الريح .

[والبُرْعُوم : النَّوْرُ قبل أن يَتَشَقّق] (١٤٠) .

[والعِشْرِق : نبت] (١٤١) .

باب الكَمْأة

قال الأصمعي : من الكَمْأة الجِبَأةُ — تقديره جِبَعَة — . وبنات أوْبَر ، واحدها ابن أوْبَر . والعَساقيل . والفَقْع . والفِرَدَة . والمَغْرُودة(١٤٢)

[و] (١٣٩) قال ابو زيد : الجِبَأة — مَقْصُور — منها : الحُمْر . والفَقَعَة : البِيْض ، واحدها فَقْع . وواحد الجِبَأة جَبْءٌ ، وثلاثة أجْبُؤ ، وكَمْءٌ وأكْمُؤ . قال : وبنات أوْبَر [٧٤ / ب] هي (١٤٣) المُزَغَّبَة .

---

(١٣٨) في ت خيارة .

(١٣٩) زيادة من ت .

(١٤٠) زيادة من م .

(١٤١) زيادة من ت وم .

(١٤٢) في الأصل : «والمفرودة» ، وما أثبتناه من ت وم واللسان نقلا عن ابي عبيد ، وقال في اللسان بعد ايراد الكلمة : «فرد ذلك عليه» . وقال علي بن حمزة : «وقال في باب الكمأة : والفقع والفردة والمفرودة . فأما الفردة فقد رويت عن الأصمعي ، وأكثر الرواة على فتحها . وأما المفرودة فلم يقلها قط أحد ، وانما هو المغرود — بلاهاء والميم مضمومة — والجمع المغاريد ، وهذه الكلمة مشروحة في كتب أهل اللغة ، قالت الرواة : ليس في كلام العرب فعلول مضموم الفاء الا خمسة أحرف : مُغرور — وهو المغفر — ومعلوق ومنخور ومغفور ومغرود . فتفتح ميمها ابو عبيد وأوجد من عنده هاء» التنبيهات : ٢٣٠ .

(١٤٣) في ت : وهي .

وقال الأحمر : الكَمْأة : هي التي الى الغُبْرة والسواد ، والجبأة : التي الى الحمرة ، والفَقَعَة : البِيْض ، وبنات أَوْبَر : الصِّغار ، وأنشد (١٤٤) :

ولقد جَنَيْتُكَ أكْمُؤاً وعَساقِلاً ولقد نَهَيْتُكَ عن بنات الأَوْبَرِ(١٤٥)

[وقال] (١٤٦) الأُمويّ : الجَمَامِيس : الكَمْأة أيضاً .

وقال الفرّاء (١٤٧) : القُلاَعَة [بالتخفيف] (١٤٨) والقُلاّعة [بالتشديد] (١٤٨) : هما قِشْر الأرض الذي يرتفع عن الكَمْأة فيدلّ عليها . وهي القِلْفِعَة أيضاً .

[وقال] (١٤٦) ابو عمرو : الغَرَاد : الكَمْأة الصِّغار ، واحدتها غَرَادة ، ويقال أيضاً : هي الغِراد ، واحدتها غَرَدَة .

باب قَطْع الشجر وقَشْر لحائه وكَسْره والكَرْم

[قال] (١٤٩) الأصمعي : الشَّذَب قِطَعُ الشجر ، واحدتها شَذَبَة .

والقُطُل : المقطوع من الشجر ، قال المتنخّل الهُذَلي :

كما تَقَطَّرَ جِذعُ الدَّومة القُطُلُ (١٥٠)

فاذا قُطِعَت الشجرة ثم نبتتْ قيل : قد أَنْسَغَتْ ، وكذلك الكَرْم .

قال : والجَفْنَة : الأصل من أصول الكَرْم ؛ وجمعه الجَفْن ، وهي الحَبَلة .

---

(١٤٤) في ت : وأنشدنا .

(١٤٥) البيت – بلا عزو – في الجمهرة : ٢٧٨/١ والتهذيب : ٢٨٠/٣ و١٩٥/١١ و٢٦٥/١٥ والصحاح (وبر) والمخصص : ١٦٨/١ و١٢٦/١١ (وفيه : ولقد نجوتك) و٢٢٠/١٣ و٢١٥ و١٢٠/١٤ وتركيب (وبر) في العباب واللسان والتاج .

(١٤٦) زيادة من ت .

(١٤٧) في الأصل : « الفراء قال » ، وما أثبتناه من ت .

(١٤٨) زيادة من م .

(١٤٩) زيادة من ت وم .

(١٥٠) ورد الشطر في هامش الأصل مع الاشارة الى مكانه فيه ، ولم يرد في ت وم ، وهو في ديوان الهذليين : ٣٤/٢ ، وصدره فيه : مجدلاً يتلقى جلده دمه كما يقطر الخ .

[وقال] (١٥١) ابو عمرو : الزَّرَجُون : الكَرْم .

قال (١٥٢) : والنَّجَب : لِحَاء الشجر ، يقال منه : نَجَبْتُ الشجرةَ أنْجُبُها [وأنْجِبُها] (١٥١) : اذا قَشَرْتَها (١٥٣) . [وقال] (١٥١) ابو زيد : أنْجَبْتُ قَضيباً من الشجرة : قَطَعْتُه (١٥٤) .

والدَّغَلُ : الشجر الكثير المُلتفّ . [وقال] (١٥١) الأصمعي في الغِيل مثله .

[باب عَطْف العُود وكَسْره] (١٥١)

ابو زيد : انْخَضَدَ العُود انْخِضاداً وانْعَطَّ انْعِطاطاً (١٥٥) : اذا تثنّى من غير كَسْر بَيِّن . فإنْ عطفتَه قلتَ (١٥٦) : حَفَفْتُه أحْفِفُه حَفْضاً وحَنَوْتُه أحْنُوه حَنْواً وأطَرْتُه آطِرُه (١٥٧) أطْراً .

[قال] (١٥٨) : والأجْذال أصول الحَطَب العظام المُقَطّع (١٥٩) ، الواحد (١٦٠) جِذْل .

[قال] (١٥١) : والجَزْل : اليابس من الحطب .

وقال غيره : الأُبَنُ : العُقَد في العُود ، واحدتها أُبْنَة . والقادح :

(١٥١) زيادة من ت .
(١٥٢) في الأصل : ابو عمرو النجب . وما أثبتناه من ت .
(١٥٣) في م : اذا أنجدتها .
(١٥٤) ورد قول ابي زيد هذا في ت وم في آخر الباب بعد قول الأصمعي في الغيل .
(١٥٥) في الأصل و ت : « انغط انغطاطاً » بالغين المعجمة ، وما أثبتناه من م ، وهو الصواب .
(١٥٦) في م : قيل .
(١٥٧) هكذا ضبط الفعل المضارع في الأصل ، وضبط بضم الطاء في ت ، وكلاهما وارد .
(١٥٨) زيادة من ت و م .
(١٥٩) وردت كلمة « المقطع » في هامش الأصل ، ولم ترد في ت وم .
(١٦٠) في ت وم : واحدها .

الصَّدْع في العُود. والأَسْتَن (١٦١) : اصول الشجر ، واحدته (١٦٢) أَسْتَنَة .

والوَصْمُ (١٦٣) : الكَسْر .

باب الشجر المُرّ [١٧٥أ /]

[قال] (١٦٤) الأصمعي : الصّاب والسَّلَع : ضَرْبانِ من الشجر مُرّان . قال : فأمّا المَقِر فانه (١٦٥) الصَّبِر نفسه . [وقال] (١٦٤) الأُموي في المَقِر مثله . قال ابو عمرو : هو شجر مُرّ . وقال ابو الحسن (١٦٦) الأعرابي : المُمْقِر : الحامض ، وهو المَقِر أيضاً ، بَيِّن المَقَر (١٦٧) .

[وقال] (١٦٤) غيره : القَار شجر مُرٌّ ، قال بِشْر [بن أبي خازم] (١٦٤) :

يَسُومُون الصَّلاحَ بذات كهفٍ وما فيها لهم سَلَعٌ وقارُ (١٦٨)

باب الحنظل ونباته

[قال] (١٦٤) الأصمعي (١٦٩) : الحنظل هو الشَّرْيُ ، واحدته شَرْيَة . فاذا خرج الحنظل فصغاره الجِرَاء – ممدود – ، واحدُها جِرْوٌ ، ويقال لشجرته : قد أَجْرَت . فاذا اشتدَّ الحنظل وصَلُب فهو (١٧٠) الحَدَج ،

(١٦١) قال علي بن حمزة : « وقال ابو عبيد : الأستن اصول الشجر واحدته أستنة . وانما الأستن شجر معروف يشبه الناظر اليه من بعد شخوص الناس » التنبيهات : ٢٣١ .
(١٦٢) في م : واحدتها .
(١٦٣) في الأصل : « الوضم » بالضاد المعجمة ، وما أثبتناه من ت و م ، وهو الصواب .
(١٦٤) زيادة من ت .
(١٦٥) في ت : فهو .
(١٦٦) في ت : ابو الحسين .
(١٦٧) جاء في حاشية ت ما نصه : « وحكى الطوسي عن ابي عمرو : هذا أمقر من هذا أي أمر منه . وحكى عن ابي عمرو : يقال قيس يسار ، وفسره هو : لأن العمل بها أيسر من الاخرى » .
(١٦٨) ديوان بشر : ٦٩ .
(١٦٩) في م : الأصمعي قال .
(١٧٠) في ت : فهي .

واحدتها حَدَجة ، وقد أحْدَجَت الشجرة . فاذا صار للحنظل خُطُوط فهو الخُطْبان ، وقد أخْطَبَ الحنظل . فاذا اصْفَرَّ فهو الصَّرَاء — ممدود ، على مثال قَبَاء — ، واحدته صَرَاية ، وجمعه صَرَايا .

[وقال] (١٧١) ابو الوليد الأعرابي مثل قول الأصمعي في الجِرَاء والحَدَج والخُطْبان ، وزاد فيه بعد الجِرَاء قال : فاذا امتدَّت أغصانه قيل : قد أرْشَتِ الشجرةُ ؛ يعني صارت كالأرْشِية وهي الحِبال (١٧٢) .

وقال غيرهما : الهَبِيْد : الحنظل ، ويقال : حَبُّ الحنظل . ويقال للظَّليم هو يَتَهَبَّد : اذا استخرج ذلك ليأكله .

[قال] (١٧١) : والصِّيْصَاء : قِشْر حَبِّ الحنظل .

★ ★ ★

(١٧١) زيادة من ت .

(١٧٢) في الأصل : « الجبال » ، والتصويب من ت وم .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب النخــل

باب ابتداء نبات النخل وصغاره

[قال ابوعبيد] (١) : سمعتُ الأصمعي يقول في صغار النخل : أول ما يُقلَع شيء منها من أمّه فهو الجَثيث . وهو الوَديُّ (٢) ، والهِراء ، والفَسيل .

فاذا كانت الفسيلة في الجِذع ولم تكن مُستأرِضة – والمستأرضة : التي تَمكّنُ في الأصل – فهي (٣) من خَسيس النخل ، والعرب تسميها الرّاكِب .

فاذا قُلِعَت الوَديّة من أمها بكَرَبها (٤) وليفها (٥) قيل : وَديّة مُنْعَلة .

فاذا غَرَسَها حَفَر لها بئراً فغرسها ، ثم كبس حولها بتُرْنُوق المَسيل والدِّمَن ، فتلك البئر هي الفقير ، يقال : فَقّرْنا للوديّة تفقيراً .

---

(١) زيادة من ت .

(٢) جاء في هامش الأصل ما نصه : « وأنشد في الودي :

نحن بغرس الودي أعلمنا منا بركض الجياد في السلف (في السدف) »

ولم يثبت ان ذلك من الأصل ، ، والبيت لسعد القرقرة كما في العباب (سدف) و (سلف) .

(٣) في ت : فهو .

(٤) قال علي بن حمزة : « قال الطوسي : غلط ابو عبيد في قوله : (بكربها) ، انما هو بكربة . والقول قول الطوسي » التنبيهات : ٢٣٩ « ويريد : تقطع بكربة من الأم ، أي مع كربة منها » اللسان (نعل) .

(٥) وردت كلمة (وليفها) في هامش الأصل مع الاشارة في داخل الأصل اليها، ولم ترد في ت ورم .

[وقال] (٦) غيرُه : الأَشَاء : الصِّغار (٧) من النخل ، واحدتها أشاءة .

[غيره : الجَعْل : القِصَار] (٨) .

باب نُعُوت سَعَف النخل وكَرَبه وقُلْبه (٩)

[قال] (٦) الأصمعي : يقال للفسيلة اذا أخرجت قُلْبَها : قد أنسَغَتْ . ويقال للسعَفات اللواتي (١٠) يَلِين القِلَبَة : العَوَاهِن ؛ في لغة أهل الحجاز ، وأمّا أهل نجد فيسمونها الخوافي . وأصول السَّعف الغِلاظُ هي : الكَرَانيف ، الواحدة (١١) كِرْنافة . [قال] (٦) : والعَرِيضة التي تيبس فتَصير مثل الكَتِف هي : الكَرَبَة . وشحمة النخلة (١٢) هي : الجُمّارة .

فاذا صار للفَسِيلة جِذع قيل : قد قَعَدَتْ ، وفي أرض فلان من القاعد كذا وكذا .

فاذا حملتْ وهي صغيرة فهي : المُهْتَجِنَة .

قال : والسَّعَف هو الجَرِيد عند أهل الحجاز ، واحدته جَرِيدة . وهو الخُرْص ، وجمعه خِرْصان ، ومنه قول قيس بن الخطيم :

تَذَرَّعُ خِرْصانٍ بأيدي الشَّوَاطِبِ (١٣)

(٦) زيادة من ت .
(٧) في ت : القصار .
(٨) زيادة من ت و م .
(٩) في ت : باب نعوت السعف والكرب والقلب .
(١٠) في ت : التي .
(١١) في ت وم : « والواحدة » .
(١٢) في ت : النخل .
(١٣) تقدم الاستشهاد بالبيت في باب نعوت الأشجار في ورقها والتفافها .

[و] (١٤) عن الأصمعي : الخُلْب : اللِّيف ، واحدته خُلْبَة .

باب حمل النخل وسقوط حمله

[قال] (١٥) الأصمعي : اذا حملت النخلة صغيرة [٨٥ / ب] فهي المُهتَجِنَة .

فإن حملت سنةً ولم تحمل سنة قيل : قد عاومت وسانهت .

فاذا كثر حملها قيل : قد حَشَكت .

فإن (١٦) نَفَضَتْه بعدما يكثر (١٧) حملها قيل : قد مَرِقتْ (١٨) ، وقد أصاب النخلَ مَرْقٌ .

[قال] (١٥) : فاذا كثر نَفْض النخلة (١٩) وعظم ما بقي من بُسْرها قيل : قد خردلت وهي (٢٠) مُخَرْدِل .

فاذا انتفض قبل أن يصير بَلَحاً قيل : قد أصابه القُشَام .

فاذا وقع البلح وقد استرخت ثَفاريقُه [وهي الشماريخ] (٢١) ونَدِي قيل : بلح سَدٍ ، وقد أسْدى النخلُ (٢٢) — والثُّفروق بالثاء : قِمَع

---

(١٤) زيادة من م .

(١٥) زيادة من ت .

(١٦) في ت : فاذا .

(١٧) قال علي بن حمزة : «وقد غلط . الوجه : بعدما يكبر» التنبيهات : ٢٣٩ .

(١٨) هكذا ضبط الفعل في الاصول، وقال في اللسان: «مرقت النخلة [أي بكسر الراء] وأمرقت وهي ممرق . . . والاسم المرق» وذكر بعد ذلك : «والمرق أيضاً : آفة تصيب الزرع» .

(١٩) في الأصل : «النخل» وما أثبتناه من ت و م .

(٢٠) في ت : فهي .

(٢١) زيادة من م وهامش ت ، ومن المحتمل أن لاتكون من صلب الكتاب لاختلاف تفسيرها للثفاريق من التفسير الآتي .

(٢٢) في ت : وقد أسدت النخلة .

البُسْرَة والتمرة — . [وقال] (٢٣) ابو عمرو أو غيره : هو السَّدى ، مثل عَمى ، والواحدة سَدِيَة ، وهو السَّداء — ممدود — ، والواحدة سَدَاة .

وقال العَدَبَّس الكِنَاني : الثُّفْروق : هو ما يلتزق به القِمَعَ من التمرة ؛ كأنه يقول : هو ما تحت القمع [من التمر] (٢٣) .

باب طَلْع النخل وإدراك ثمره

[قال] (٢٣) ابو عمرو : الطَّلْع هو الكافور ، وكذلك الذي يُجعَل في الطِّيب . [وقال] (٢٣) الفرّاء : هو الكافور والضَّحْك — جميعاً — حين ينشق .

[وقال] (٢٣) الأصمعي : اذا بدا الطَّلْع فهو الغَضِيض ، فاذا اخضرّ قيل : قد خَضَّب النخلُ ، ثم هو البلح .

[قال] (٢٣) الأصمعي : الكافور : وعاء طَلْع النخل ، قال : ويقال له أيضاً قَفُّور .

فاذا انعقد الطَّلْع (٢٤) حتى يصير بلحاً فهو السَّيَاب (٢٥) [مخفَّف] (٢٦) والواحدة سَيَابة ، وبها سُمِّي الرَّجُل .

فاذا اخضرّ واستدار قبل أن يشتدّ فان أهل نجد يسمُّونه الجَدَال ، قال بعض أهل البادية :

سارتْ الى يَبْرِين خمساً فأصبحت ... يَخِرُّ على أيدي السُّقاة جَدَالُها (٢٧)

فاذا عظم فهو البُسْر .

(٢٣) زيادة من ت .

(٢٤) في الأصل : «الطلح» ، وما أثبتناه من ت وم .

(٢٥) جاء في هامش ت ما لفظه : « السياب في كتاب ابي عبيد بالتخفيف ، وهو السياب بالضم والتشديد ، ومنه قول الأعشى :

تَخَال نكهتها بالليل سيابا

(٢٦) زيادة من ت وم .

(٢٧) البيت للمخبل السعدي في الجمهرة : ٦٧/٢ واللسان والتاج (جدل) ، وبلا عزو في التهذيب : ٦٥٠/١٠ ، ولبعض أهل البادية في المخصص : ١٢١/١١ ، وعجزه بلا عزو في المقاييس ٤٣٤/١ .

فاذا صارت فيه خُطُوط وطرائق فهو المُخَطَّم .

فاذا تغيَّرت البُسْرة الى الحُمْرة قيل : هذه شُقْحَة ، وقد [٨٦ / أ] أشْقَح النخلُ .

فاذا ظهرت فيه الحمرة قيل : أزْهى النخل يُزْهي ، وهو الزَّهْوُ ، وفي لغة أهل الحجاز : الزُهْو .

فاذا بدتْ فيه نُقَط من الإرطاب قيل : قد وكَّتَ ، وهي بُسْرة مُوَكِّتَة .

فاذا أتاها التَّوكيت (٢٨) من قِبَل ذَنَبها قيل : ذَنَّبَتْ ، فهي مُذَنِّبة ، والرُّطَب : التَّذْنُوب .

فاذا دخلها كلّها الإرطاب وهي صُلبة لم تنهضم بعدُ فهي جُمْسَة ، وجمعها جُمُس .

فاذا لانتْ فهي ثَعْدَة ، وجمعها ثَعْد .

فاذا بلغ الإرطابُ نصفَها فذلك المُجَزَّع والمُجَزِّع أيضاً (٢٩) .

فاذا بلغ ثُلُثَيْها فهي حُلْقانة ، وهو مُحَلْقِن .

فاذا جرى الإرطاب فيها كلّها فهي المُنْسَبِتة ، وهو رُطَب مُنْسَبِت .

فاذا أرطب النخل كله فذلك المَعْو . قال ابو عبيد : وقياسه أن تكون الواحدة مَعْوَة ولم أسمعه . وقال اليزيدي : يقال منه : أمْعَت النخلةُ (٣٠) .

---

(٢٨) في م : واذاأتاها الترطب .

(٢٩) في ت : « فذلك المجزع ، ويقال المجزع بالفتح » ، وفي هامش ت : « المجزع ـ بالكسر ـ أتيس حملا على أخواته » وفي م : «فذلك المجزع ويقال المجزع » .

(٣٠) ورد في الأصل بعد هذه الجملة مانصه : « الأصمعي : فاذا بلغ الطلع فهو النضيض ، واذا اخضر قيل قد خضب النخل ثم هو البلح » وقد تقدم ذلك في صدر الباب ، فتكراره سهو من الناسخ .

[قال] (٣١) ابو عمرو : فاذا (٣٢) أدْرَك حمل النخلة فهو الإناض ، قال لبيد :

[فاخِرات ضُروعُها في ذُراها] (٣١) وإنا ُض العَيْدانِ والجبّارُ (٣٣)

[قال] (٣١) الأصمعي : فاذا ضُرِب العِذق بشَوْكةٍ فأرطب فذلك المَنْقُوش ، والفعل منه النَّقْش .

فاذا بلغ الرُّطَب اليُبْس فذلك التَّصْليب ، وقد صَلَّب .

فإن وُضِع في الجِرار وقد يبس فصُبَّ عليه الماء فذلك الرَّبِيط .

فإنْ صُبَّ عليه الدِّبس فذلك المُصَقَّر ، والدبس عند أهل المدينة يقال له الصَّقْر .

فإنْ غُمَّ (٣٤) ليُدرِك فهو مَغْمُون ومَغْمُول . وكذلك الرجُل يُلْقَى (٣٥) عليه الثياب ليَعْرَق فهو (٣٦) مغمول .

[وقال] (٣١) الاموي : في لغة بَلْحارث بن كَعْب : القالِبُ البُسْر الأحمر ، يقال منه : قَلَبَت البُسْرةُ تَقْلِب : اذا احْمَرَّت .

فاذا أبْصَرْتَ فيها الرُّطَب قلتَ (٣٧) : قد أضْهَلَتْ إضهالاً .

والقَشَمُ : البُسْر الأبيض الذي يؤكل قبل أن يُدرِك ، وهو حلو .

---

(٣١) زيادة من ت (٣٢) في م : اذا .

(٣٣) جاء في هامش ت ما نصه : «الرواية : وأنيض العيدان ، يريد النض الطري المدرك» والبيت في ديوان لبيد : ٤٢ .

(٣٤) في هامش ت : «فان غمن» . (٣٥) في م : تلقى .

(٣٦) في م : وهو .

(٣٧) في الأصل : «قيل» ، وماأثبتناه من ت وم .

[وقال] (٣٨) غيره : اذا كثر حمل النخلة قيل : أوْسَقَت ، يعني انها قد حملت وَسْقاً ، وهو الوِقْر ، قال لبيد :

مُوسِقاتٌ وحُفَّلٌ أبكارُ (٣٩)

[٨٦ / ب] أي تُبكِّر في الحمل .

ويقال : أفْضَحَ النخل : اذا احْمَرَّ أو اصْفَرَّ ، قال ابو ذؤيب :

ياهَلْ أُريكَ حُمُولَ الحَيِّ غاديةً (٤٠) كالنخلِ زَيَّنَها يَنْعٌ وإفضاحُ (٤١)

باب تغَيُّر حمل النخل (٤٢) وفساده

[قال] (٣٨) الأصمعي : اذا أنْسَغَت النخلةُ عن عَفَن وسواد قيل : قد أصابه الدَّمَان ، قال : وقال ابنُ ابي الزِّناد : هو الأَدْمان .

واذا لم تقبل النخلة اللِّقاح ولم يكن للبُسْر نَوىً قيل : قد صأْصأت النخلة .

فإنْ غلظت التَّمْرَة وصار فيها (٤٣) مثلُ أجنحة الجَراد فذلك القَمَا [مقصور] (٤٤) ، وقد أقْمَت النخلةُ .

قال : [و] (٤٥) يقال للتمر العَفِن : الدَّمَال .

وقال الاموي : في لغة بَلْحارث بن كَعْب : الصِّيْص والخَشْو — جميعاً — : الحَشَف (٤٦) ، وقد خَشَت [النخلة] (٤٥) تخشو خَشْواً .

وقال الفرّاء : يقال للتمر الذي لا يشتدّ نَوَاه : الشِّيْشاء ، قال : وأنشدنا :

---

(٣٨) زيادة من ت .

(٣٩) ديوان لبيد : ٤١ ، وصدر البيت : (يوم أرزاق من يفضل عم) .

(٤٠) أشار في الأصل الى رواية اخرى في البيت هي : «والحي ضاحية» .

(٤١) ديوان الهذليين : ١/٤٥ ، وفيه : «زينه ينع» .

(٤٢) في ت وم : تغير ثمر النخل .

(٤٣) في ت : فيه ، وفي م : فان غلظ التمر وصار فيه .

(٤٤) زيادة من م .

(٤٥) زيادة من ت وم .

(٤٦) في الأصل و ت : الخشف ، والتصويب من م .

يالكَ من تمرٍ ومن شِيشاءِ   يَنْشَبُ في المَسْعَلِ واللَّهاءِ (٤٧)

قال : احتاج اليه فمدَّه ، ويروى : اللَّهَا – مقصور (٤٨) – وهو جمع لَهاً ، مثل الإضا وهو جمع أضاً ، والأَضا : جمع أضاة . وهو الذي يقال له الشِّيص (٤٩) ، قال : وأهل المدينة يسمونه السَّخَل ، وقد سَخَلَتِ النخلةُ .

باب صِرام النخل ولِقاحه

[وقال] (٥٠) الأصمعي : فاذا لقح الناسُ النخلَ قيل : قد جَبُّوا ، وقد أتانا (٥١) زمن الجِبَاب .

غيرُه : أبَرْت النخلَ آبِرُه أبْراً وأَبَّرْته ، ومنه قول طَرَفة :

ولِيَ الأصل الذي في مِثْلِـــــه   يُصلح الآبِرُ زَرعَ المُؤْتَبِرْ(٥٢)

---

(٤٧) المشطوران بلاعزو في تركيب (شيش) في الصحاح والعباب واللسان والتاج، والمخصص: ١/١٥٧و١١/١٣١و١٥/١٥٢ وتركيب (لها) في اللسان والتاج ، وثانيهما في التهذيب: ٦/٤٣٠ .

وقال في اللسان (لها) تعليقاً على هذا الشاهد : « روي بكسر اللام وفتحها ، فمن فتحها ثم مد فعلى اعتقادالضرورة ، وقدرآه بعض النحويين ،والمجتمع عليه عكسه . وزعم أبو عبيد أنه جمع لهاً على لهاء . قال ابن سيده وهذا قول لا يعرج عليه ، ولكنه جمع لهاة كما بينا ، لأن فعلة يكسر على فعال » .

(٤٨) كذا في الأصل ، ولم ترد كلمة « مقصور » في ت ، والسياق يقتضي أن تكون العبارة هكذا : «ويروى : اللهاء – ممدود – وهو جمع لهاً ، مثل الإضاء الخ » .

(٤٩) هذا هو نص الأصل تعليقاً على الشاهد المتقدم ، وفي ت بعد الشاهد : « احتاج الى مده فمده ، وهو مفتوح ، فاذا كسر فهو ممدود لاغير ، مثل أضاة وأضاً وإضاء . الشيشاء : هو الشيص». في م بعد الشاهد : «وهو الذي يقال له الشيص، ويروى : واللهاء ممدود ، قال وأهل المدينة يسمونه السخل ، وقد سخلت النخلة . اللها مقصور ، فاحتاج اليه فمده ، ويقال لهاة ولها ولهاء مثل أضاة وأضا وإضاء » .

(٥٠) زيادة من ت .

(٥١) في م : وقد أتى .

(٥٢) ديوان طرفة : ٦٣ .

وأهل المدينة يقولون : كُنّا في العَفَار ، اذا كانوا في إصلاح النخل وتلقيحها .

[قال] (٥٣) الأصمعي : فاذا صُرِم النخلُ فذلك القَطَاع والجِزَاز والجَزَاز والجِرَام (٥٤) [والجَرَام] (٥٥) . [وقال] (٥٣) الكسائي في هذا كلّه بالفتح والكسر .

[وقال] (٥٣) ابو عبيدة : جَزَمْتُ النخلَ وجَرَمته : كلُّ هذا معناه اذا خَرَصْتَه وحَزَرْته (٥٦) .

باب نُعُوت النخل في طولها

[قال] (٥٣) الأصمعي : اذا صار [٨٧ / أ] للنخلة جِذع يتناول منه المُتَناوِل فتلك النخلة : العَضِيد ، وجمعه (٥٧) عِضْدان . فاذا (٥٨) فاتت اليدَ فهي جَبّارة . فاذا (٥٨) ارتفعت عن ذلك فهي الرَّقْلَة ، وجمعها رَقْل ورِقال ، [قال] (٥٣) : وهي عند أهل نجد : العَيْدانة . فاذا طالت — قال : ولا أدري لعل ذلك مع (٥٩) انجراد — فهي : سَحُوق وهُنّ سُحُق .

[قال] (٥٣) : والصَّوْر : النخل المجتمع الصغار .

غيره : الصَّوادي : الطِّوال ، قال ذو الرُّمّة [يصف الأحمال] (٦٠) :

مثل صَوادي النَّخل والسَّيَالِ (٦١)

---

(٥٣) زيادة من ت .
(٥٤) في ت : «الجزام» ، وقال في الهامش تعليقاً على ذلك : «جميعاً بالزاي والراء» ، والمعروف في المعجمات بالراء المهملة .
(٥٥) زيادة من م .
(٥٦) في الأصل : «وجزرته» ، وفي م : «وخررته» ، والتصويب من ت .
(٥٧) في ت وم : وجمعها .
(٥٨) في م : فان — في الموضعين — .
(٥٩) في ت : «من» وكتب الناسخ تحتها كلمة «مع» .
(٦٠) زيادة من م .
(٦١) ديوان ذي الرمة : ١/٢٧٤ .

قال ابو عبيد : وقد تكون الصَّوادي : التي لا تشرب الماء .

والطَّرائق (٦٢) : الطِّوال ، واحدتها (٦٣) طريقة .

غيره : الجَعْل : القِصار (٦٤) .

باب نعوت النخل في حملها

[قال] (٦٥) الفراء (٦٦) : اذا كانت النخلة تُدرِك في أول النخل فهي البَكُور ، وهُنّ البُكُرُ ، وأنشدنا للمُتَنَخِّل :

ذلك ما دِينُك إذْ جُنِّبَتْ   أحمالها كالبُكُرِ المُبْتِلِ (٦٧)

قال : والمُبْتِل : الأُمُّ يكون (٦٨) لها فسيلة قد انفردت واستغنت عن أمها ، فيقال لتلك الفسيلة : البَتُول .

وقال الفراء : البَكيرة مثل البَكُور .

قال : والمِسْلاخ : التي (٦٩) ينتثر حملها اذا صار بُسْراً (٧٠) .

والخَضيرة (٧١) : التي ينتثر بسرها [وهو] (٧٢) أخضر .

[وقال] (٦٥) الأصمعي : المِئْخار ، التي (٧٣) يبقى حملها الى آخر الصِّرام ، وأنشدنا :

---

(٦٢) في الأصل وم : الطريق ، وما أثبتناه من ت .
(٦٣) في ت وم : واحدته .
(٦٤) في ت : الصغار .
(٦٥) زيادة من ت .
(٦٦) كذا في الأصل ، وفي ت وم : الأصمعي .
(٦٧) ديوان الهذليين : ٢/٣ .
(٦٨) في ت وم : تكون .
(٦٩) في الأصل : الذي ، وما أثبتناه من ت وم .
(٧٠) في م : والمسلاخ التي ينتثر بسرها .
(٧١) في الأصل : والخضير ، وما أثبتناه من ت وم .
(٧٢) زيادة من ت وم .
(٧٣) في ت : المئخار النخلة التي ، وفي م : المئخار النخلة يبقى .

ترى الغَضيْضَ المُوقر المِنْخارا   من وَقْعه ينتثر انتثــارا (٧٤)

[ويُروى : العَضيد] (٧٥) .

باب أجناس النخل

[قال] (٧٦) الفراء : الخِصَاب : نخل الدَّقَل ، والواحدة خَصَبَة .

[وقال] (٧٦) الأصمعي : يقال للدَّقَل : الألوان ، واحدها لَوْن .

ويقال لفحلها : الراعِل . والرِّعَال : الدَّقَل ، الواحدة (٧٧) رَعْلَة .

قال : وكلُّ لَوْنٍ من النخل لا يُعرَف اسمُه فهو جَمْعٌ ، ويقال (٧٨) : ما أكثر الجمع في أرض فلان ، لنخلٍ خَرَج من النَّوى .

غيره : الطَّريق : ضَرْب من النخل ، قال الأعشى :

وكلُّ كُمَيْتٍ كجِذع الطَّريق   يجري على سَلِطاتٍ لُثُمْ (٧٩)

باب عيوب النخل

[قال] (٧٦) الأصمعي : اذا صغر رأسُ النخلة وقلَّ سعفها فهي عَشَّة ، وهُنَّ عِشَاش .

فاذا دَقَّت من أسفلها وانجرد كَرَبُها قيل : قد صَنْبَرَت .

فاذا مالت فبُني تحتها دُكّان تعتمد عليه فذلك : الرُّجْبَة ، والنخلة رُجَّبِيَّة (٨٠) ، ومنه قال الحُبَاب بن المُنذِر : أنا جُذَيلُها المُحَكَّك

(٧٤) المنطوران – بلاعزو – في التهذيب : ٧/٥٥٨ والمخصص : ٨/١١ و١١٨ و ١٦/١٣٧ (وفي بعضها : العضيد) وتركيب (اخر) في اللسان والتاج .

(٧٥) زيادة من م .

(٧٦) زيادة من ت .

(٧٧) في ت : واحدتها .

(٧٨) في ت وم : يقال .

(٧٩) ديوان الأعشى : ٣٢ ، وفيه : يردي على .

(٨٠) هكذا ضبطت الكلمة في الأصل هنا وفي الشاهد ، وضبطت في ت بفتح الجيم بلا تشديد ، وكلاهما وارد .

وعُذَيقها المُرَجَّب . وأنشدنا غيره (٨١) :

ليستْ بسَنْهاء ولارُجَّبِيَّـــةٍ ولكن عرَايا في السِّنين الجَوائحِ (٨٢)

[ويروى : بسنهاء ولارُجَبِيّة] (٨٣) .

[قال] (٨٤) الأحمر : فاذا يبستْ قيل : صوّتتْ تصْوي ، فهي صاويةٌ .

باب عُذُوق النخل ونعوتها

[قال] (٨٤) الأصمعي : العَذْق — عند أهل الحجاز — : النخلة نفسها . والعِذْق : القِنْو الذي يقال له الكِباسة . وهو القَنا — أيضاً — مقْصُور . قال ابو عبيد : فمَنْ قال قِنْوٌ قال للاثنين قِنْوانِ [بكسر النون] (٨٥) : وللجميع (٨٦) قِنْوانٌ ، ومثله صِنْوٌ وصِنْوانِ وصِنْوانٌ للجميع . ومَنْ قال قَناً [مقصور] (٨٤) قال لجمعه أقْناء ؛ ممدود .

ويقال لعُود العِذق وهو عُود الكِباسة : العُرْجُون والإهَان .

والشِّمْرَاخ : هو الذي عليـــه البُسْر وأصلُه في العِذق ، ويقال له الشُّمروخ — أيضاً — والإثكال والأُثكُول والعِثكال والعُثكول .

[و] (٨٤) قال الاموي : في لغة بلْحارث بن كعب : المِطْوُ :

---

(٨١) في ت : وأنشدنا غيره الحباب بن المنذر .

(٨٢) البيت — بلاعزو — في التهذيب : ١٢٩/٦ والمخصص : ٥٤/١٦ واللسان (جوح) ، ولشاعر من الأنصار في المقاييس : ٢٩٩/٤ ، ولسويد بن الصامت في الجمهرة : ٢٠٨/١ واللسان (رجب) و(سنه) و(عرا) والتاج (سنه) و(عرى) ، وفي بعض هذه الروايات : « نليست بسنهاء » .

(٨٣) زيادة من ت ، وفي هامشها مالفظه : « بالتشديد على الجيم والياء ، وهذا هو الصحيح الفصيح . ورجبية : من الرجبة من طريق النسب ، وهي لفظ على حيالها » .

(٨٤) زيادة من ت .

(٨٥) زيادة من ت وم .

(٨٦) في ت : والجمع .

الشُّمْراخ (٨٧) ، وجمعه مِطَاء (٨٨) .

والكِبَاب : [هو] (٨٩) الشُّمْراخ ، ويقال له ــ أيضاً ــ : العاسيُ .

قال : والعِرْدام : العِذق الذي يكون فيه الشَّماريخ .

وقال ابو عمرو في الإهان مثله (٩٠) .

غيره : المُتَعَثْكِل : العِذق ذو العَثاكيل ، واحدها عُثْكُول (٩١) .

وقال العَدَبَّس : والذِّيْخ (٩٢) : القِنْو ، وجمعه ذِيَخَة ، مثال دِيك ودِيَكة وقِرد وقِرَدَة (٩٣) .

باب إعراء النخل ورَفْع ثمره (٩٤) بعد الصِّرام

[قال] (٩٥) الأصمعي : يقال [٨٨ / أ] : قد استعرى الناسُ في كل وجهٍ : اذا أكلوا الرُّطَب ، أُخِذ (٩٦) من العَرَايا . وقد استنجى الناسُ في كل وجهٍ : اذا أصابوا الرُّطَب .

---

(٨٧) قال علي بن حمزة : « وقال: المطو الشمراخ . وانما المطو العذق ، وأنشد ابو زياد وغيره :

وهتفوا وصرحوا ياأجلح   وكان همي كل مطو أملح

وقال ابو عمرو وغيره : يقال للعذق المطو والمطو ، والجمع مطاء » التنبيهات : ٢٤٠ .

(٨٨) في الأصل : «أمطاء » ، وما أثبتناه من ت وم ، وهو الصواب في جمع المطو ، وفي اللسان : « والمطا ــ مقصور ــ لغة فيه » وجمعه أمطاء .

(٨٩) زيادة من م .

(٩٠) ورد قول ابي عمرو في ت بعد قوله : (العرجون والاهان) ووضعها الناسخ بين السطور ، ثم وردت مرة اخرى كالأصل ووضع الناسخ خطاً عليها تنبيهاً على زيادتها هنا .

(٩١) في ت : « ذو العثاكيل جمع العثكول» ، وفي م : « ذوالعثاكيل، والعثاكيلجمع العثكول » .

(٩٢) في ت : «الذيخ » بلا حرف عطف ، وفي م « الديخ » بالدال المهملة ، وكلاهما وارد في المعجمات ، وفي اللسان : « والذال أعلى » .

(٩٣) جملة (مثال ديك . . الخ) مضافة الى الأصل ، ولم ترد في ت وم .

(٩٤) في ت : وجمع ثمره .

(٩٥) زيادة من ت .

(٩٦) في ت وم : أخذه .

قال : ويقال للموضع الذي يُجعَل فيه التمر اذا صُرِم : المِرْبَد . وربما خشوا عليه المطر فيُجعَل في المِرْبَد جُحْر يسيل (٩٧) منه ماء المطر ، واسم ذلك الجُحْر : الثَّعلب .

[قال] (٩٨) : وأهل نجدٍ يُسمُّون المِرْبَدَ : الجَرِين . ويسمِّيه بعضُ مَنْ يلي اليمامة : المِسْطَح .

باب نعوت النخل في شربها ونباتها

[قال : سمعتُ] (٩٨) غير واحدٍ [يقول] (٩٨) : الكارِعات والمُكْرِعات : التي على الماء .

[قال] (٩٨) : والنادِيات : البعيدة من الماء (٩٩) .

عن الأصمعي : النخل المُنَبَّق (١٠٠) : المُصْطَفُّ على سَطْرٍ [واحد] (٩٨) مُسْتَوٍ ، ومنه قول امرىء القيس (١٠١) :

كنَخْلٍ من الأعراض غير مُنَبَّقٍ (١٠٢)

أي : غير مستوٍ .

باب جِماع النخل

[قال : و] (٩٨) الصَّوْر : جماع النخل . والحائش : جماع النخل ، قال الأخطل :

(٩٧) كذا في الأصل ، وفي ت وم : ليسيل .
(٩٨) زيادة من ت .
(٩٩) في ت : عن الماء ، وفي م : البعيدات من الماء .
(١٠٠) أشار في الأصل الى جواز فتح الباء وكسرها ، وكلاهما منصوص في المعجمات ، وجاء في هامش ت « منبق :— حاشية — عن الطوسي عن ابي عبيد المنبق بكسر الباء ، ومن غيره المنبق بفتح الباء »
(١٠١) في ت وم : امرىء القيس أو غيره .
(١٠٢) ديوان امرىء القيس : ١٦٨ ، وصدره : « وحدث بأن زالت بليل حمولهم » .

وكأنّ ظُعن الحيّ حائشُ قـريةٍ   داني الجنَاة وطيّب الأثمارِ (١٠٣)

[قال ابو عبيد] (١٠٤): لا واحد للحائش ولا للصَّوْر ، كما قالوا لجماعة البقر : الرَّبْرَب ؛ ولجماعة الأباعر : الإبل (١٠٥) .

باب أسماء ما يُزْرَع فيه ويُغْرَس

[٨٨ / ب] ابو عبيد عن أبي عبيدة : الجِرْبَة : المَزْرَعَة ، ومنه قول بشر [بن أبي خازم] (١٠٦) :

على جِرْبَةٍ تَعْلو الدّبَارَ غُروبُها (١٠٧)

[وقال] (١٠٤) ابو عمرو : الدّبَار : المَشارات ، واحدتها دَبْرَة .

[وقال] (١٠٤) غيره : الحَقْل مثله .

وقال ابو عمرو : المَحَاجِر : الحَدائق ، واحدها مَحْجِر ، قال لبيد :

تُرْوي المَحاجِرَ بازِلٌ عُلكُومُ (١٠٨)

[وقال](١٠٤) غيره : سَبَلُ الزّرع وسُنْبُله واحد ، وقد سَنْبَل الزرعُ وأسْبَل(١٠٩) .

والمَسارِب : المَراعي .

---

(١٠٣) ديوان الأخطل : ٧٧ وفيه : « داني الجناية مونع الأثمار » .
(١٠٤) زيادة من ت .
(١٠٥) في ت : « ربرب والأباعر ابل » ، وفي م : « ربرب ولجمع الأباعر ابل » . وورد بعد ذلك في الأصل باب عنوانه (باب حجارة المسن) ، وهو مقحم هنا لا علاقة له بالنخل ، ولم يرد في ت وم .
(١٠٦) زيادة من ت وم .
(١٠٧) ديوان بشر : ١٤ ، وصدره : « تحدر ماء البئر عن جرشية » .
(١٠٨) ديوان لبيد : ١٢٢ ، وصدره : « بكرت به جرشية مقطورة » .
(١٠٩) في م : وقد سبل وسنبل وأسبل .

الإستقراء في النحو

الدكتور
عدنان محمد سلمان
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية
كلية الآداب — جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اعتمد النحاة المنهج الاستقرائي في وضعهم أصول النحو العربي وقواعده ، وهو منهج قويم يعتمد على تتبع كلام العرب من منابعه الأصيلة ، وتسجيل القوانين النحوية التي يخضع لها نظام العربية في تراكيبها المختلفة. وكان للجهد العظيم الذي بذله العلماء ، وهم يدونون اللغة ويجمعون نصوصها ، أثرٌ كبير في تذليل سبل استقرائهم اللغة ، ومن ثَمَّ تيسّر لهم استنباط أحكامها ، وضبط قواعدها ، واستخلاص أوضاع نظمها ، وبيان العلاقة القائمة بين مفرداتها في تراكيبها المختلفة ، وسمات تلك المفردات وأنواعها وخصائص كلّ نوع منها ، وما يطرأ عليها من تغيير بسبب المعاني المختلفة التي تعتورها في الكلام .

ولعظيم اعتماد النحاة على الاستقراء في ذلك كلّه ، وجدناهم قد نصوا عليه في وصفهم النحو وحدّه . فهذا أبو بكر بن السراج المتوفى سنة (٣١٦هـ) يصفه بأنه: « علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب » (١) ،

(١) كتاب الأصول في النحو ٣٧/١ .

وهذا أبو عليّ الفارسيّ المتوفّى سنة (٣٧٧ هـ) يَحُدُّه بأنه : « علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب » (٢) ، وحدّه ابن عصفور المتوفّى سنة (٦٦٩ هـ) بأنه : « علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي تأتلف منها » (٣) .

وغرضي في هذا البحث هو أن أضع بين يَدَيِ الباحثين نماذج من استقراءات النحاة ، لأثبت خطأ كثير من الباحثين المحدثين ، ممن يشنعون على النحاة القدامى ، فيزعمون أنهم لم يستقروا اللغة استقراء تاماً ، حينما أصدروا أحكامهم النحوية (٤) ، وأنهم كانوا يرومون في عملهم النحويّ اخضاع اللغة العربية لقواعد المنطق والفلسفة والعلوم الكلامية الأخرى التي تأثروا بها (٥) ، بعد اطلاعهم على ثقافات الأمم المختلفة ، وإنّني لا أزعم أن النحاة لم يتأثروا بالمنطق أو الفلسفة أو العلوم الأخرى ، فجاءت أحكامهم بعيدة عن ذلك ؛ لأن كتب النحو زاخرة بما يدلّ على ذلك التأثر ، ولكن هذا التأثر لا يتصل بوضع القواعد والأحكام النحوية ، بل يتصل بتنظيم تلك الأحكام على وفق منهج قائم على تفكير عقلي يسعى الى ضم الأحكام المتشابهة في أبواب مترابطة ، ويتصل أيضاً بالكشف عن أسرار العربية ، وحكمة نظمها ، أما وضع الأحكام فقد كان اعتمادهم فيه على الاستقراء وحده .

ويستطيع الباحث أنْ يقرر . أنَّ علوم العربية — ومنها النحو — قد مرت بثلاث مراحل ، فاتجهت جهود العلماء في المرحلة الأولى صوب جمع النصوص وتدوينها على وَفْق ضوابط التزموا بها ، تتصل بجوهر النص ، وسلامة

(٢) كتاب التكملة ١٦٣ .

(٣) المقرب ١/٤٥ .

(٤) اللغة والنحو بين القديم والحديث / عباس حسن ، ٦٨ .

(٥) مدرسة الكوفة للدكتور مهدي المخزومي / المقدمة (هـ) .

عربية من يأخذون عنه اللغة (٦) ، وفي المرحلة الثانية انصرف العلماء إلى استقراء تلك النصوص لاستخلاص الأحكام والقواعد منها ، أمّا المرحلة الثالثة فقد كانت جهودهم فيها منصبة على تعرف أسرار اللغة ، وتعليل أحكامها لمعرفة حكمة العرب في كلامها (٧) . وقد كان للمنطق والعلوم الكلامية الأخرى أثر كبير في هذه المرحلة . أمّا المرحلتان الأولى والثانية ، فليس للعلوم الكلامية أثر فيهما إلاّ فيما يتصل بتنظيم المعلومات وتبويبها .

ولابُدّ من التأكيد هنا أنّ هذه المراحل الثلاث كثيراً ما تكون متداخلة تجري في آن واحد ، إلاّ أن لكل مرحلة غرضاً متميزاً عن غرض المرحلة الأخرى ، فكان غرض المرحلة الأولى هو جمع اللغة والمحافظة عليها من الدخيل ، وغرض المرحلة الثانية هو وضع القواعد النحوية واللغوية ليتجنب الناطقون بالعربية اللحن ، وغرض المرحلة الثالثة هو بيان عظمة هذه اللغة ، ومعرفة أسرارها .

ولعل أول استقراء في النحو يقع بين أيدينا هو ذلك الاستقراء الذي ينسب للامام عليّ (رضي الله عنه) فيما رواه عنه أبو الأسود الدؤليّ المتوفّى سنة (٦٩ هـ) حيث قال : « دخلت على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فرأيته مطرقاً متفكراً ، فقلت : فيمَ تفكر يا أمير المؤمنين ؟ قال : إنني سمعت ببلدكم لحْناً ، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية . فقلتُ : إنْ فعلت ذلك أحييتنا ، وبقيتْ فينا هذه اللغة ، ثُمّ أتيته بعد ثلاث ، فألقى إليّ صحيفة ، فيها : « بسم الله الرَّحمن الرَّحيم . الكلام كلّهُ : اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المُسمّى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المُسمّى ، والحرف

(٦) الكتاب (لسيبويه) ٢٦/١، ٧٧، ١١٧ .
(٧) كتاب الأصول في النحو لأبي بكر بن السراج ، ٣٧/١ .

ما أنبأ عن معنى ليس باسم ، ولا فعل » ، ثم قال لي : تتبعه وزِدْ فيه ما وقع لك (٨) .

وفي قول الإمام عليّ لأبي الأسود : (تتبعْه) إشارة لطيفة إلى المنهج الاستقرائي الذي ينبغي أن يسلكه النحويّ ؛ لأن الاستقراء إنما هو التتبع (٩) .

وكان لهذا الاستقراء الذي نقله أبو الأسود عن الإمام عليّ أثر واضح في جُلّ المصنفات النحوية ، فقد افتتحت فصولها بتسجيل هذه النتيجة الاستقرائية المتصلة بأنواع الكلم العربيّ . فسيبويه مثلاً بدأ كتابه القيّم بقوله : « هذا بابُ علمِ ما الكلم من العربية ، فالكلم : اسم وفعل وحرف ، جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل » (١٠) . ثُمَّ تَحدَّث عن هذه الأنواع الثلاثة حديثاً اعتمد فيه على الوصف والتمثيل فقال : « فالاسم : رجل وفرس وحائط ، وأما الفعل : فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبُنِيَتْ لما مضى ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع . فأمّا بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث ، وحمد ، وأمّا بناء ما لم يقع ، فانه قولك آمراً : إذهَبْ ، واقْتُلْ ، واضْرِبْ . ومخبراً : يقتُلُ ، ويذهَبُ ، ويضربُ ، ويُقْتَل ، ويُضْرَب . وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن ، اذا أخبرت ، ... ، وأمّا ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل ، فنحو : ثُمَّ ، وسَوْفَ ، وواو القسم ، ولام الإضافة ، ونحو هذا » (١١) .

---

(٨) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ١ / ٧ ، وأمالي الزجاجي ٢٧٨ ، وانظر مقدمة ابن خلدون ٥٤٦ .

(٩) لسان العرب (قرا) .

(١٠) الكتاب ٢/١ وانظر المقتضب للمبرد ٣/١ ، وكتاب الأصول في النحو ٣٨/١ ، واللمع في العربية لابن جني ٥١ وشرح المفصل لابن يعيش ١٨/١ ، وشرح الكافية للرضي ٦/١ .

(١١) الكتاب ٢/١ .

ولم يكتف النحاة الذين جاؤوا بعد سيبويه باستقراء أنواع الكلم ، بل تجاوزوا ذلك إلى استقراء علامات كل نوع من أنواع تلكم الكلم ، ليضعوا بين يدي الدارسين مقاييس وضوابط يستطيعون بها التفريق بين تلك الأنواع . وقد دعاهم ذلك إلى تتبع كلام العرب في مظانّه المختلفة ، ورصد سمات كلّ نوع من أنواعه ، فوضعوا ضوابط في غاية السّداد ، يسرت للدارسين معرفة كلّ صنف من أصناف المفردات العربية ، فرسموا للاسم علامات تميّزُه عن قسيميْه : الفعل والحرْف ، وتتبعوا علامات الفعل التي تفرق بينه وبين الاسم والحرف ، وحصروا علامة الحرف بكونه لا يقبل أيّة علامة من علامات الأسماء أو الأفعال (١٢) .

وإن تتبع النحاة علامات الاسم يمثل جانباً واضحاً في عملهم القائم على الاستقراء . وإذا كان ابن مالك قد حصرها في ألفيته بخمس علامات حين قال :

بالجر والتنوين والندا وأل ومسندٍ للاسم تمييز حصل (١٣)

فانما أراد أن يشير بذلك إلى أهم تلك العلامات ، فقد تتبع غيره من النحاة هذه العلامات فأوصلها إلى أكثر من ثلاثين علامة ، قال السيوطيّ : « تتبعنا جميع ما ذكره الناس من علامات الاسم ، فوجدناها فوق ثلاثين علامة » (١٤) .

وهذا التتبع كله قائم على استقراء أوضاع الاسم في الكلام ، ومن ثَمّ الكشف عن سماته ، وما يُميّزه عن غيره من الكلم ، بعيداً عن التأثر بالمنطق أو غيره من العلوم ، لانه قائم على الوصف والملاحظة .

(١٢) السمع في العربية ٥٤ ، وشرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك ١٠٦ ، واوضح المسالك لابن هشام ١/٢٠ وهمع الهوامع للسيوطي ١/٩ .
(١٣) شرح ابن عقيل .
(١٤) الأشباه والنظائر في النحو ٢/٤ .

وقد أدرك النحاة قيمة الاستقراء ، وهم يسجلون ضوابط اللغة وقواعدها ، فنصوا عليه ، وجعلوه دليلاً قاطعاً على إثبات تلك القواعد والضوابط . وخير مثال على ذلك ، ما أورده السيوطيّ ، وهو يتحدث عن أدلة النحاة التي عولوا عليها في حصرهم أنواع الكلم بالاسم والفعل والحرف ، فذكر : أن الاستقراء من أئمة النحو واللغة كأبي عَمرو والخليل وسيبويه ومن جاء بعدهم ؛ قد دلّ على أن كلام العرب منحصر في هذه الأنواع الثلاثة (١٥) .

ولا يخدش هذا الاستقراء زعمُ من زعم أن الكلم العربي يقسم أربعة أقسام : اسم وفعل وحرف وخالفة ، ويعني بالخالفة اسم الفعل . وقد نسب هذا التقسيم إلى نحويّ مغمور ، لم تورد له كتب النحو إلاّ هذا الرأي ، وهو أبو جعفر أحمد بن صابر (١٦) ، وليس له ترجمة ذات بال ، فيما وصل الينا من كتب التراجم (١٧) .

والنحاة لم يغفلوا هذا النوع من الكلم الذي سماه ابن صابر بالخالفة ، بل تنبهوا لهُ ، ولكنهم اختلفوا فيه ، فعدّه البصريون ضمن الأسماء (١٨) ، وأدرجه الكوفيون ضمن الأفعال (١٩) ؛ ولكلّ منهم حجته التي عوّل عليها في ذلك .

(١٥) الأشباه والنظائر في النحو ٢/٢ ، رهمع الهوامع ١/٤ .
(١٦) الأشباه والنظائر في النحو ٢/٢ ، وهمع الهوامع ١٠٥/٢ ، وحاشية الصبان ٢٣/١ .
(١٧) بغية الوعاة ٣١١/١ .
(١٨) الكتاب ١٢٢/١ ، ١٢٣ ، وكتاب الأصول في النحو ١٦٧/١ .
(١٩) التصريح على التوضيح ١٩٥/٢ وانظر مدرسة الكوفة للمخزومي ٣٠٨ وأقسام الكلام العربي للدكتور فاضل الساقي ٩٣ .

وذهب باحث معاصر إلى وضــع تقسيم جديد لأنواع الكلم العربيّ فجعلها سبعة أقسام ، هي :

١ — الاسم ، ٢ — الفعل ، ٣ — الصفة ، ٤ — الخالفة ، ٥ — الضمير ، ٦ — الظرف ، ٧ — الأداة (٢٠) .

وكان غرض هذا الباحث نقض استقراء النحاة أنواع الكلم العربيّ ، وقد حاكى في ذلك مذهب بعض الباحثين المحدثين ، ممن تأثروا بالدراسات اللغوية الغربية(٢١) . ومهما كانت حجته مقبولة أو غير مقبولة ، فانه لن يستطيع هو أو غيره أنْ يمحوَ من أذهان الدارسين التقسيم الثلاثيّ للكلم العربيّ ، الذي وضعه النحاة منذ النشأة الأولى للدراسات النحوية ، لأنه تقسيم سديد ، حصر فيه النحاة جميع المفردات العربية في إطار ذلك التقسيم .

وإن المصطلحات التي وردت في تقسيم هــذا الباحث ، لم يغفل عنها علماء العربيــة ، فقد تنبهوا لهــا منذ البداية الأولى للبحث النحوي ، ونصوا عليها في كتبهم ، ولكنهم أدركوا منذ الرحلة الأولى أن هناك علاقةً وثيقة بين كثير من هذه الأقسام . فالصفة والضمير والظرف ، إنما هي أنماط مختلفة الاسم ، فهي لا تخرج عن نطاقه ومضمونه ، فالضمير مثلاً كناية عن متكلم أو مخاطب (٢١) أو غائب (٢٢) ، وكلٌ من المتكلم والمخاطب والغائب اسم ، وقد جيء بهذه الكنايات ايجازاً واختصاراً ، ودفعاً للتكرار ، ورفعاً للالتباس (٢٣) ، فقولنا مثلاً : « جاء محمد فأكرمته » وردت فيه

(٢٠) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ٢٦ .

(٢١) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ٢٦ .

(٢٢) شرح المقدمة المحسبة لابن بابشاذ ١٤٢/١ .

(٢٣) شرح الكافية ٣/٢ ، والمرتجل لابن الخشاب ٢٧٨ — ٢٧٩ ، وكتاب المقتصد في شرح الايضاح ٩٢٠/٢ — ٩٢١ .

كنايتان ، الأولى : (التاء) وهي كناية عن المتكلم ، والمتكلم ذات ، والذات اسم ، والكناية الثانية : هي (الهاء) ، وقد جاءت كناية عن (محمد) المذكور دفعاً للتكرار ، ورفعاً للالتباس الذي قد يحصل من الاشتراك العالق في الأعلام ، إذ لو قلنا : « جاء محمد فأكرمت محمداً » ، يحتمل ان يكون المقصود بمحمد الثاني غير محمد الأول ، بسبب الاشتراك الوارد في الاعلام ، فلما عبرنا بالضمير كناية عنه ، زال ذلك اللبس (٢٤) ، ولما كان (محمد) اسماً بلا خلاف ، فكل ما كُنّـِي به عنه اسم مثله (٢٥) ، وهذا يسري على جميع الضمائر في صورها المختلفة .

والصفة اسم ، لأنها تدل على معنى غير مرتبط بزمن محصل ، ويسوغ أن تدخل عليها علامات الاسم ، مثل الجر والتنوين وأل ، وتضاف الى غيرها كما تضاف الأسماء .

وكذلك الظرف اسم ، لأنه يدل على معنى غير مرتبط بزمن محصل ، ويقبل علامات الاسم ، ومنها ما يتصرف في الكلام تصرف الأسماء ، مثل : يوم وسَنَة وحين (٢٦) .

والنحاة القدامى حينما صنفوا المفردات العربية الى ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف ، نظروا اليها من جهتين ، جهة تتعلق باللفظ ، وجهة تتعلق بالمعنى ، وكانوا كثيراً ما يغلبون اللفظ على المعنى في تقسيمهم المفردات العربية (٢٧) ، فربما اشتركت كلمتان في الدلالة على معنى واحد ، ولكنهم يدرجون إحدى هاتين الكلمتين في الأفعال ، ويدرجون الأخرى في الحروف

(٢٤) المرتجل في شرح الجمل ، لابن الخشاب ، ٢٧٨ .
(٢٥) المسائل العسكريات ٧٣ ، وكتاب المقتصد في شرح الايضاح ٩٢٢/٢ .
(٢٦) الموجز في النحو لابن السراج ٣٦ ، والمرتجل في شرح الجمل ، ١٥٨ ، والتسهيل لابن مالك ٩١ .
(٢٧) شرح الكافية للرضي ٦٦/٢ .

لسبب يتعلق باللفظ (٢٨) . فمثلا كلٌ من (ليس) و (ما) تفيدان نفي الحال (٢٩) ، والنفي فيهما يتسلط على خبر الجملة الاسمية ، ولكنهم جعلوا (ما) ضمن الحروف ، وجعلوا (ليس) ضمن الأفعال . والذي دعاهم إلى هذا التفريق أمر يتعلق باللفظ ، فقد وجدوا (ليس) قد أشبهت الأفعال في قبولها علامات لا تتصل إلاّ بالأفعال ، مثل : ضمائر الرفع المتصلة (٣٠) . أما لفظة (ما) فقد وجدوها لا تقبل أيّ علامة من علامات الأفعال أو الأسماء ، ومن هنا حكم جمهور النحاة على (ليس) بأنها فعل ، وعلى (ما) بأنها حرف . والذي جعلهم يصدرون هذا الحكم أمر قائم على استقراء علامات الفعل ، وهذه العلامات جُلّها متعلقة باللفظ (٣١) . ولولا هذا الفرق في اللفظ بين (ليس) و(ما) ، لوضعوا (ليس) في الحروف لأنها أشبهت (ما) من جهة المعنى ، فهي تفيد نفي خبر الجملة الاسمية . كما أنّ (ما) تفيد ذلك (٣٢) ، والأصل في النفي أنّ يكون بالحروف ، لأنه معنى من المعاني التي تعبر عنها العرب بالحروف (٣٣) ، مثل : النهي والايجاب والتمني والترجي والعرض والتحضيض ، والتعبير عن هذه المعاني إنما جاء في العربية بالحروف ، ومن هنا سموا هذه الحروف « حروف المعاني » (٣٤) . ومما يقوّي هذا أن (ليس) قد جاءت قليلاً في بعض كلام العرب في معنى (ما) ، فدخلت على الجملة الفعلية التي كان حقها أن تنفى بالحرف (ما) ،

(٢٨) الفوائد الضيائية للجامي ١١٢/٢ .
(٢٩) أسرار العربية لأبي البركات الانباري ١٤٣ ، وكتاب الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل لابن السيد البطليوسي ١٦٢ .
(٣٠) المرتجل ١٢٦ ، وهمع الهوامع ١٠/١ .
(٣١) اسرار العربية ١١ ، والمرتجل ١٥ — ٢٠ .
(٣٢) أسرار العربية ١٤٣ وهمع الهوامع ١٠/١ .
(٣٣) شرح الكافية للرضي ٢٩/٢ ، والمرتجل ٢٣ .
(٣٤) الايضاح في علل النحو ٥٤ ، والاشباه والنظائر في النحو ١٠/٢ .

قال سيبويه : « وقد زعموا أنّ بعضهم يجعل (ليس) كـ (ما) ، وذلك قليل ، لا يكاد يُعرف ، فقد يجوز أن يكون منه : ليس خلق الله مثله أشعر منه ، وليس قالها زيد » (٣٥) .

وربّما اختلف النحاة في تحديد نوع المفرد العربيّ ، فذهب فريق منهم إلى أنه فعل ، وذهب فريق آخر إلى أنه اسم ، وكانوا كثيراً ما يعتمدون على الاستقراء في اثبات صحة رأيهم ، فقد اختلفوا مثلا في تحديد نوع كل من (نعم) و (بئس) ، فذهب البصريوّن إلى أنهما : فعلان ، وذهب الكوفيون إلى أنهما : اسمان، وكان دليلَ كلٍّ منهم في ذلك هو استقراؤهم العلامات التي تميز الفعل والاسم ، والتي ثبت اتصالها بهذين اللفظين ، فقد وجد الكوفيون حرف الجر قد دخل على هذين اللفظين ، إذ جاء في بعض كلام العرب أنهم قالوا : « نعم السير على بئس العير» (٣٧) ، ونقل عن عن أحدهم أنه قال : « ما هي بنعم الولد » ، وذلك بعد ما بُشّر بمولود أنثى (٣٨) ، فلو كانتْ (نعم) و (بئس) فعلين ، لما صح دخول حرف الجر عليهما (٣٩) ، فقد ثبت بالاستقراء أنها لا تدخل إلاّ على الأسماء .

ولم ينكر البصريون رواية مثل هذه الأقوال التي ورد فيها حرف الجر داخلا على (نعم) و (بئس) ، إلاّ أنهم لم يعتمدوها في تقرير اسمية هذين اللفظين ، وذلك لأنهم وجدوا بالتتبع والاستقراء أن حرف الجر قد دخل على لفظ لم يختلف أحد في فعليته ، وذلك اللفظ هو : (نام) في قول الشاعر :

واللهِ ما ليلي بنامَ صاحبُه ولا مخالطِ الليّانِ جانبهْ (٤٠)

---

(٣٥) الكتاب ٧٣/١

(٣٦) اسرار العربية ٩٦ ، وشرح الكافية للرضي ٣١٢/٢ وهمع الهوامع ٨٤/٢ .

(٣٧) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٥٩٨/١ .

(٣٨) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور وشرح المفصل ١٢٨/٧ .

(٣٩) الإنصاف في مسائل الخلاف ٩٧/١ .

(٤٠) أسرارالعربية ٩٩ ، وشرح الجمل لابن عصفور ٥٩٩/١ .

واذا كان الكوفيون يقولون باسمية (نعم وبئس) لدخول حرف الجر عليهما ، فالقياس يقضي عليهم بأن يقولوا أيضاً باسمية (نامَ) لدخول حرف الجر عليها ، وأنّى لهم أن يقولوا ذلك ، وكلُّ المقاييس اللغوية تقرر فعلية هذا اللفظ ؟ ومن هنا تكون حجة الكوفيين ساقطة ؛لأنها اعتمدت على استقراء ناقص . أمّا البصريون ، فقد استدلوا على فعلية هذين اللفظين بدخول تاء التأنيث الساكنة عليهما (٤١) ، في مثل قولنا : « نعمت الفتاة هند » ، و « بئست الخصلة الكذب » . وقد ثبت بالاستقراء أن هذه التاء لا تدخل على الأسماء ، وإنما تدخل على الأفعال المسندة الى مؤنث (٤٢) .

وأما تفسير دخول حروف الجر على هذه الأفعال ، فهو أن هذه الحروف لم تدخل عليها في الحقيقة ، وإنْ جاءت متصلة بألفاظها (٤٣) ، فهي في حقيقة الأمر وأصله داخلةٌ على أسماء جاءت هذه الأفعال أوصافاً لها ، فلما حُذِفَتْ تلك الأسماء ، دخلت حروف الجر على هذه الأفعال (٤٤) ، والعرب قد تحذف الموصوف وتقيم الصفة مقامه ، وهذا ثابت بالاستقراء ، وعليه جاء قوله تعالى « أن اعمل سابغات وقدِّر في السرد » (٤٤) . والمعنى ان اعمل دروعاً سابغات ، فَحُذِفَ الموصوف ، واقيمت الصفة مقامه . وعلى هذا يكون الأصل في : « نعم السير على بئس العير » هو : « نعم السير على عيرٍ مقولٍ فيها : بئس العير » ، والأصل في : « ماليلي بنامَ صاحبه »

(٤١) الانصاف في مسائل الخلاف ١/١٠٤ وشرح المقدمة المحسبة ٢/٣٨٢ وشرح الكافية للرضي ٢/٣١٢

(٤٢) الفوائد الضيائية للجامي ٢/٢٣٠ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٧/٢

(٤٣) اسرارالعربية لأبي البركات الانباري ١٠١

(٤٣) شرح الجمل لابن عصفور ١/٥٩٩ .

(٤٤) سبأ / ١١ ، وانظر اعراب القرآن للنحاس ٢/٦٥٨ وكتاب اسرار العربية لأبي البركات الانباري ١٠٠ .

هو : « ما ليلي بليلٍ نامَ صاحبه » (٤٥) ، فلما حذف الاسم الموصوف ، دخل حرف الجر على لفظ الفعل (٤٦) .

ورُبَّ قائلٍ يقول : إن بعضاً مما استقراه النحاة ، قد جاء في كلام العرب ما ينقضه ، فمثلاً جعل النحاة أداة التعريف (أل) علامة خاصة بالأسماء ، ومعنى هذا أنه لا يجوز أن تدخل هذه العلامة على غير الاسماء ، ولكن ما جاء في كلام العرب قد ينقض قولهم هذا ، فقـــد وردت (أل) داخلة على الفعل في قول الفرزدق :

ما أنت بالحكم التُّرْضَى حكومتُهُ
ولا الأصيلِ ولا ذي الرأي والجدَلِ (٤٧)

فقد أدخل الشاعر (أل) على الفعل (ترضى) ، وظاهر هذا أنه يخدش في استقراء النحاة علامات الاسم .

والنحاة لم يغفلوا ذلك ، ولهذا نص كثير منهم عند تعرضهم للأداة (أل) في علامات الاسم على أن المقصود بها (أل) التي تفيد التعريف (٤٨) ، وهناك من النحاة من لم ينص على (أل) في علامات الاسم ، واستعاض عن ذلك بالنص على التعريف على أنه علامة من علامات الأسماء (٤٩) ، إذ لا يُعَرَّفُ غيره (٥٠) . وهناك من النحاة من نصوا على حرف التعريف على أنه علامة من علامات الاسم ، ولم يصرّحوا بذكر (أل) ، وممن فعل ذلك الزمخشري في « المفصّل » (٥١) .

---

(٤٥) شرح الجمل لابن عصفور ٥٩٩/١ والانصاف في مسائل الخلاف ١١٣/١ .
(٤٦) كتاب أسرار العربية ١٠١ .
(٤٧) خزانة الأدب للبغدادي ١٤/١ .
(٤٨) كتاب الأصول في النحو ٣٩/١ ، وشرح الكافية للرضي ١٣/١ .
(٤٩) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك ٩٦ – ٩٧ .
(٥٠) شرح المفصل لابن يعيش ٢٥/١ .
(٥١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٢٤/١ .

وأمّا (أل) التي جاءت متصلة بالفعل (تُرْضَى) في قول الفرزدق ، فهي (أل) الموصولية ، ولم يكتسب منها الفعل أيّ تعريف ، وتختلف من حيث الوظيفة النحوية عن (أل) التي تدخل على الأسماء النكرات ، لنقلها من التنكير إلى التعريف . وعلى هذا يسلم استقراء النحاة من أيّ خدش أو نقض ، لأنهم خصوا (أل) في علامات الأسماء بتلك التي تفيد التعريف (٥٢) .

وقد تتبع النحاة نظائر هذا الفعل مما دخلت عليه (أل) فألفوها أفعالاً قليلة ، هي : اليجدع ، واليتقصع ، واليتبّع ، واليروح ، واليندر ، واليري ، واليتعمل (٥٣) . وإن حصرهم هذه المواضع يشهد لهم بقوة الاستقراء ، والحرص على التتبع ، ومن الواضح أنّ (أل) هنا في معنى الذي (٥٤) ، فكأنهم أرادوا : الذي ترضى حكومته ، والذي يُجدَع ، ويُتقصع ، ويتبع ، ويروح ، ويندر ، ويرى ، ويتعمل (٥٥) .

ومما يسر دخول (أل) على الفعل هنا هو كون الفعل مضارعاً ، وهذا مما يعزز قول النحاة : إن الفعل المضارع فيه شبه بالاسم ، وهذا الشبه هو الذي سوغ لابن مالك أن يجيز دخول (أل) الموصولية على الفعل المضارع قليلاً في غير الضرورة ، ولكن جمهور النحاة لم يجوّزوا ذلك ، وعدُّوا ما ورد منه خاصاً بالشعر ، أباحته الضرورة (٥٧) ، بل ذهب بعضهم الى أنه من أقبح الضرورات (٥٨) .

---

(٥٢) كتاب الأصول في النحو ١/٣٩ .
(٥٣) ليس في كلام العرب لابن خالويه ٧٠ ، والمسائل العسكريات ٧٣ ، وخزانة الأدب ١/١٤ .
(٥٤) كتاب الأصول في النحو ٢/٢٧٥ ، وشرح المفصل ١/٢٥ .
(٥٥) ليس في كلام العرب ٧٠ ، وشرح الكافية للرضي ١/١٣ .
(٥٦) التسهيل ٣٤ ، وشرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ٩٩ .
(٥٧) شرح الكافية للرضي ١/١٣ .
(٥٨) المقرب لابن عصفور ١/٦٠ ، وهمع الهوامع ١/٨٥ .

ولم تدخل (أل) في كلام العرب على الفعل المضارع في غير الشعر ، كما لم ترد داخلة على غير المضارع في الشعر أو غيره .

لقد بذل النحاة جهداً عظيماً في تتبعهم كلام العرب ، وكان غرضهم حماية العربية ، والسعي الى استقرارها ، ففزعوا الى ضبطها بالقوانين المستقراة من كلام العرب (٥٩) . ولما كان شيوع اللحن المتمثل في ضعف قدرة الناطقين بالعربية على ضبط أواخر الكلم هو الذي دعاهم الى وضع علم النحو (٦٠) ، رأيناهم يسارعونَ إلى حصر مجاري أواخر الكلم في ثنايا التراكيب المختلفة ، ولم يكتفوا بحصر هذه المجاري ، بل عمدوا الى استقراء أنواعها ، ومعرفة ما هو متغير منها وما هو ثابت . وقد هداهم منهجهم الوصفي القائم على التتبع والاستقصاء الى أن الكلام العربي يأتي في ثنايا التراكيب على نمطين : نمط ثابت آخرُه لا يتغير وإن تغيرت وظيفته في التركيب ، ونمط آخر يتغير أخيره بتغيّر وظيفته في التركيب . وسموا الأول : مبنيّاً ، والثاني : مُعْرَباً . ثم عمدوا الى معرفة هذا التغيّر والثبوت وأنواع كل منهما ، وبنوا مقدمات كتبهم على الكشف عن هذه المسألة ، وكان سيبويه في مقدمة النحاة الذين قاموا بهذا الاستقراء ، فوضع باباً في مقدمة سفره العظيم ، تناول فيه مجاري أواخر الكلم ، فقال : « هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية ، وهي تجري على ثمانية مجار ، على النصب والجر والرفع والجزم والفتح والكسر والضم والوقف (٦١) ، وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب ، فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد ، والجر والكسر ضرب واحد ، وكذلك ثمانية مجارٍ لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه

---

(٥٩) أنظر مقدمة ابن خلدون ٥٤٧ .
(٦٠) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي / ٥ ، وانظر إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ١/٤ — ٦ ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي / ١١ ، ٢١ .
(٦١) يعني بالوقف البناء على السكون .

الأربعة لما يُحدِثُ فيه العامل ، وليس شيء منها إلاّ وهو يزول عنه ، وبين ما يبنى عليه الحرف (٦٢) بناء لا يزول عنه » (٦٣) .

ونفهم مما أورده سيبويه في هذا الباب أن للاعراب أربعَ حالات ، هي : الرفع والنصب والجر والجزم ، وأن للبناء أربع حالات أيضاً ، هي : الضم والفتح والسكون والكسر . وهذه الحقيقة النحوية هي حصيلة استقراء عام للكلام العربي في التراكيب المختلفة ، وهي حقيقة ثابتة مستقرة لم يطرأ عليها أيُّ تغيير ، ولم يستطع أحد من العلماء الذين جاؤوا بعد سيبويه أن يستدرك على ذلك شيئاً .

ولقد كانت البحوث المتصلة بالاعراب والبناء مدار الدراسة في كتب النحاة ، وعليها تمّ بناء أبواب الكتب النحوية المختلفة ، وكان للاستقراء أكبر الأثر في استخلاص النتائج التي توصلوا اليها فيما يتعلق بهذه القضية النحوية ، فقد تتبعوا مواطن الإعراب والبناء ، وبينوا ما يجيء من الكلم مُعْرَباً ، وما يجيء منه مبنياً .

ولما كان الثابت بالاستقراء أن الغالب في الأسماء هو الاعراب ، قام النحاة بحصر الأسماء المبنية ، فثبت عندهم أنها لا تعدو هذه الأنواع السبعة (٦٤) ، ١ ــ الضمائر ، ٢ ــ أسماء الاشارة ، ٣ ــ الأسماء الموصولة ، ٤ ــ أسماء الاستفهام ، ٥ ــ أسماء الشرط ، ٦ ــ أسماء الأفعال والأصوات ، ٧ ــ قسم من الظروف ، مثل : إذ ، وإذا ، وحيثُ ، وأمسِ ، وقطْ ، وعوْضُ .

---

(٦٢) يعني بالحرف هنا الكلمة سواء كانت اسماً ام فعلا أم حرفا .

(٦٣) الكتاب ١/٢ ــ ٣ .

(٦٤) شرح الكافية للرضي ٣/٢ ــ ١٢٦ وأوضح المسالك ٢٢/١ ــ ٢٤ .

وتبين لهم عن طريق الاستقراء أن بعضاً من فروع هذه الأنواع يأتي معرباً مثل صيغة التثنية في أسماء الاشارة (٦٥) والأسماء الموصولة (٦٦) ، ومثل (أيّ) شرطية واستفهامية وموصولية (٦٧) إلاّ في حالة واحدة من حالات أيّ الموصولية ، تكون فيها مبنية ، وذلك اذا جاءت مضافة لفظاً ، وحذف صدر صلتها (٦٨) ، ومنه قوله تعالى (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ من كلِّ شيعةٍ أيُّهُمْ أشَدُّ على الرَّحْمن عِتِيّاً) (٦٩) بضم (أيّ) ، وهي مفعول به للفعل « ننزع » .

وهداهم الاستقراء الى أن بعض القبائل العربية تُجري بعض الأسماء المبنية عند عامة العرب مجرى الأسماء المعربة ، فمثلاً الاسم الموصول (الذين) مبنيّ عند عامة العرب، إلاّ أن هُذَيْلاً دون سائر العرب تُعْرِبه إعرابَ جمع المذكر السالم (٧٠) ، وعلى هذه اللغة جاء قول الشاعر :

نحن اللذُونَ صَبَّحُوا الصَّباحا   يومَ النُّخَيْل غارةً مِلْحاحا(٧١)

وثبت عندهم بالاستقراء أيضاً أن قسماً من الأسماء المعربة قد يطرأ عليه طارئٌ فيُبنى ، فاذا زال ذلك الطارئْ أُعربَ (٧٢) ، وسموا هذا النوع من

(٦٥) أوضح المسالك لابن هشام ٢٢/١ وشرح الأشموني ٥٥/١ وهمع الهوامع ١٧/١ .
(٦٦) اوضح المسالك لابن هشام ٢٤/١ ، وهمع الهوامع ٨٣/١ .
(٦٧) الكتاب ٣٩٧/١ – ٣٩٨ ، وشرح المفصل ١٤٥/٣ ، و٢١/٤ وهمع الهوامع ١٦/١ .
(٦٨) شرح الكافية للرضي ٥٦/٢ ، الكتاب ٣٩٨/١ ، وهمع الهوامع ٩١/١ .
(٦٩) مريم /٦٩ وانظر خلاف الخليل ويونس وسيبويه في توجيه (اي) الكتاب ٣٩٧/١ – ٣٩٨ . والأشباه والنظائر للسيوطي ١٦/٢ – ١٧ وكتاب أسرار العربية لأبي البركات الانباري ٣٨٣ .
(٧٠) شرح الكافية للرضي ٤٠/٢ وهمع الهوامع ٨٣/١ .
(٧١) همع الهوامع ٨٣/١ ، وانظر الدرر اللوامع شرح شواهد همع الهوامع ٣٦/١ ، ونسبه لأبي حرب الأعلم ، وقيل لليل الاخيلية . وخزانة الأدب ٥٠٦/٢ ونسبه البغدادي لأبي حرب الأعلم وهو شاعر جاهلي .
(٧٢) كتاب شرح المقتصد ١٥١/١ .

البناء البناء العارض أو الطارئ (٧٣) . وقد تتبع النحاة هذا النوع من الأسماء ، فحصروها في المنادى المفرد المعرفة ، مثل يا زيدُ ، ويا رجلُ (٧٤) : والظروف المركبة نحو « صباحَ مساء » و « بَيْنَ بَيْنَ » (٧٥) ، والأعداد المركبة من « أحد عشر » إلى « تسعة عشر » (٧٦) عدا صيغة « اثني عشر » فإنها معربة (٧٧) ، والظروف المقطوعة الاضافة، مثل : « قبلُ وبعدُ » ، وعلى هذا جاء قوله تعالى : (لِلهِ الأَمْرُ من قَبْلُ ومن بَعْدُ) (٧٨) ، وبعض الأسماء المبهمة المقطوعة عن الإضافة ، مثل « غير وحَسْب » (٧٩) ، والأحوال المركبة ، نحو : « شَذَرَ مَذَرَ » و « بَيْتَ بَيْتَ » ، في مثل قولنا : « تفرّقوا شَذَرَ مَذَرَ » ، و « هو جاري بَيْتَ بيتَ » (٨٠) ، واسم (لا) النافية للجنس في مثل قولنا : « لا رجل في الدار » (٨١) .

وثبت عندهم بالتتبع والاستقراء أيضاً أن بعض الأسماء المعربة إذا أضيف الى الجملة جاز فيه البناء والإعراب ، مثل « يوم ، وحين » ، وعلى هذا جاء قول الشاعر :

على حينَ عاتبتُ المشيب على الصِّبا فقلتُ : ألمّا أصْحُ والشيبُ وازعُ (٨٢)

---

(٧٣) الجمل لعبدالقاهر الجرجاني ١١ ، والمرتجل ١٠٦ — ١٠٧ .
(٧٤) أسرار العربية ٢٢٦ ، والمقتصد في شرح الايضاح ١/١٢٧ .
(٧٥) شرح المفصل ٣/١١٨ .
(٧٦) شرح الكافية ٢/٨٧ .
(٧٧) شرح المفصل ٤/١١٧ وشرح الكافية ٢/٨٨ شرح الجمل ٢/٣٣ .
(٧٨) الروم / ٤ وانظر شرح الكافية للرضي ١/٢٩٢ .
(٧٩) شرح الكافية ١/٢٩٢ ، ٢/١٠٢ — ١٠٣ .
(٨٠) همع الهوامع ١/٢٤٩ .
(٨١) الكتاب ١/٣٤٥ وشرح المقدمة ١/٢٧٧ ، شرح الجمل ٢/٩٤ .
(٨٢) شرح المفصل لابن يعيش ١٤/٩١ والبيت للنابغة الذبياني انظر الكتاب ١/٣٦٩ وهمع الهوامع ١/٢١٨، شرح الكافية ٢/١٠٦ — ١٠٧ .

فقد جاءت الرواية بفتح نون (حين) على البناء ، وبجرها على الإعراب الذي هو الأصل فيها (٨٣) .

واستقروا الأسماء المعربة ، فتبين لهم أن قسماً منها يقبل التنوين ، اذا كان مجردا من (أل) والإضافة ، ويجر بالكسرة سواء أكان مضافاً أو محلى بأل ، أم كان مجرداً من (أل) والإضافة ، وأن قسماً أخر لا يقبل التنوين في اختيار الكلام ، ولا يُجرّ بالكسرة ، ما لم يكن مضافاً ، أو محلى بأل (٨٤) ، وسمّوا القسم الأول : المنصرف ، وسموا القسم الثاني : الممنوع من الصرف(٨٥).

وتبين لهم عن طريق الاستقراء أنّ الغالب في الاسماء الصرف ، فقرروا أن الأصل في الأسماء هو الصرف (٨٦) ، ثمّ طفقوا يتبعون الأسماء الممنوعة من الصرف ، فوضعوا لها ضوابط استقروها من كلام العرب ، واستطاعوا أن يحصروا أسباب المنع من الصرف ، وسموا كل سبب علة ، واجتمعت عندهم تسع علل ، وهي : ١ — تعريف العلمية ، ٢ — التأنيث ، ٣ — وزن الفعل ، ٤ — العدل ، ٥ — العجمة ، ٦ — التركيب المزجي ، ٧ — زيادة الألف والنون ، ٨ — الوصفية ، ٩ — صيغة منتهى الجموع (٨٧) .

وثبت عندهم بالتتبع والاستقصاء أن الاسم لا يمنع من الصرف الا اذا كانت فيه علتان من هذه العلل التسع ، أو فيه علة واحدة تقوم مقام علتين ، وحددوا العلة التي تقوم مقام علتين بألف التأنيث الممدودة أو المقصورة ، وبصيغة منتهى الجموع (٨٨) ، أما في غير هاتين الحالتين ، فلا يمنع الاسم من

---

(٨٣) الدرر اللوامع ١/١٨٧ .
(٨٤) أسرار العربية ٣١٣ ، شرح الجمل ٢/٢٠٥ الفوائد الضيائية ١/٢٥٠ .
(٨٥) شرح المقدمة المحسبة ١/١٠٧ شرح الجمل لابن عصفور ٢/٢٢١ .
(٨٦) أسرار العربية ٣٠٨ وشرح الكافية ١/٦١ ، والفوائد الضيائية ١/٢٥٠ .
(٨٧) المقتضب ٢/٩٦٣ .
(٨٨) الفوائد الضيائية للجامي ١/٢٠٨ ، و٢١٣ واسرار العربية ٣١١ — ٣١٢ .

الصرف إلاّ اذا اجتمعت فيه علتان من العلل التسع المذكورة ، فمثلاً تعريف العلمية وحده لا يمنع الاسم من الصرف إلاّ اذا انضمت اليه علة أخرى ، مثل : التأنيث ، أو وزن الفعل ، أو العدل ، أو العجمة ، أو التركيب المزجي ، أو زيادة الألف والنون (٨٩) ، ولهذا صرف مثل « محمد ، وزيد ، وخالد ، وسعيد » ومنع من الصرف مثل : « فاطمة ، وأحمد ، وعمر ، وابراهيم ، ومعد يكرب ، وعثمان » .

وعلى هُدىً من هذا الاستقراء الذي أجروه في الأسماء ، قسموها ثلاثة أقسام ، وهي :

١ ــ أسماء معربة منصرفة ، وسموا الاسم الذي يقع ضمن هذا النوع بـ (المتمكن الأمكن) . وقد ثبت عندهم بالاستقراء أن هذا النوع يضم الجمهرة الكبيرة من الأسماء ، لهذا لم يقوموا بحصره أو إحصائه ، وجعلوا له المرتبة الأولى بين الأسماء .

٢ ــ أسماء معربة غير منصرفة ، وسموا هذا النوع بـ (المتمكن غير الأمكن) ، وجعلوا له المرتبة الثانية بين الأسماء . ولما كان هذا النوع من الأسماء يقع تحت الحصر ، قام النحاة بوضع ضوابط له ، استقروها من كلام العرب ، يستطيع أيّ ناطق بالعربية أن يُلِمّ بها ، ويجعلها مقياساً يضبط به هذا النوع ، وعقدوا لذلك باب الممنوع من الصرف ، أبانوا فيه أسباب المنع من الصرف ، وجاؤوا بأحكام استقرائية في غاية الصدق والسّداد .

٣ ــ أسماء مبنية ، لايدخلها الإعراب ، ولا التنوين ، وسمّوا هذا النوع بـ (غير المتمكن) (٩٠) ، ويأتي هذا النمط من الأسماء في المرتبة

---

(٨٩) شرح المقدمة المحسبة ١/١٠٧ .

(٩٠) المقتضب ١/١١٣ – ١١٧ وشرح المفصل لابن يعيش ١/٥٦ – ٥٧ . أوضح المسالك ١/٢٢ ، الكتاب ١/٣ .

الثالثة ، لأن نسبته في الأسماء قليلة ، اذا ما قيست بالأسماء المعربة ، المنصرفة وغير المنصرفة ، ولهذا قام النحاة بحصر هذا النوع ، وعقدوا له (باب المبني) ، وحصروا فيه أنواع الأسماء المبنية وأحوال بنائها .

إنّ جميع هذه الأحكام التي تتصل بالأسماء المعربة المنصرفة وغير المنصرفة ، وبالأسماء المبنية سواء أكان بناؤها لازماً أم عارضاً ، واجباً أم جائزاً ، قد توصل اليها النحاة عن طريق الاستقراء ، بعيداً عن التأثر بالفلسفة أو المنطق أو العلوم الكلامية الأخرى . وقد جاءت أحكام هذه الأبواب في غاية السداد ، ولم يستطع أحد من الباحثين المحدثين أن يستدرك عليها شيئاً .

وتتبّع النحاة مواضع الاسم في الكلام ، فحصروا المواضع التي يرفع فيها ، والمواضع التي ينصب فيها أو يجرّ . وعقدوا لذلك مُختلف الأبواب النحوية ، مثل : باب المبتدأ والخبر ، ونواسخ الابتداء . والفاعل ونائب الفاعل ، وأبواب المنصوبات مثل : المفعولات الخمسة ، وباب الاستثناء ، والحال ، والتمييز ، والنداء ، والاستغاثة والندبة ، والاختصاص والتحذير والإغراء . ثم عرجوا الى مجرورات الأسماء ، فحصروها في باب الجر بالحروف والجر بالإضافة . ووجدوا أن قسماً من الأسماء يكون تابعاً لغيره في إعرابه ، فعقدوا لذلك باب التوابع . وكان رائدهم في ذلك كله الاستقراء ، وتتبع كلام العرب في مَظَانّه المختلفة من قرآن وأحاديث نبوية وأمثال وحكم وشعر ونثر .

وقاموا باستقراء الأفعال : أنواعها ، وأحوالها ، فثبت عندهم أنها تأتي في العربية على ثلاث صيغ ، ومثلوا لهذه الصيغ بـ (فعل) (يفعل) (افعل) ، وسموا الأولى (الفعل الماضي) ، والثانية (الفعل المضارع ، أو فعل الحال والاستقبال) والثالثة (فعل الأمر) (٩١) ، ووجدوا أن الجمهرة الكبيرة من

(٩١) أسرار العربية ٢١٥ ، و٢٤ — ٢٥ .

الأفعال يجري تصرفها على هذه الأمثلة الثلاثة ، فلم يقوموا بحصرها ، وسموها الأفعال المتصرفة (٩٢) ، ووجدوا أن قسماً من هذه الافعال المتصرفة لا تتصرف تصرفاً تاماً ، بل يأتي تصرفها ناقصاً ، فقاموا بحصرها ، مثل : مازال ، ولازال ، وما برح ومابرح ، وما انفك وماينفك ، ومافتئ ومايفتأ ، ووجدوا أن هناك نوعاً ثالثاً من الأفعال يلزم صيغة واحدة ، وسموا هذا النوع بالأفعال الجامدة ، وقاموا بحصرها ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : بئس ونعم وحبذا ، وعسى ، وفعلي التعجب « ما أفْعَلَهُ وأفْعِلْ بِهِ » ، وقولهم : تبارك الله ، وما ينبغي لك أن تفعل كذا ، وتَعَلَّمْ ، بمعنى اعلم ، وهَلُمّ في لغة بني تَميم (٩٣) .

وقاموا باستقراء الأفعال من حيث الاعراب والبناء ، فتبين لهم أن قسماً منها معرب ، وقسماً منها مبني ، فالماضي مبني بالاتفاق ، والمضارع معرب بالاتفاق ايضاً ، أما الأمر فقد اختلفوا فيه ، فذهب البصريون الى أنه مبنيّ ، وذهب الكوفيون إلى أنه معرب (٩٤) ، ولا أريد أن اعرض لخلافهم هذا ، لأن أدلتهم فيه لا تنحصر بالاستقراء فقط . وسأقف عند ما اتفقوا عليه في باب المعرب من الأفعال ، وهو : المضارع ، واعرابه ثابت بالاستقراء ، لأن أخره يتغير بتغير العوامل المؤثرة فيه ، فيأتي مرفوعاً ، نحو : هو يضربُ ، ومنصوباً ، نحو : لن يَضْرِبَ ، ومجزوماً ، نحو : لم يضربْ . فنجعل له ثلاثة أوجه من الاختلاف ، كما كان ذلك في الأسماء المعرفة ، نحو : جاءني زيدٌ ، ورأيت زيداً ، ومررت بزيدٍ (٩٥) .

---

(٩٢) شرح المقدمة المحسبة ٢٠٥/١ وهمع الهوامع ٨٣/٢ .
(٩٣) همع الهوامع ٨٣/٢ – ٨٤ ، المقتضب ٣٥٥/١ .
(٩٤) الانصاف في مسائل الخلاف ٥٢٤/٢ وأسرار العربية ، ومسائل خلافية في النحو للعكبري ١٢٤ .
(٩٥) المقتضب ١٠٨/١ .

والنحاة كلهم مجمعون على إعراب الفعل المضارع (٩٦) ، على اختلاف مذاهبهم وأصقاعهم وعصورهم ، الا أن باحثاً معاصراً ذهب مذهباً خالف فيه إجماع النحاة ، المستند إلى الاستقراء ، فحكم على المضارع بأنه مبني . وحصر الإعراب بالأسماء فقال : « أما المعرب : فهو الاسم ، وأمّا المبنيّ : فهو الفعل بجميع أقسامه » (٩٧) .

وقد شبه هذا الباحث تَغَيّرَ حركات أخر الفعل المضارع بتغير حركات آخر الماضي ، فقال : « وأكبر الظنّ أن اختلاف أراخر الأفعال المضارعة ... لا يعني إعرابه ؛ لأن هذه الأوجه المختلفة إنما جاءت لتشير الى معانٍ غير إعرابية تعاقبت عليه ، وتعاقبُ الحركات على آخر الفعل المضارع كتعاقبها على آخر الفعل الماضي ، فانه يفتح آخره ، نحو : كتب ، ويضم نحو : كتبوا ، ويسكن نحو : كتبْتُ ، ولم يقل أحد من النحاة إنه معرب ، وكتعاقبها في (حيث) وأشباهها ، وحيث هذه تبني على الضم والفتح والكسر ، وقد رويت الأوجه الثلاثة كلها ، رواها الكسائي وغيره ، ولم يقل أحد إنها معربة (٩٨) .

وأعتقد أن قياس تغير حركات آخر الفعل المضارع على تغير حركات آخر الماضي ، وآخر الظرف (حيثُ) أمر بعيد ، فتغير آخر الظرف (حيث) لا يمكن أن يقاس على تغير آخر الفعل المضارع ، فحيث ظرف مبني على الضم هذا هو الذي عليه أكثر كلام العرب ، وقد وردت في القرآن الكريم مبنية على الضم في المواضع التي وردت فيها كلها (٩٩) ، ولم ترد فيها أيّ قراءة

(٩٦) في النحو العربي نقد وتوجيه ، للدكتور مهدي المخزومي ١٢٩ .
(٩٧) في النحو العربي قواعد وتطبيق للدكتور مهدي المخزومي ٧٩ ، وانظر بحثي الموسوم بـ الفعل المضارع صيغه واعرابه ، المنشور في مجلة آداب المستنصرية الجزء الأول سنة ٩٧٥ — ٩٧٦ ص ١٥٢ — ١٥٣ .
(٩٨) في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي ١٣٢ .
(٩٩) المعجم المفهرس ٢٢١ — ٢٢٢ ، وانظر بحثي الموسوم بـ (الفعل المضارع صيغه واعرابه=

بالفتح ، ولكن وردت قراءة واحدة بالكسر ، وذلك في قوله تعالى : (سَنَسْتَدْرِجُهُم من حيثُ لا يَعْلَمُونَ) (١٠٠) ، وقد أجمع النحاة على أنّ فتح (حيث) وكسرها ، مسألة تتصل باختلاف لغات العرب ، قال السيوطيّ : « من الظروف المبنية حيث . . . و بُنيت على الضم ... ومن العرب من بناها على الفتح طلباً للتخفيف ، ومنهم من بناها على الكسر على أصل التقاء الساكنين » (١٠١) .

فتغير آخر (حيث) إذن مرتبط باختلاف لغات العرب ، فالقبيلة التي تضمها غير القبيلة التي تكسرها أو تفتحها ، والقبيلة التي تفتحها غير القبيلة التي تكسرها او تضمها . أما تغير آخر المضارع بتغير العوامل الداخلة عليه ، فأمر تشترك فيه عامة العرب ، وليس لغة خاصة بقوم منهم ، وعلى هذا يسقط حمل تغير آخر الفعل المضارع على تغير آخر (حيث) .

أمّا قياس تغير حركات آخر الفعل المضارع على تغير حركات آخر الماضي ، فأمر في غاية البعد أيضاً ؛ وذلك لأن تغير آخره مرتبط بأمور صوتية ، فاتصاله مثلاً بواو الجماعة أوجب له الضم ، لينسجم آخره مع الواو (١٠٢) ، ولئلا يحدث نفور صوتيّ يؤدي الى الثقل في النطق (١٠٣) ، فمثلاً الفعل الماضي (كتب) مفتوح الآخر ، فاذا اتصلت به واو الجماعة ، أصبح (كتبوا) بضم آخره ، وهو الباء ، ولو لم يحرك آخره بالضم لحدث تنافر في الأصوات ، وهذا التنافر يؤدي الى الثقل ، والعرب تَفِرُّ من الثقل . أمّا

= المنشور في مجلة آداب المستنصرية العدد الأول سنة ٧٥ – ٧٦ ص ١٤٨ – ١٦٣ .

(١٠٠) القلم /٤٤ ، وانظر همع الهوامع ١/٢١٢ ، والمقتضب ١/١٣٥ .

(١٠١) همع الهوامع ١ / ٢١٢ .

(١٠٢) أوضح المسالك ١/٢٧ ، وشرح الأشموني ١/٥٨ .

(١٠٣) انظر (الفعل المضارع صيغه واعرابه) مجلة آداب المستنصرية العدد الاول سنة ٧٥-٧٦ ص ١٥٥ .

تسكينه مع (تاء) الفاعل ، ونون النسوة ، في « كتبتُ ، وكتبْن » ، فهو أمر يتصل بالأصوات لا بالاعراب ، ولهذا لم يقل أحد من النحاة بإعرابه . وقد تنبهوا الى سبب هذا التغير ، وهو الفرار من توالي الأمثال وتعاقب الحركات (١٠٤) ؛ فلو بقي الفعل (كتب) المتصل بتاء الفاعل أو نون النسوة مفتوح الآخر ، لتعاقبت فيه أربع حركات ، والنطق بهذه الحركات الأربع المتوالية يسبب ثقلاً ؛ ولهذا فرت العرب منهُ ، فسكّنَتْ آخر الفعل .

ويتضح لنا مما ذكرنا أن هناك فرقاً كبيراً بين تغيّر آخر الفعل الماضي وتغيّر آخر الفعل المضارع . فالأول سببه اتصال آخر الماضي بلواحق يقتضي الانسجام الصوتيّ وطلب الخفة أن يحدث ذلك التغير . أما تغيّر آخر المضارع ، فليس سببه اتصاله بلواحق معينة ، وانما سببه كون المضارع مسبوقاً بأدوات معينة ، ثبت بالاستقراء أن دخولها عليه يوجب هذا التغير (١٠٥) . ولو رجعنا إلى حدّ النحاة للاعراب ، لوجدناه ينطبق تمام الانطباق على ما يطرأ على آخر المضارع من تغير ؛ قال النحاة : « الإعراب لغةً : البيان، واصطلاحاً : تغيير في أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها » (١٠٦) .

وحكم النحاة على الفعل المضارع بأنه معرب، حكم قائم على الاستقراء والتتبع ، ويُعدّ هذا الحكم من المبادئ النحوية الأولية التي ترسخت في أذهان الدارسين منذ نشأة الدرس النحوي إلى يومنا هذا ، ولا أرى أية فائدة في نقض مثل هذا الحكم ، باسم تيسير النحو أو تجديده ، أو باسم أيّ شعار آخر ، لأن هذا يؤدي الى اضطراب التعليم ، وزعزعة ثقة الدارسين في كثير من الاحكام النحوية المستقرة في أذهانهم .

---

(١٠٤) الأشموني ١/٥٨ ، واوضح المسالك ١/٢٧ ، والاشباه والنظائر ١/١٨ .

(١٠٥) الفعل المضارع صيغه واعرابه ١٥٥ .

(١٠٦) الفوائد الضيائية ١ / ١٩٠ ، واسرار العربية ١٩ وشرح الأشموني ١/٤٨، المقتصد ١/٩٨ و١/١٢٠ ، ومسائل خلافية في النحو ١١٠ ، والأشباه والنظائر ١/٧٢ .

وبعد أن ثبت عند النحاة أن المضارع معرب راحوا يتتبعون أوجه إعرابه ، ومواضع تلك الأوجه ، فتبين لهم عن طريق الاستقراء أنه يأتي في الكلام مرفوعاً أو منصوباً أو مجزوماً ، وتوصلوا الى أنه إنما ينصب اذا سبقته أدرات سموها أدوات نصب المضارع ، ويجزم اذا سبقته أدرات سموها الجوازم ، ويرفع اذا لم يسبق بأي من أدوات النصب أو الجزم (١٠٧) .

والأحكام المتصلة باعراب المضارع أحكام استقرائية قائمة على التتبع المحض ، وليس فيها أيُّ خلل ، إلاّ أن باحثاً معاصراً أراد أن يهدم هذا الاستقراء الوصفي ، القائم على تتبع مواقع الفعل المضارع في كلام العرب ، ومعرفة عوامل تغير آخره في تلكم المواقع ، فجاء هذا الباحث برأي جديد خالف فيه إجماع النحاة البصريين والكوفيين فيما يتعلق بإعراب الفعل المضارع ، فذهب الى أن المضارع لا ينصب بأدوات النصب ، ولا يجزم بأدوات الجزم ، إذ ليس للأدوات في الكلام ما ينسب اليها من عمل أو تأثير (١٠٨) وفسر نصب المضارع وجزمه ورفعه بأنه أثر من آثار تغير دلالته الزمنية ، ويتلخص مذهبه هذا في أن المضارع يرفع إذا دلّ على الحال ، وينصب اذا امتحض للاستقبال ، ويجزم اذا صرف للماضي ، وهذا واضح في صريح قوله الذي جاء فيه أن : « يفعل وما على مثاله يرفع اذا تجرد مما يدل على الماضي أو المستقبل ... وينصب اذا اقترن به ما يخلص به للمستقبل ... ويجزم اذا سبقه ما يخلص به للماضي » (١٠٩) . وقال عند حديثه عن الأفعال الخمسة : «واذا لحقت يفعل علامة التثنية ، نحو: يفعلان أو تفعلان ، أو علامة الجمع ، نحو : يفعلون وتفعلون ، أو ياء المخاطبة ، نحو : تفعلين ، فان كان للحاضر

(١٠٧) شرح قطر الندى وبل الصدى ٧٨ .

(١٠٨) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٢٥ .

(١٠٩) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٢٥ .

ثبتت النون ، نحو : الرجلان يذهبان ، والبنتان تذهبان ، وانتم تذهبون ، وأنت تذهبين ، وان كان للماضي أو المستقبل حذفت النون ، نحو : لم يذهبا ، ولم تسافرا ، ولم يرجعوا ، ولم تحضري «للماضي » ونحو : لن يذهبا ، ولن تذهبا ، وان يذهبوا ، أو تذهبوا ، ولن تذهبي « للمستقبل » (١١٠) .

والذي دعا هذا الباحث الفاضل إلى هذا القول هو أنه وجد النحاة القدامى قد نصوا على أن أدوات نصب المضارع تصرف المضارع للاستقبال (١١١) ، وأنهم نصوا أيضاً على أن بعضاً من هذه الأدوات لا ينتصب المضارع بعدها إلا اذا كان ممتحضاً للاستقبال ، وخصوصاً بهذا الشرط كُلاً من (حتى) ، و (إذن) (١١٢) ، ووجد كذلك أن النحاة قد قرروا أن المضارع الموضوع للحال أو الاستقبال ، ينقلب معناه فيصير دالاً على المضي اذا دخلت عليه أداتا الجزم (لم) و (لمّا) (١١٣) ، فأراد أن يعمم ذلك على تغير أحوال آخر المضارع ، فيربط هذا التغير باختلاف دلالته الزمنية ، وغرضه من ذلك أن يهدم نظرية العامل التي بنى النحاة القدامى دراساتهم النحوية عليها .

إن الناظر الى هذا الرأي لأول وهلة دونما فحص ربما أعجبه ، ووجد فيه تفسيراً جديداً لإعراب المضارع ، إلاّ أن من يقلب النظر فيه ويستقري وظائف الأدوات التي تدخل على الفعل المضارع يجد أن هذا الرأي بعيد عن الصواب ، ويكتنفه التناقض (١١٤) .

---

(١١٠) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٢٦ — ٢٧ .
(١١١) أسرار العربية ٣٢٨ ، وهمع الهوامع ٨/١ .
(١١٢) أوضح المسالك ١٧١/٣ .
(١١٣) الكتاب ٦٨/١ ، ٤٤٨ ، وكتاب الأصول في النحو ١٦٢/٢ وشرح الكافية للرضي ١٦٢/٢ .
(١١٤) انظر البحث الموسوم بـ (الفعل المضارع صيغه واعرابه لكاتب البحث والمنشور في مجلة آداب المستنصرية العدد الأول سنة ٩٧٥ — ٩٧٦ ص ١٤٨ — ١٦٤ .

إن قواعد اللغة لا توضع بالاستقراء الناقص ، وإن أيّة قاعدة نحوية لا يمكن أن يركن اليها ما لم تكن شاملة لجميع الجزئيات التي تندرج تحتها تلك القاعدة ، وإن الحكم الفاصل في إقرار أيّ رأي في النحو إنما هو الاستقراء ، فكلما كان الرأي موافقاً للاستقراء كان مقبولاً ، وكلما كان الرأي بعيداً عن الاستقراء كان مرفوضاً ومردوداً .

ولو كان استقراء هذا الباحث صحيحاً لوجب أن تتقرر ثلاث قواعد ، تنحصر فيها أوضاع اعراب المضارع ، وهي :

١ ــ لا يرتفع المضارع إلاّ اذا دلّ على الحال . وينبني على هذا الأمر أن كل فعل مضارع مرفوع فدلالته الزمنية منحصرة بالحال .

٢ ــ لا ينصب المضارع الاّ إذا دلّ على الاستقبال ، وينبني على هذا هذا الأمر أنّ كُلّ فعل مضارع دالّ على الاستقبال يجب ان ينصب .

٣ ــ لايجزم المضارع إلاّ اذا دلّ على المضي ، وينبني على هذا الأمر أن كل فعل مضارع مجزوم يكون منصرفاً للمضي .

ولعلّي لا أعدو الحقيقة اذا قلت : إن استقراء أحوال الفعل المضارع ، وموازنته بدلالته الزمنية في ضوء القواعد الثلاث المذكورة آنفاً يجعلنا نقرر أنّ ما أصّله لا يرسم صورة صادقة لارتباط تغير آخر الفعل المضارع بتغير دلالته الزمنية .

لقد مثّل هذا الباحث الفاضل لارتفاع الفعل المضارع بقولهم : « الرجلان يذهبان ، والبنتان تذهبان ، وأنتم تذهبون ، وأنت تذهبين » (١١٥) ، وليس في هذه الأمثلة دليل قاطع على أنّ الفعل المضارع هنا للحاضر فقط ، بل هو محتمل للحاضر والمستقبل ، لأن المضارع إذا تجرد مما يحدد زمنه كان محتملاً

(١١٥) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٢٦ .

للحال والاستقبال ، وان كان الحال فيه هو الراجح (١١٦) ، ولا ينصرف للحال إلاّ بقرينة ، كأن يكون مقترناً بالظرف الآن ، وما في معناه ، كالحين ، والساعة ، أو كان منفياً بـ (ليس)، أو (ما) ، لأن هذين االفظين موضوعان لنفي الحال (١١٧) .

والأمثلة التي أوردها الباحث الفاضل ليستدل بها على أن المضارع ارتفع لدلالته على الحال ، ليس فيها أيّ قرينة تصرف الفعل الى الحال ، والفعل فيها يحتمل الحال والاستقبال ، والدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال . وعلى هدى من هذا نستطيع أن نقرر بكل اطمئنان : أن ارتفاع المضارع لا يرتبط بدلالته على الحال ، ومما يقوي رأينا هذا ويعززه أننا نجد المضارع مرفوعاً وهو دالٌ على غير الحال ، كأن يكون دالاً على الاستقبال أو المضي ، ودليلنا في ذلك الاستقراء ، فقـد ثبت باجماع الكوفيين والبصريين ، والمتقدمين والمتأخرين ، أن حرفي التنفيس (السين) و (سوف) تمحضان المضارع للاستقبال ، لأنهمـا موضوعان لتخليص المضارع من ضيق الحال إلى سعة الاستقبال ، والفعل المضارع معهما مرفوع باجماع العرب والنحاة ، فلو كان المضارع مرتبطاً بدلالته على الحال لتغيرت حركة آخره بتغير دلالته الزمنية ، وذلك بتمحضه للاستقبال دون الحال .

وربّما جاء المضارع دالاً على المضي ، ولكنه يبقى مرفوعاً ، وذلك إذا دخلت عليه (قد) التي تفيد التحقيق ، قال سيبويه : « وقد تقع (نفعل) في موضع (فعلنا) في بعض المواضع » (١١٩) ، ومثّل لذلك بقول الشاعر :

---

(١١٦) همع الهوامع ٧/١ .
(١١٧) همع الهوامع ٨/١ .
(١١٨) همع الهوامع ٨/١ .
(١١٩) الكتاب ٤١٦/١ .

ولقــد أمرّ على اللئيــم يَسُبُّني فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ: لا يَعْنِيني(١٢٠)

وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة على ذلك منها قوله تعالى : (قد نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السَّماء) (١٢١) ، وقوله تعالى : (قد يَعْلَمُ ما أنتم عليه) (١٢٢) ، قال القُرْطُبِي : « ويعلم هنا بمعنى علم » (١٢٣) ، ومثل ذلك قوله تعالى : (قد نعلَمُ أنّه لَيَحْزُنُكَ الّذي يقُولُون) (١٢٤) : قال العُكبُري : « قوله تعالى : (قد نعلم) أي : قد علمنا ، فالمستقبل بمعنى الماضي » (١٢٥) . والفعل المضارع في هذه المواضع كلها مرفوع ، وهو منصرف للماضي ، ومن هنا نقرر بأن رفعه لا علاقة له بالدلالة الزمنية ، فقد يرُفع وهو دال على الحال ، كما يرُفع وهو دالّ على غير الحال من مضيّ أو استقبال .

وأمّا ربط نصب المضارع بتمحضه للدلالة على الاستقبال ، فأمر في غاية الوهن والخطأ . وقد مرّ بنا الحديث عن رفعه ، وهو دالٌ على الاستقبال ، وذلك عند اتصاله بحرفي التنفيس (السين) و (سوف) ، وهــذا وحدهُ كافٍ لنقض ما أصّله الباحث الفاضل ، فضلاً عن أننا نجد المضارع خالصاً للاستقبال وهو مجزوم ، وذلك اذا دخلت عليه (لام) الطلب ، أو (لا) الناهية ، أو أدوات الشرط الجازمة ، والنحاة مجمعون على أنّ هذه الأدوات تصرف المضارع للاستقبال(١٢٦) :ولم نجد أحداً من العرب قد نصب المضارع بعدها.

---

(١٢٠) الكتاب ٤١٦/١ .
(١٢١) البقرة /١٤٤ ، وانظر املاء ما من به الرحمن للعكبري ٦٧/١ ، وروح المعاني للألوسي ٨/٢ .
(١٢٢) النور /٦٤ .
(١٢٣) الجامع لاحكام القرآن ٣٢٣/١٢ ، والجنى الداني للمرادي ٢٧٠ .
(١٢٤) الانعام /٣٣ .
(١٢٥) املاء ما من به الرحمن ٢٤٠/١ .
(١٢٦) التسهيل ٥ ، وهمع الهوامع ٨/١ .

وأمّا جعله جزم المضارع مرتبطاً بانصرافه للمضي فهو منقوض أيضاً ، وقد مر بنا أنه يصرف للمضي مع (قد) التحقيقية ، ولكنه يبقى مرفوعاً ، وأنه يصرف للاستقبال مع كثير من الأدوات التي تجزمه مثل : (لام) الطلب و (لا) الناهية ، وأدوات الشرط ، فهو إذن قد يجزم اذا كان دالاً على المضي ، كما يجزم وهو دالٌ على الاستقبال ، وقد يرفع وهو منصرف المضي فجزمه ليس مرتبطاً بدلالته على المضي فقط .

ونخلص بعد هذا كله الى أنه لا علاقة لإعراب المضارع بدلالته الزمنية ، وأن استقراء النحاة لمواضع إعراب المضارع استقراء صحيح ، إذْ حكموا بأنه ينصب اذا سبق بأدوات معينة ، ويجزم اذا سبق بأدوات أخرى ، استقروها وأحصوها . ويرفع اذا لم يسبق بأيّ أداة من أدوات النصب أو الجزم .

ولابد لي من أن أشير هنا إلى حقيقة يتجاهلها كثير من الباحثين المحدثين ، وهم يتحدثون عن نظرية العامل والمعمول في النحو العربي ، وهي أن النحاة القدامى الذين عولوا على مسألة العامل والمعمول في درسهم النحو ، قد تنبهوا إلى أنّ هذه العوامل ، ومنها أدوات نصب المضارع وجزمه ، ليست هي التي تعمل ، فتنصب ، أو تجزم ، أو ترفع ، أو تجر ، وإنما المتكلم هو الذي يفعل ذلك ، وهذا ابن جني المتوفّى (سنة ٣٩٢) ، وهو من رُوّاد تلك المدرسة يقول : « وإنما قال النحويون« عامل لفظي » ، و« عامل معنوي » ، ليُرُوك أن بعض العمل يأتي مسبّباً عن لفظ يصحبه ، كمررت بزيد ، وليت عمراً قائم ، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به ، كرفع المبتدأ بالابتداء ، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم . هذا ظاهر الأمر ، وعليه صفحة القول . فامّا في الحقيقة ومحصول الحديث ، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم ، إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره ، وإنما قالوا :

« لفظيٌّ » و « معنويٌّ » لمّا ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ ، أو باشتمال المعنى على اللفظ » (١٢٧) .

ويتضح لنا من نصّ ابن جني أن غرضهم من التأكيد على مسألة العمل والعامــل والمعمول إنما هــو غرض تعليميّ محض (١٢٨) ، ولا يقلل من قيمة هذا الغرض مبالغة النحاة المتأخرين في الاعتداد بتلك المسألة وتقعرهم فيها ، لأن أصل الفكرة سليم ، وهو قائم على وضع أسس مدروسة مستقرة من كلام العرب ، يستطيع المتعلم أنّ يضبط بها أواخر الكلم في التراكيب المختلفة ، إذا ما وضحت في ذهنه العوامل اللفظية والمعنوية التي تؤثر في الأسماء والأفعال ، فتجلب لها حركات الإعراب المختلفة .

ولم يكتفِ النحاة باستقراء وظيفة الأسماء والأفعال في الكلام ، بل استقروا أيضاً الحروف ، فقاموا باحصائها ، ومعرفة معانيها ، ومواضع ورودها في الكلام ، وربما أفردوا لها كتباً خاصة ، ان فعل الرُّمّاني المتوفّى سنة (٣٨٤ هـ) في كتابه الحروف ، والهروي المتوفّى سنة (٤١٥ هـ) في كتابه (الأزهية) ، والمرادي المتوفّى سنة (٧٤٩ هـ) في كتابه (الجنَى الداني) .

ولا يخلو كتاب من كتب النحو من التعرض لهذه الحروف ، فقد تناولوها في أبواب شتى ، مثل باب العطف ، والاستفهام ، والجر ، وإعراب الفعل المضارع والنواسخ ، والنداء ، والعرض والتحضيض ، ونصوصهم في هذا الباب كثيرة ، فمثلاً لما عرضوا لحروف النفي وجدوا أن قسماً منها يدخل على الجمل الاسمية ، مثل : لات ، ولا النافية للجنس ، ولا المشبهة بليس ، وقسماً آخر يدخل على الجمل الفعلية فقط ، مثل : لم ، ولمّا ، وان ، وأن قسماً ثالثاً يدخل على الجمل الاسمية والفعلية مثل : ما ، وإنْ ، ووجدوا

(١٢٧) الخصائص ١/١٠٩ — ١١٠ ، ومفتاح العلوم ٢٠٥ .
(١٢٨) انظر مقدمة ابن خلدون ٥٤٦ .

عن طريق الاستقراء أن حروف النفي التي تدخل على الأفعال لها ارتباط بالآلة الزمنية للفعل ، ولعل سيبويه هو أول من أشار الى ذلك حيث قال : « لن أضربْ نفي لقوله : سأضرب ، كما أن : لا تضربْ ، نفي لقوله : اضربْ ، ولم أضرب نفي : لضربت » (١٢٩) . وقال في موضع آخـــر : « هذا باب الفعل ، اذا قال : فعل ، فأن نفيه لم يفعل ، واذ قال : قد فعل ، فان نفيه ، لمّا يفعلْ ، واذا قال : لقد فعل ، فأن نفيه : ما فعل ، لأنه كأنه قال : والله لقد فعل ، فقال : والله ما فعل ، واذا قال : هو يفعل ، أيْ : هو في حال فعـــل ، فإنّ نفيه : ما يفعـــل ، واذا قال : هو يفعل ، ولم يكن الفعل واقعاً ، فنفيه : لا يفعل ، واذا قال : ليفعلنّ ، فنفيه : لا يفعل ، كأنه قال قال : والله ليفعلنّ ، فقلت : والله لا يفعلُ ، واذا قال : سوف يفعل ، فان نفيه لن يفعل » (١٣٠) .

وقد أحصى النحاة الحروف التي تنفي الفعل ، فوجدوا أنها ستة أحرف ، هي : لم ، ولمّا ، وما ، وإن ، ولا ، ولن ، وتبيّن لهم أن هذه تنقسم ثلاثة أقسام ، أحدها : ينفي الماضي ، والثاني : ينفي الحال ، والثالث : ينفي الاستقبال ، قال السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) : « حروف النفي ستة ، إثنان لنفي الماضي ، وهما : لم ، ولمّا ، وإثنان لنفي الحال ، وهما : إنْ وما ، وإثنان لنفي المستقبل ، وهما : لا ، ولن » (١٣١) .

وفي كتاب سيبويه وحدَهُ نصوص كثيرة تتصل بالحروف والادوات التي تقوم مقامها ، أضع بين يدي البحث نصين منها : أحدهما يتصل بقسم من الحروف المختصة بالأفعال ، ويتصل الآخر بالفرق بين (إنْ) و (إذا)

(١٢٩) الكتاب ٦٨/١ .
(١٣٠) الكتاب ٤٦٠/١ .
(١٣١) الاشباه والنظائر في النحو ١١٥/٢ ، وقد نقل السيوطي هذا النص عن الاندلسي (المتوفى سنة ٦٦١هـ) صاحب شرح المفصل انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢٥٠/٢ .

الشرطيتين ، قال في الأول : « هذا باب الحروف التي لا يليها إلاّ الفعل ... فمن تلك الحروف (قد) ، لا يفصل بينها وبين الفعل بغيره ، وهو جواب لقوله : (أفعَلَ ؟) كما كانت (ما فعل) ، جواباً لـِ (هل فعل) ؟ ، إذا أخبرت أنه لم يقع ، ولمّا يفعل ، وقد فعل إنما هما لقوم ينتظرون شيئاً ، فمن ثَمّ أشبهت (قد) (لمّا) ، في أنها لا يُفصل بينها وبين الفعل . ومن تلك الحروف أيضاً سوف يفعل ، لأنها بمنزلة السين ، التي في قولك : سيفعل ، وإنما تدخل هذه السين على الأفعال ؛ وإنما هي إثبات لقوله : لن يفعل ،... ومن تلك الحروف رُبّما ، ... جعلوا (رُبّ) مع (ما) بمنزلة كلمة واحدة هيّؤوها ليذكر بعدها الفعل ، لأنه لم يكن لهم سبيل الى : ربّ يقول ... فألحقوها ما ، ... ومثل ذلك : هلاّ ، ولا ، وألاّ ، ألزموهن (لا) وجعلوا كل واحدة مع (لا) بمنزلة حرف واحد ، وأخلصوهن للفعل حيث دخل فيهن معنى التحضيض » (١٣٢) .

وقال في النص الثاني : « (إذا) تجيء وقتاً معلوماً ، ألا ترى أنك لو قلت : آتيك إذا احمرّ البُسْرُ ، كان حسناً ، ولو قلت : آتيك إنْ احمرّ البُسْرُ ، كان قبيحاً . فإنْ أبداً مبهمةٌ » (١٣٣) وعلى هدى من نصّ سيبويه هذا قرر النحاة أنّ (إذا) تأتي للأمر المقطوع به ، وأنّ (إنْ) تأتي للأمر المظنون والمتوقع (١٣٤) .

وهناك أمر يتصل بالحروف شغل النحاة أنفسهم به كثيراً ، وهو معرفة الأثر الاعرابي لهذه الحروف ، فيما بعدها من أسماء وأفعال . فقد تتبعوا ذلك وجاؤوا بأحكام نحوية سديدة قائمة على الاستقراء ، فتبين لهم مثلاً أن الحروف

(١٣٢) الكتاب ١/٤٥٨ – ٤٥٩ .
(١٣٣) الكتاب ١/٤٣٣ .
(١٣٤) المقتضب ٢/٥٦ ، والفوائد الضيائية ٢/٢٥٦ .

تقسم قسمين ، حروف عاملة ، وحروف غير عاملة (١٣٥) ، ووجدوا بالتتبع والاستقراء أنّ الحروف غير العاملة لا تختص بأحد القبيلين ، الأسماء والأفعال ، بل تكون مشتركة ، فتدخل على كل منهما ، فمثلاً حرف الاستفهام (هل يدخل على الأفعال ، نحو : هل أتى زيد ؟ ، ويدخل على الأسماء ، نحو : هل أخوك منطلق ؟ ولكنه لا يؤثر في أيّ منهما (١٣٧) .

ووجدوا بالاستقراء أن الحروف العاملة تكون مختصة بأحد النوعين : الأسماء والافعال ، وأن الحروف التي تعمل في الأسماء لا تعمل في الأفعال ، وأن الحروف التي تعمل في الأفعال لا تعمل في الأسماء ، فمثلاً حروف الجر عملها خاص بالاسماء ، وهي لا تعمل في الأفعال شيئاً ، وحروف الجزم ينحصر عملها في الأفعال وهي لا تعمل في الأسماء شيئاً ، قال سيبويه : « واعلم أن حروف الجزم لا تجزم الا الأفعال ، ولا يكون الجزم إلاّ في هذه الأفعال المضارعة للأسماء ، كما أن الجر لا يكون إلاّ في الأسماء ، والجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء ، فليس للاسم في الجزم نصيب ، وليس للفعل في الجر نصيب » (١٣٨) .

واذا كان النحاة قد قرروا أنه لا يعمل من الحروف إلاّ الحروف المختصة فانهم لم يقصدوا أن كل حرف مختص يجب أن يكون عاملاً بالضرورة ، لأنهم تنبهوا الى أنّ هناك حروفاً مختصة ولكنها لا تكون عاملة ، فمثلاً أداة التعريف (أل) حرف مختص بالأسماء ، ولكنه غير عامل فيها شيئاً (١٣٩)، وأداة التحضيض (هلّا) حرف مختص بالأفعال ، ولكنه غير عامل فيها شيئاً (١٤٠) .

(١٣٥) المرتجل في شرح الجمل ٢٤ .
(١٣٦) كتاب الأصول في النحو ٥٩/١ .
(١٣٧) سر صناعة الاعراب ١٤٥/١ ، والمرتجل ٢٤ .
(١٣٨) الكتاب ٤٠٩/١ .
(١٣٩) كتاب الأصول في النحو ٦٠/١ ، وسر صناعة الاعراب ١٤٥/١ .
(١٤٠) الكتاب ٤٥٩/١ .

وما استقراه النحاة مما يتصل بالحروف عمل واسع ومتشعب ، ولم يكن غرضي أن أعرض لذلك كلّه ، بل كان غرضي هو أن ألتقط منه نماذج أضعها بين يدي الباحثين المعاصرين لأبين لهم أن النحاة قد أفادوا من المنهج الاستقرائي الوصفيّ إيّما إفادة ، وأنهم أسدوا للعربية في ذلك فضلاً كبيراً ، إذْ قدموا لنا دراسة قيمة ، ستبقى منار الكل من يريد أن يفهم قوانين العربية وأحكامها .

★ ★ ★

واذا كان النحاة قد شغلوا أنفسهم باستقراء أحوال الكلم في التراكيب وما يطرأ على المفردات من إعراب وبناء حتى سموا النحو : « إعرابا » (١٤١) ، فان ذلك لم يَحُلْ دون تتبعهم المعاني المختلفة التي تنتظمها التراكيب ، ولم يحل كذلك دون استقرائهم أساليب الكلام ، فجاءت كتبهم حافلة في دراسة موضوعات تتصل بتلك المعاني والأساليب ، مثل : الأمر والنهي ، والاثبات والنفي ، والاستفهام ، والخبر ، والطلب ، والدعاء ، والنداء والاستثناء ، والحصر ، والتوكيد ، والقسم ، والتحضيض ، والعرض ، والاغراء ، والتحذير ، والاختصاص ، والمدح ، والذم ، والتعجب ، والشرط ، والجزاء ، والحذف ، والذكر ، والتقديم ، والتأخير ، والايجاز ، والاتساع .

وأعتقد أن النحويين كانوا أسبق من علماء البلاغة في استقراء تلك المعاني الأساليب ، بل هم الذين مهدوا لهم سبيل ذلك ، ولا أريد هنا أن أضع بين يدي البحث جميع ما قدمه النحاة في هذا الباب ، بل سأكتفي بعرض نماذج من ذلك ، أستقيها من كتاب سيبويه الذي يعد رائد هذا النوع من الدراسة .

فقد تحدث مثلاً عن التقديم والتأخير في باب الفاعل والمفعول به ، فذكر أن الأصل هو تقديم الفاعل ، نحو : قولك : ضرب عبدالله زيداً ، « وإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول ،

وذلك قولك : ضرب زيداً عبدُالله ، لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً .. فمن ثمَّ كان حد اللفظ فيه أن يكون الفاعل مقدماً ، وهو عربيّ جيد كثير ، كأنهم انما يقدمون الذي بيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم » (١٤٢) .

وفي باب الأمر والنهي ذكر أن هذين الأسلوبين إنما هما خاصان بالأفعال، وشبههما بالاستفهام ، إلا أن صلة الأمر والنهي بالفعل أقوى من صلة حروف الاستفهام به ، فقال : « ... الأمر والنهي إنما هما للفعل ، كما أن حروف الاستفهام بالفعل أولى ، وكان الأصل فيها أن يُبدأ بالفعل قبل الاسم ، فكذا الأمر والنهي ، لأنهما لا يقعان إلاّ بالفعل ، مظهراً أو مضمراً ، وهما أقوى في هذا من الاستفهام ، لأن حروف الاستفهام قد تستعمل وليس بعدها إلاّ الأسماء ، كقولك : أزيدٌ أخوك ، ومتى زيد منطلق ، وهل عمرو ظريف . والأمر والنهي لا يكونان إلاّ بفعل ، وذلك قولك : زيداً اضربه ، وعمراً أمرر به ، ... وقد يكون في الأمر والنهي أن يبنى الفعل على الاسم ، وذلك قولك : عبدُالله اضربْه ، ابتدأت عبدالله ، ورفعته بالابتداء ، ونبهت المخاطب له ليعرفه باسمه، ثم بنيت الفعل عليه، كما فعلت ذلك في الخبر »(١٤٣).

وتحدث سيبويه عن الدعاء فقال : « واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي ، وانما قيل دعاء ، لأنه استعظم أن يقال : أمر ونهي ، وذلك قولك : اللهم زيداً فاغفر ذنبه » (١٤٤) .

وتحدث عن الاتّساع والاختصار والايجاز في مواضع متفرقة من الكتاب ، منها قوله : « ومما جاء على اتّساع الكلام والاختصار قوله تعالى

(١٤١) الايضاح في علل النحو للزجاجي ٩١ .
(١٤٢) الكتاب ١/١٤ — ١٥ .
(١٤٣) الكتاب ١/٦٩ .
(١٤٤) الكتاب ١/٧١ .

(واسأل القرية التي كنا فيها ، والعيرَ التي أقبلنا فيها) (١٤٥) ، إنما يريد : أهل القرية ، فاختصر ... ومثله : (بل مكر الليل والنهار) (١٤٦) ، وإنما المعنى : بل مكركم في الليل والنهار ، وقال تعالى : (ولكنَّ البرَّ مَنْ آمَنَ بالله) (١٤٧) ، انما هو : ولكنَّ البرَّ برُّ من آمن بالله ، ومثله في الاتساع قوله عزوجل : (ومثلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعقُ بما لا يسمع إلاّ دُعاء ونداء) (١٤٨) ، فلم يشبهوا بما ينعق ، وانما شبهوا بالمنعوق به ، وإنما المعنى : مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ، ولكنه جاء على سعة الكلام والايجاز لعلم المخاطب بالمعنى ، ومثل ذلك من كلامهم : بنو فلان يطؤهم الطريق ، وإنما يطؤهم أهل الطريق» (١٤٩).

وأعتقد أن في هذه النصوص دليلاً كافياً على عظيم اهتمام النحاة باستقراء معاني الكلام واساليبه وأنهم لم يشغلوا أنفسهم بالشكل بل اهتموا به كما اهتموا بالمضمون والمعنى .

ولم يكتف النحاة باستقراء اوضاع المفردات العربية في التراكيب ، وما يطرأ عليها من تغيير يتصل بإعرابها أو بنائها ، بل قاموا ايضاً باستقراء الجملة في العربية ، وكيف يتألف الكلام ، وعلام يعتمد ؟ وماذا ينبغي أن يتوفر في التركيب ليكون كلاماً ؟ فدلّهم الاستقراء والتتبع الى ان الكلام هو التركيب الذي يحسن السكوت عليه (١٥٠) ، المشتمل على فائدة يقدمها المتكلم بين يدي المخاطب ، فليس كل تركيب يعد كلاماً ، فشرط الكلام أن تتوفر فيه الفائدة (١٥١) ، ويعد سيبويه أول من تنبه الى

(١٤٥) يوسف /٨٢ .
(١٤٦) سبأ /٣٣ .
(١٤٧) البقرة /١٧٧ .
(١٤٨) البقرة /١٧١ .
(١٤٩) الكتاب ١/ ١٠٨ – ١٠٩ .
(١٥٠) الفوائد الضيائية ١/١٧٥ والمرتجل في شرح الجمل ٣٤٠ .
(١٥١) المقتصد في شرح الايضاح ٩٣/١ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٤٢/٢ .

هذه المسألة ، حيث قال : « واذا قلت كان رجل ذاهباً ، فليس في هذا شيء تُعْلِمُهُ كان جهله [يعني المخاطب] ، ولو قلت : كان رجل من آل فلان فارساً ، حَسُن لأنه قد يحتاج الى أن تعلمه أن ذاك في آل فلان ، وقد يجهله ، ولو قلت : كان رجل في قوم فارساً ، لم يحسُن ؛ لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا فارس ، وأن يكون من قوم » (١٥٢) .

وتوصل النحاة عن طريق الاستقراء الى أن الكلام لابُدّ أن يبنى من من ركنين هما المسند والمسند اليه ، وأن المسند اليه لا يكون الا اسماً . أما المسند، فقد يكون اسماً ، وقد يكون غير اسم . قال سيبويه : « هذا باب المسند والمسند اليه ، وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بُدّاً ، فمن ذلك : الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك : عبدالله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك قولك : يذهب زيد ، فلابد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الأول بُدٌ من الآخر في الابتداء » (١٥٣) .

وثبت عند النحاة بالاستقراء أنّ الاسم لا يمكن أن تخلو منه الجملة ، أما الفعل فقد يُستغنى عنه في الكلام (١٥٤) . وذلك أن الاسم قد يبنى منه ومن اسم آخر تركيب يؤلف كلاماً ، ولا يشترط في هذا التركيب أن يضم فعلاً ، نحو : « هذا أخوك » ، أمّا الفعل فلا يؤلف منه كلام إلاّ إذا أسند إلى اسم ، إذ لا يمكن أن يسند الفعل إلى فعل آخر (١٥٥) ، ومن هنا قرر النحاة أنّ الفعل لا يخلو من اسم مرفوع مسند إليه . قال سيبويه : « الفعل لابُدّ له من فاعل » (١٥٦) ، وقال في موضع أخر : « لا يخلو الفعل من مضمر أو مظهر مرفوع من الأسماء » (١٥٧) .

---

(١٥٢) الكتاب ١/٢٦ – ٢٧ .
(١٥٣) الكتاب ١/٧ .
(١٥٤) الكتاب ١/٦ .
(١٥٥) كتاب المقتصد في شرح الايضاح ١/٩٥ ، والمرتجل ٢١ والفوائد الضيائية ١/١٨٨ .
(١٥٦) الكتاب ١/٤٠ .
(١٥٧) الكتاب ١/٤١ .

واستقرى النحاة بعد سيبويه أنماط التراكيب التي تأتلف فتكون كلاماً تاماً ، وكان ابو علي الفارسي المتوفى سنة (٣٧٧ هـ) من أقدم الذين تعرضوا لذلك ، فقد قال في الإيضاح : « فالاسم يأتلف مع الاسم ، فيكون كلاماً مفيداً كقولنا : عمرو أخوك ، وبشر صاحبك ، ويأتلف الفعل مع الاسم فيكون كذلك ، كقولنا : كتب عبدالله ، وسُرَّ بكرٌ ، ومن ذلك : زيد في الدار ، ويدخل الحرف على كل واحد من الجملتين فيكون كلاماً كقولنا : إنّ عمراً أخوك ، وما بشر صاحبك وهل كَتب عبدالله ، وما سُرَّ بكر ، ولعل زيداً في الدار ، وما عدا ما ذكر مما يمكن ايتلافه من هذه الكلم فمطّرحٌ الا الحرف مع الاسم في النداء (١٥٨) ، نحو : يا زيد ، ويا عبدالله ، فان الحرف والاسم قد ايتلف منهما كلام مفيد في النداء » (١٥٩) .

ويعني أبو علي بالتراكيب المطّرحة هذه التراكيب الثلاثة : « الفعل مع الفعل ، والفعل مع الحرف ، والحرف مع الحرف » (١٦٠) ، فهذه الأنماط من التراكيب لم يأت منها شيء في العربية ، وذلك ثابت بالاستقراء .

وهذا الذي ذكره أبو عليّ الفارسيّ يمثل أقلّ ما يمكن أن يأتلف منه الكلام ، وهو استقراء سديد وصادق (١٦١) .

وقد توسع النحاة المتأخرون في تتبعهم أنماط التراكيب التي يأتلف منها الكلام ، ويأتي ابن هشام المتوفّى سنة (٧٦١ هـ) في مقدمة هؤلاء النحاة ، فقد ذكر أن صور تأليف الكلام ست : « وذلك لأنه يتألف من اسمين ، نحو :

---

(١٥٨) جمهور النحاة ومنهم أبو علي يذهبون الى أن النداء جملة فعلية اضمر فعلها انظر الكتاب ١/١٤٧ ، والمسائل العسكريات لأبي علي ٨٧ ، وهمع الهوامع ١/١٧١ .

(١٥٩) الايضاح العضدي ٩ وانظر المقتصد في شرح الايضاح ١/٩٤ .

(١٦٠) المرتجل في شرح الجمل ٥٧ والمقتصد في شرح الايضاح ١/٩٤ ، والفوائد الضيائية ١/١٧٧ .

(١٦١) شرح قطر الندى وبل الصدى ٤٥ .

زيد قائم ، أو من فعل واسم ، نحو : قام زيد ، وضُرِبَ زيدٌ ، أو من جملتين ، وذلك في باب الشرط والجزاء ، نحو : إن قام زيد قمت ، وباب القسم وجوابه ، نحو : أحلف بالله لزيد قائم . أو من فعل واسمين ، نحو : كان زيد قائماً ، أو من فعل وثلاثة أسماء ، نحو : علمت زيداً فاضلاً ، أو من فعل وأربعة أسماء ، نحو : أعلمت زيداً عمراً فاضلاً » (١٦٢) .

وهذا الذي ذكره ابن هشام إنما يخص الجمل الصغيرة التي يكون فيها المسند مفرداً ، اسماً أو فعلاً ، ولا يشمل الجمل التي يكون فيها المسند جملة ، وهي التراكيب التي يبنى فيها الكلام على اسم مبتدأ ، ثم يؤتى بخبره جملة اسمية ، نحو : « زيد أبوه قائم » ، أو جملة فعلية ، نحو : « زيد يقوم » أو « زيد يقوم أبوه » ، وسمّى ابن هشام هذا النوع من التراكيب « الجمل الكبرى » (١٦٣) ، لأنها تحتوي على إسنادين .

وللنحاة مباحث كثيرة تتصل بالجملة قائمة على الاستقراء ، فقد قسموا الجمل الى جمل اسمية وجمل فعلية ، وتتبعوا نواسخ الجمل الاسمية ، وتحدثوا عن الجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي لا محل لها من الاعراب ، وثبت عندهم بالاستقراء أن الجمل التي لها محل من الاعراب لابد أن يكون فيها رابط يربطها بما قبلها ، فتتبعوا رابط جملة الخبر بالمبتدأ ، ورابط جملة النعت بالمنعوت ، ورابط جملة الحال بصاحبه ، قال ابن الخشاب (المتوفى سنة ٥٦٧ هـ) : « واعلم أن هذه الجمل التي وقعت موقع المفردات ، فحكم لها بإعرابها في الموضع ، لا تعرى من ذكر يرجع الى المذكور الذي كان ذلك المفرد الذي نابت هذه الجملة منابه تابعاً له ، وثانياً ، كخبر المبتدأ ، فمثلاً في قولك : زيد أبوه خارج ، فالهاء في قولك (أبوه) هي

(١٦٢) شرح قطر الندى وبل الصدى ٤٤ .

(١٦٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٤٥/٢ .

الذكر العائد . ولو قلت : زيد عمرو منطاق ، لم يجز ، لتعري الجملة من الذكر » (١٦٤) .

وثبت عندهم بالاستقراء أن جملة الخبر قد تكون نفس المبتدأ في المعنى وعندئذ لا تحتاج الى رابط يربطها بالمبتدأ (١٦٥) ، نحو قولنا : «نطقي الله حسبي » ، لأن المراد بالنطق المنطوق به (١٦٦) ، وهو الخبر (الله حسبي) .

وتبين لهم بالاستقراء أيضاً أن رابط الجملة الحالية إما أن يكون ضميراً عائداً على صاحب الحال . وإما أن يكون واواً سمّوها (واو الحال) ، وقد يجمع بين الواو والضمير في جملة الحال (١٦٧) ، نحو : خرج زيد وتحته فرس جواد ، والواو هنا ليست لازمة ، إذ تستطيع أن تقول : خرج زيد تحته فرس جواد ، فيكون الذكر العائد على صاحب الحال هو الضمير الهاء في جملة الحال « تحته فرس جواد » . ولـكن إذا خلت جملة الحال من ذكر يرجع الى صاحب الحال عندئذٍ تكون الواو لازمة لربط جملة الحال بجملة صاحب الحال ، نحو : « خرج زيد وعمرو قائم » . ولا يصح أن تسقط الواو من مثل هذا الكلام لخلو الجملة الثانية « عمرٌو قائم » من أيّ رابط يربطها بالجملة السابقة (١٦٨) ، والأصل في الكلام أن يكون آخره مرتبطاً بأوله .

والرابط لا يختص بالجمل التي لها محل من الإعراب ، بل قد يشترط وجوده في بعض الجمل التي لا محل لها من الاعراب ، مثل جملة الصلة ، اذ لابُدّ لها من أن تحتوي على ضمير يعود على الاسم الموصول ، وهذا الضمير

(١٦٤) المرتجل في شرح الجمل ٣٤٣ .
(١٦٥) المقتضب ١٢٨/٤ ، والمقرب لابن عصفور ٨٣/١ .
(١٦٦) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ١٣٩/١ .
(١٦٧) المرتجل في شرح الجمل ٣٤٣ .
(١٦٨) المرتجل في شرح الجمل ٣٤٣ .

هو الرابط الذي يربط جملة الصلة بالاسم الموصول ، والأصل في هذا الضمير أن يكون مذكوراً ، ولكن قد يحذف (١٦٩) ، وعلى هذا جاء قوله تعالى : (فاقْضِ ما أنتَ قاضٍ) (١٧٠) ، أيْ : فاقْضِ ما أنت قاضٍ به .

وحذف الرابط ليس منحصراً في جملة الصلة : فقد يقع في جملة الصفة ، وعلى هذا فسر قوله تعالى : (واتّقُوا يوماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئاً) (١٧١) ، ومعناها : لا تجزي نفس فيه عن نفس شيئاً . وقد يقع حذف الضمير الرابط في جملة الخبر أيضاً ، نحو قولهم : « السَّمنُ مَنَوان بدرهم » ، أي « مَنَوان منه بدرهم » (١٧٢) .

إن هذه المباحث المتصلة بالجملة وما يتعلق بها كلها قائمة على الاستقراء وحده ، وليس للعلوم الكلامية أيُّ أثر فيها ، والأحكام التي أوردها النحاة في هذا الباب كلها أحكام صادقة وسديدة وشاملة ، ولا أظن أنّ هناك من الباحثين المعاصرين من يستطيع أن يستدرك عليهم فيها شيئاً .

لقد كان استقراء كلام العرب همّ النحاة ، واستطاعوا عن ذلك الطريق أن يثروا المكتبة العربية بذلك التراث الضخم من المؤلفات التي سطروا فيها قواعد العربية وأحكامها ، وكانت كل طبقة منهم تكمل عمل الطبقة السابقة لها ، فجاء استقراؤهم كلام العرب مكملاً بعضه بعضاً . فاذا فات أحد النحاة شيء ما ، نرى نحوياً آخر أو أكثر من نحويّ يستدركون عليه ما فاته ، والناظر في كتب النحو كثيراً ما يرى أنّ بعض النحاة يستدرك على بعض آخر ، إذْ من المتعذر على أيّ عالم أنّ يستوعب اللغة كلّها ، ولهذا لم يسلم نحويّ من

(١٦٩) الكتاب ١/٤٤ – ٤٥ .
(١٧٠) طه /٧٢ وانظر اوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ١/١٢٣ .
(١٧١) البقرة /٤٨ وانظر الكتاب ١/١٩٣ والبيان في غريب اعراب القرآن ١/٨٠ .
(١٧٢) الفوائد الضيائية ١/٢٨٣ وهمع الهوامع ١/٩٦ – ٩٧ .

الاستدراك عليه وخاصة النحاة المتقدمين ، أمثال : سيبويه ، والفرّاء ، والمبرّد .

ولعل أول استقراء ناقص وردت الإشارة اليه ، هو ذلك الاستقراء الذي أجراه أبو الأسود الدؤلي والمتعلق بالأحرف المشبهة بالفعل ، فقد ذكرت الأخبار أنه لما أراد أن يضع صحيفة في النحو تتبع هذه الأحرف فيما تتبع من مبادىء النحو الأولية ، ثم عرضها على الإمام علي ، رضي الله عنه ، فوجد أنه ذكر خمسة من هذه الأحرف ، وهي : إنّ ، وأنّ ، وكأنّ ، وليت ، ولعلّ ، وأغفل ذكر (لكنّ) ، فقال له الإمام عليّ : لِم تركتها ؟ فقال له أبو الأسود الدؤلي : لم أحسبها منها . فقال له : إنها منها ، فزدها فيها (١٧٣) .

ومن النحاة الذين استدرِكَ عليهم سيبويه ، فقد فاته مثلاً أن يذكر (أيّان) في أدوات الشرط ، واقتصر في ايرادها ضمن أدوات الاستفهام(١٧٤) فجاء النحاة من بعده فاستدركوها عليه ، فذكروها في باب الشرط ، قال السيوطي : « وممن لم يحفظ الجزم بها سيبويه ، لكن حفظه أصحابه » (١٧٥) .

ولما عرض سيبويه لحرف الجر (من) ذكر أنهــا تدخل على المــكان ، ولم يذكر أنها تدخل على الزمان (١٧٦) ، وهذا غريب منه ، فقد جاءت في القرآن الكريم والشعر داخلة عليه ، قال تعالى : (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوَى من أوّلِ يومٍ أحَقُّ أنْ تَقُومَ فيهِ) (١٧٧) ، وقال النابغة :

تُخُيِّرْنَ مَن أزمانِ يومِ حَلِيمةٍ　　إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كُلَّ التجاربِ(١٧٨)

---

(١٧٣) الأشباه والنظائر في النحو ٧/١ .
(١٧٤) الكتاب ٣١٢/٢ .
(١٧٥) همع الهوامع ٥٧/٢ .
(١٧٦) الكتاب ٣٠٨/٢ .
(١٧٧) التوبة / ١٠٨ .
(١٧٨) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ١٤/٢ .

وقد نص كثير من النحاة غير سيبويه على أنها لا تختص بالمكان فقط ، بل تدخل عليه وعلى الزمان (١٧٩) . وهو الصحيح لورودها كثيراً في كلام العرب داخلة على الزمان ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

وفات سيبويه أن يذكر النصب بـ (حاشا) على الاستثناء ، فلم يشر إلاّ الى الجر بها ، وجاء النحاة من بعده ، فذكروا أنها تجر الاسم بعدها كثيراً ، وتنصبه قليلاً ، وهي في كلا الحالين تفيد الاستثناء . وهي حرف جر اذا جُرّ الاسم بعدها ، وفعل جامد اذا نصب الاسم بعدها (١٨١) .

وفات الفراء المتوفىّ سنة (٢٠٧ هـ) أن يذكر لفظة (هن) ضمن الأسماء التي تعرب بالواو رفعاً ، وبالألف نصباً ، وبالياء جراً (١٨٢) ، فاقتصر على ذكر هذه الأسماء : « أبوك ، وأخوك وحموك ، وفوك » ، فهي عنده خمسة أسماء ، ولم يحفظ في لفظة (هن) إلاّ الإعراب بالحركات ، فجاء النحاة من بعده ، فذكروا أنّ هذه الأسماء ستة (١٨٣) ، وجعلوا لفظة (هن) منها ، ومن هنا شاع في كتب المتأخرين مصطلح الأسماء الستة (١٨٤) .

وزعم المبرد المتوفىّ (٢٨٥ هـ) أنه لم يرد في كلام العرب مثل «لولاي ، ولولاك ، ولولاه » ، وقرّر أنه لا يأتي من الأسماء بعد (لولا) الا ضمير الرفع المنفصل . مثـــل « لولا أنتم ، ولولا أنا ، ولولا هو » ، أو اسم ظاهر مرفوع ، مثل : « لولا زيد » (١٨٥) ، واعتمد المبرد في ذلك على ما استقراه

(١٧٩) الفوائد الضيائية ٢/٣٢٠ ، والتسهيل ١٤٤ ، وهمع الهوامع ٢/٣٤ .
(١٨٠) الكتاب ١/٣٥٩ .
(١٨١) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ١/١١٠ والتسهيل ١٠٥ .
(١٨٢) شرح الأشموني ١/٦٩ .
(١٨٣) اللمع في العربية ٦٧ .
(١٨٤) أوضح المسالك ١/٢٨ ، وشرح الأشموني ١/٦٨ ، وهمع الهوامع ١/٣٨ .
(١٨٥) الكامل ٣/٣٤٥ — ٣٤٦ ، وانظر المقتضب ٢/٧٣ ، و٧٧ .

في القرآن الكريم من استعمال (لولا) . اذْ لم يرد فيه مجيء ضمير الجر بعد (لولا) . وما استقراه المبرد في القرآن صحيحٌ ، إذ لم يرد فيه بعد (لولا) ضمير سوى ضمير الرفع المنفصل ، ومنه قوله تعالى : (لَوْلا أنتم لَكُنّا مؤمنين) (١٨٦) ، ولكن عدم ورود شيء من العربية في القرآن الكريم ، لا يعني أبداً أنه غير وارد في غيره من كلام العرب ، فمثلاً لم يرد في القرآن الكريم استعمال (أيّان) أداة شرط ، إذ اقتصر استعمالها فيه على الاستفهام، ومنه قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عن السّاعةِ أيّانَ مُرْساها)(١٨٧)، فهل يعني هذا أنها لم تستعمل أداة شرط في العربية ؟ والصحيح أنها استعملت (١٨٨) ، ومنه قول الشاعر :

اذا النعجة العيناء كانت بقفرة

فأيّان ما تَعْدِلْ بها الريحُ تنزِلِ (١٨٩)

ولم يرد في القرآن الكريم استعمال (لَدُنْ) إلاّ مسبوقة بحرف الجر (من) ، ومنه قوله تعالى : (وعَلّمْناهُ من لَدُنّا عِلْماً) ، ولكن هذا لا يمنع استعمالها مجردة من حرف الجر (من) ، فقد جاءت على هذا النمط من الاستعمال في قول القطامي :

صريعُ غَوانٍ راقهُنّ ورقْنَه

لَدُنْ شَبَّ حتّى شابَ سودُ الذّوائبِ(١٩١)

فاحتجاج المبرد إذن قائم على استقراء ناقص ، لم يشمل أنماط كلام

(١٨٦) سبأ /٣١ .
(١٨٧) الأعراف /١٨٧ .
(١٨٨) أوضح المسالك ١٨٩/٣ .
(١٨٩) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ٣٦٣ والبيت في ديوان الهذليين برواية مقاربة ١٩٤/٢ .
(١٩٠) الكهف /٦٥ .
(١٩١) شرح الأشموني ٢٦٣/٢ .

العرب كلها ، بل اقتصر على نمط واحد وهو ما ورد في التنزيل ، وما ورد فيه لا يسع استعمال جميع المفردات العربية ، ولا صيغها المختلفة مع أنه بلا ريب ، يعد نموذجاً فريداً لأساليب العربية وصيغها وتراكيبها ، فضلاً عن عن أنه أوثق نص صيغت ألفاظه بلغة العرب الخالدة . ومن هنا أثبت غير المبرد من النحـــاة صحة استعمال مثل (لولاك ، ولولاي ، ولولاه) ، فجاؤوا بشواهد من كلام العرب تصحح مذهبهم ، ومنها قول يزيد بن أم الحكم :

وكم موطنٍ لولاي طحت كما هوى
بأجرامه من قُلّةِ النّيقِ مُنْهَوي (١٩٢)

فاذا كان سيبويه والفراء والمبرد وغيرهم من النحاة قد فاتهم شيء من كلام العرب ، فأصدروا أحكاماً ناقصة أو غير سديدة ، فان الله تعالى قد قيّض للعربية من استطاع أن يكمل ما فات أولئك الأعلام على سعة حفظهم وكثرة تتبعهم ، فجاءت أحكام العربية في غاية السّداد والكمال والشمول .

★ ★ ★

ويتضح مما أوردته في ثنايا هذا البحث أنّ النحاة قد اعتمدوا المنهج الوصفي القائم على الاستقراء ، فبنوا أحكامهم النحوية على ما استخلصوه من ذلك الاستقراء الواسع لمختلف أنماط الكلام العربي ، واستطاعوا أن يضبطوا قوانين النحو العربي وقواعده الكلية والجزئية ، سواء أكان ذلك متعلقاً بمفرداتها أم كان متعلقاً بتراكيبها ، وأنهم استوعبوا نظم العربية ولم يفتهم من أحكامها شيء ذو بال . ولم يكن للعلوم الكلامية أيّ أثر في وضعهم تلكم الأحكام والضوابط والقواعد التي بنوا عليها صرح النحو العربيّ ، وسيبقى عملهم هذا من الأعمال العظيمة التي تعتزّ بها الأمة طبقة بعد طبقة . فجزاهم الله عنا وعن العربية خير الجزاء .

---

(١٩٢) الكتاب ٢٨٨/١ ، وانظر كتاب الأزهية ١٨٠ ، ومغني اللبيب ٢١٦/١ وشرح الأشموني ٢٠٦/٢ .

كتاب «المذكر والمؤنث»

لأبي حاتم السجستاني

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

كلية بغداد / جامعة الموصل

الرجل :

هو ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني (١) ، (ت ٢٥٥ هـ) البصري الراوية اللغوي (٢) المقرىء المفسّر المحدّث النحوي (٣) ..

أخذ عن طائفة من شيوخ عصره المرموقين ، وفيهم : أبو زيد الأنصاري ، والأصمعيّ ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، ويعقوب بن اسحاق الحضرميّ ، والاخفش الاوسط . وتلمذ له ابن قتيبة وابن دريد ، وسواهما .

وقد أحصى له عدد من الباحثين ما ترك من آثار ، وكان أوفاهم صنيعاً محقق كتاب (فعلت وافعلت) حيث انتهت عنده الى ثمانية وأربعين كتاباً (٤).

الكتاب :

هو أجلّ كتب أبي حاتم وأخطرها أثراً في الدرس اللغويّ ، وأوسع

---

(١) النسبة الى سجستان في اطراف خراسان ، وهو من قبيلة جشم العربية صلبية او ولاء .
(٢) أعد بحثا لكشف هذا الجانب .
(٣) زعم ابن خلكان (الوفيات ٢/٣١) انه لم يكن حاذقا في النحو ، وكان اذا اجتمع بالمازني تشاغل او بادر المجلس خشية ان يسأله في النحو . وهذا القول معترض بما أورده السيرافي (اخبار النحويين البصريين ٥٥) والزبيدي (الطبقات ١٠٠) من أن له كتابا في النحو ، وقد عده الأول في الطبقة الثالثة من النحويين البصريين ، وسلكه الثاني فيهم ، وزعم أنه روى علم سيبويه من الاخفش ، وانه قرأ الكتاب مرتين ، وكانت تقرأ عليه كتب الاخفش فيرد رداً حسناً .
(٤) ينظر : مقدمة (فعلت وافعلت) ص ٣ فما بعدها .

كتب التذكير والتأنيث الأُمّات لمعاصريه .

ولم يعرّف بنسخته النفيسة الفريدة التي لا ثانية لها في العالم سوى الدكتور نهاد جتين (٥) ، والدكتور رمضان عبدالتّواب ، وهي ضمن مجموع رقمه ٢٩٥ تحتفظ به مكتبة (يوسف أغا) بقونية ، وعدد صفحاتها ثمان ومئتا صفحة ، في كلّ صفحة ثلاثة عشر سطراً ، متوسط كلمات كل سطر تسع كلمات (٦) .

تحقيق نسبة الكتاب :

أجمع اصحاب التراجم والطبقات المتقدمون أنّ لأبي حاتم كتاب « المذكر والمؤنث » لم يشذّ على هذا الإجماع أحد ، وورد في « مجالس العلماء » للزجّاجي (٧) أنّ أبا حاتم اجتمع هو والتوّزيّ عند الأخفش الأوسط ، فقال له التوّزيّ :

ما صنعت في كتاب المذكر والمؤنث ؟ فأجابه أبو حاتم : قد عملت في ذلك شيئاً . ومن ثمةّ كان العلماء المعاصرون لأبي حاتم يعرفون يقيناً انصرافه الى تصنيف كتاب في التذكير والتأنيث ، وليس من المنطق في شيء أن يكون كتاباً يسيراً صغيراً ، كما صار شأن ما صنّفه كثير من اللغويين فيما بعد ، وشأن الرسالة المختصرة المنسوبة إليه خطأ .

وقد أصبح الكتاب حقاً مصادراً خطير الأثر في كتابين هما أجلّ الكتب المصنّفة في هذا الميدان هما : كتاب المذكر والمؤنث لأبي بكر بن الأنباريّ ،

---

(٥) أطلعني الدكتور نهاد جتين عليها محققة حين زرته أنا والصديق الدكتور حاتم الضامن في معهد الدراسات الشرقية باستانبول صيف عام ١٩٧٥ ، وأعارني مشكوراً مصورة لها ، كانت مناط هذا البحث ، وآخر سيأتي ، وينظر : مجلة الشرقيات ١/٩٣ — ٩٧ .

(٦) مقدمة مختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة ٢٤ ، وأعاد الاشارة اليه في كتب تالية ، وهو يتحدث عن تراث العربية في التذكير والتأنيث .

(٧) المجلس ٢١/ ص ٥٠ .

وكتاب المخصّص لابن سيدة ، فقد نقلا عنه نصوصاً كثيرة (٨) ، وجدتها كلّها في كتاب أبي حاتم حذو القذّة بالقذّة أحياناً ، وبتغيير طفيف أحياناً اخرى (٩) . لعل مردّ ذلك الى أنّهما اعتمدا على نسختين أخريين غير النسخة التي بين أيدينا .

أمّا إذا عدنا الى النسخة المخطوطة من الكتاب ، وهي موضوع بحثنا لفحصها فحصاً داخلياً ، فإنّنا نجد :

١ . أنّه كُتب على صفحة العنوان :

« كتاب المذكر والمؤنث تأليف أبي حاتم سهل بن محمد السجستانيّ » ، والنسبة واضحة صريحة ، والاسم واضح صريح .

٢ . وأنّ الكتاب مقابل على أصل ، وقد تمّت المقابلة بتاريخ يلي سنة ثلاث مئة وأظنّها سنة ست وثمانين على أبعد احتمال ، فقد ورد في ختام الورقة الأخيرة عبارة كان واضحاً منها :

« تمّت المقابلة في   من ربيع الآخر من سنة   وثلثماية » .

وقد وجدت في الصفحة الأخيرة من كتاب سابق من المجموع ، بالخط الذي كتبت به هذه العبارة ما يأتي :

« وفرغت من قراءتي هذا الكتاب علي أبي الحسين علي بن أحمد بن محمد

---

(٨) الذي اراه ان صاحب المخصص قد نقل ما نقله من كتاب ابي حاتم عن طريق كتاب ابن الانباري ، فالتماثل الذي يصل احيانا الى حد التطابق بين عبارتي ابن الانباري وابن سيدة المنسوبتين الى ابي حاتم والاختلاف بينهما وبين عبارة ابي حاتم في نسخة كتابه التي بين يدي، او ان تكون النسخة التي اعتمدها ابن سيدة منسوخة عن نسخة ابن الانباري ينظر على سبيل التمثيل : المذكر والمؤنث لابن الانباري ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، والمخصص ١١٩/١٧ .

(٩) ينظر المذكر والمؤنث وحواشه على سبيل التمثيل : ص ١٤٣ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ . والمخصص ١٠٠/١٦ ، ٣٥/١٧ ، ٤٨ ، ١١٩ ، ١٢٦.

ابن جعفر بن محمد المهلّبيّ (١٠) في رجب من سنة أربع واربعين وثلثماية ... »، وهذا دليل على وثاقة النسخة من حيث مقابلتها وضبطها وقدمها ، ومن حيث خطّها النفيس الواضح الذي يرقى الى القرن الرابع الهجريّ .

٣ . وأنّ الكتاب برواية أبي الحسن (لعلّه الاخفش الصغير عليّ بن سليمان اذ جاء فيه ما نصه (ق ١٣٦ ب) .

« قال ابو الحسن : انشدنا أبو العبّاس المبرّد عن الزيّادي عن الأصمعي في تأنيث البعير :

لا تبتغي لبن البعير   وعندنا عرق الزّجاجة

ومعلوم أنّ كثيراً من رواة الكتب يقحمون فيها شيئاً من أقوالهم أو من رواياتهم وهو ما فعله الأخفش نفسه في روايته لنوادر ابي زيد ، وكامل المبرّد .

٤ . وقد ذكر أبو حاتم أخذه عن أبي زيد الأنصاريّ (١١)، والأصمعيّ (١٢) والأخفش الأوسط (١٣)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (١٤) ، وتتفق الكتب التي ترجمت لأبي حاتم ، أو ترجمت لهم على اتّصاله بهم .

أمّا كتاب « المذكر والمؤنث » المنسوب الى أبي حاتم ، وقد نشره أستاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي في مجلة « رسالة الاسلام » العددين ٧ ، ٨ ، ثم نشرته الدكتورة ابتسام مرهون الصفّار في مجلة « البلاغ » .

---

(١٠) نزيل مصر ، كان أديباً لغوياً نحوياً ، روى عنه المصريون واكثروا ، وتنافسوا في خطه والرواية عنه (الإنباه ٢/٢٢٢) .

(١١) المذكر والمؤنث ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ .

(١٢) ١١٧ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٥ .

(١٣) ١٥٧ ، ١٧٩ .

(١٤) ١٧٨ .

أقول : أما هذا الكتاب ، فإن الشكّ يخترم نسبته إلى أبي حاتم السجستانيّ لما يأتي :

١ . لم يذكر من ترجم له أنّ له كتاباً مختصراً في التذكير والتأنيث بازاء كتابه « المذكر والمؤنث » .

٢ . وأنّ ما كتب على صفحة العنوان هو « كتاب التذكير والتنيث للعلاّمة أبي حاتم رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته آمين . هو محمد شمس الدين أبو حاتم السجستانيّ رحمه الله ، ونفعنا ببركاته . آمين . » وعلى هذا العنوان كلّه ملاحظ :

آ . أنّ العنوان هو (كتاب التذكير والتأنيث) لا المذكر والمؤنث وتسمية الرسالة المحقّقة باسم (المذكر والمؤنث) تصرّف بالعنوان غير مباح.

ب . لم يعرف المترجمون ولا غيرهم لأبي حاتم لقباً هو (شمس الدين) ولم يكن اسمه محمداً ، بل هو سهل بن محمد .

ج . أنّ العبارة برمّتها هي عبارة المتأخرين .

٣ . وحين نعود الى النّص المنشور ، ووصف مخطوطته ــ على ما ذكر المحقّقان ــ وعلى اللوحين المنشورين منه ، نجده غفلاً من اسم الناسخ وتاريخ النسخ ، كما أنّ ناسخه قد أمعن في العناية بإخراجه منسوخاً بخط الثلث الجليّ ، .وهو خطّ يتأخر كثيراً عن تاريخ نسخ مخطوطة (المذكر والمؤنث) التي ندرسها .

ويلي البسملة في مطلع الرسالة عبارة : (اختصار التذكير والتأنيث) وهذه العبارة مختلفة عن عنوان الغلاف ، وعن العنوان الذي وضعه المحقّقان .

وبعد ، أفهذا النصّ : هو مختصر لكتاب أبي حاتم (المذكر والمؤنث) ؟ من اختصره ؟ أم هو كتاب آخر له أو لغيره ؟

حين عدت الى الاختصار والكتاب أوازن بينهما ، وقفت على :

١ . اختلاف في ترتيب المواد المذكرة والمؤنثة بين الاختصار والكتاب .

٢ . وورود ألفاظ في الاختصار ليس لها ذكر في الكتاب .

٣ . واحتواء الكتاب على الفاظ شتىّ خلا منها الاختصار.

٤ . وأنّ الاختصار ليس اختصاراً ، بل هو التقاط هيّن يسير .

ومن ثمّة رجح عندي أنّ الاختصار ليس لأبي حاتم ، لم يضعه وضعاً منفصلاً ، ولم يجرّده من كتابه ، كما لم يختصره أحد من كتاب ابي حاتم .

ولعلّه من وضع شخص لا يعرف من اسمه إلاّ (محمد شمس الدين) فأضاف إليه الناسخ اسم (أبي حاتم السجستانيّ) وهماً أو جهلاً أو ترويجاً له .

وعلى هذا ، فإنّ ما ذكره الدكتور رمضان عبدالتوّاب من (أنّ منه مختصراً مخطوطاً بدار الكتب) ، وهو يشير إلى الاختصار ، قول مرسل إرسالاً بلا قرينة ، وهو معتمد على فرض لم يتحقّق من صدقه ، إذ إنّ إشارته إلى وجود مخطوطة كاملة من كتاب « المذكر والمؤنث » بقونية (١٥) مستفادة — في تقديري — ممّا كتبه الدكتور نهاد جتن (١٦) ، ولم يتسنّ له أن يوازن بين الكتابين ، ولو وازن إذن اكان له قول آخر .

وقد تحدث الدكتور رمضان بعدُ عن الاختصار ، فقال : « وكتب تحته : « هو محمد شمس الدين أبو حاتم السجستانيّ ، وهو تحريف عجيب ، صوابه : (سهل بن محمد ابو حاتم السجستانيّ) » .

وليس الأمر كما ذكر ، وقد بينّت السبب واضحاً ، وإذا عرف السبب بطل العجب ، كما يقولون .

---

(١٥) مقدمته لمختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة ص ٢٤ .

(١٦) مجلة الشرقيات / العدد ٨٧/١ — ١١٨ .

مصادره :

تتجدّد مصادر أبي حاتم في كتابه :

آ . فيما سمعه هو أو رواه عن العرب .

ب . فيما سمعه أو رواه عن اللغويّين البصريّين : أبي زيد الأنصاري والأصمعي ، والأخفش الاوسط ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، ويونس ابن حبيب (١٧) .

وكانت روايته عنهم ، سوى يونس ، بقوله : (سمعت) و(سمعت من) و (أخبرني) و (حدّثني) و (زعم) و (قال) و (سألت) و (أنشدني) و (أنشدنا) .

وسأذكر فيما يأتي جميع ما أفاده من هؤلاء منسوقاً على الصفحات محققاً ومعارضاً على النظائر :

أولا : أبو زيد الأنصاري .

١ . « وحدّثني ابو زيد الانصاريّ أنّ رؤبة بن العجاج كان يقول للبرذَون قرّب ذلك الدابّة : لانّ الدابة للذكر والانثى . » (١٧)

٢ . « واخبرني أبو زيد أنّ العرب تقول صبيّ يتيم للذي مات أبوه وأمّا اليتيم من الدوابّ فالذي ماتت أمّه . » (١٨)

٣ . « وحدّثني ابو زيد الانصاريّ انّه سمع من بعض العرب : وكيلات ، وحرّيات وعدلات . » (١٩)

---

(١٧) ١١٦ أ ، في الاصل (قرد) موضع (قرب) ، تحريف . وفي اللسان (ديب) ٣٥٧/١ انّه ذكر عن رؤبة انه كان يقول : قرب ذلك الدابة لبرذون له . وذكر انه يقع على المذكر والمؤنث وحقيقته الصفة .

(١٨) ١١٨ ب ، وفي اللسان (يتم) عن ابن السكيت ان اليتم في الناس من قبل الاب . وفي البهائم من قبل الام .

(١٩) ١٢٢ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ١٤٩ : « وقال ابوزيد الانصاري : سمعت العرب تقول : وكيلات ، فهذا يدل على وكيلة ». وفي المخصص ٣٦/١٧ :=

٤ . « فقالوا : هذا كمء ، وهذان كمآن ضخمان ، وهذه ثلاثة اكمؤ ، قال ابو زيد الأنصاريّ : من العرب من يقول للواحدة والجمع بالهاء وكذلك الجبأة للكمأة الحمراء ، يقال : هذا جبؤ ، هذان جبآن وثلاثة اجبؤ ، والجمع الجبأة ، وقالوا للكمى الابيض : هذا فَقْعٌ وثلاثة أفقُع ، وهو الفَقْعة . قال ابو زيد : وربّما قالوا للجميع الفُقُوع . » (٢٠)

٥ . « وفَصّ الخاتم مفتوح ، وزعم ابو زيد أنّ الكسر لغة ، وكذلك كان يقول في حَجر المرأة انّه قد يقال : حِجر . » (٢١)

٦ . « والعنق مذكر ، وزعم الاصمعيّ انّه لا يعرف التأنيث فيه ، وذلك الكلام المشهور ، وزعم ابو زيد انّه يؤنث ويذكر » (٢٢) .

** « وربما ادخلوا الهاء فأضافوا ، فقالوا : ثلاثة امرة بني فلان ، وكذلك وكيلة وحرية ووصية ، وسمع من العرب وكيلات . فهذا يدل على وكيلة ... وقال : هي عديلي وعديلتي بدليل ماحكاه ابو زيد من قولهم : عديلات » .

(٢٠) ١٢٩ ب ، ١٣٠ أ ، وفي التكملة للفارسي ٣٥٩ : قال ابوعمر (يعني الجرمي) سمعت يونس يقول : هذا كمء ، كما ترى للواحد الكمأة فيذكرونه فاذا ارادوا جمعه قالوا : هذه كمأة . قال ابو زيد : قال منتجع : كمء واحد ، وكمأة للجمع ، وقال ابو خيرة : كمأة للواحدة ، وكمء للجميع ، فمر رؤبة بن العجاج ، فسألوه ، فقال : كمء وكمأة ، كما قال منتجع . وفي اللسان (كمأ) : وحكى عن ابي زيد ان الكمأة تكون واحدة وجمعا . وفي الصحاح : تقول هذا كمء ، وهذان كمآن ، وهؤلاء اكمؤ ثلاثة ... وقيل : الكمأة هي التي الى الغبرة والسواد ، والجبأة الى الحمرة ، والفقعة البيض .

(٢١) ١٢٩ ب ، وفي اللسان (فصص ٨/٣٣٤) : وفص الخاتم وفصه بالفتح والكسر وفيه . (حجره /٢٣٩) : وحجر الانسان وحجره بالفتح والكسر ... يقال : حجر المرأة وحجرها حضنها .

(٢٢) ١٤٠ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٢٩٢ : « وقال السجستاني : زعم الاصمعي انه لا يعرف التأنيث في العنق ، وزعم ابو زيد انه يؤنث ويذكر قال السجستاني : والتذكير الغالب عليه . » وفي المذكر والمؤنث للفراء ٧٣ ، انها مؤنثة في قول اهل الحجاز ، وهي كذلك عند ابي موسى الحامض (ما يذكر ويؤنث من الانسان واللباس ٢٧) ، ويجوز فيه التذكير والتأنيث عند ابن الانباري ٢٩٢ ، وابي البركات في البلغة ٧٢ .

٧ . « وانشدنا ابو زيد لأبي الاخذم التميمي :

مقلّصاً بالدرع ذي التغضّنِ (٢٣)

٨ . « والفردوس مذكر ، سمعت ابا زيد يذكر ذلك . » (٢٤)

٩ . « والذراع مؤنّثة ، وقد ذكّره بعضهم ، واللغة الجيّدة التأنيث ، سمعت اللغتين من أبي زيد . » (٢٥)

١٠ . « وامّا ابو زيد فكان يقول لنا كثيراً : في الجسد اربعة اشياء تؤنث وتذكر الذراع والقفا والعنق واللسان . » (٢٦)

١١ . « وانشد ابو زيد في أحجية معاياة ، وهو يعني الاسنان :

وسربِ ملاحٍ قد رأينا وجوهَهُ ... إناث أوانه ذكورٌ أواخرُهُ . »(٢٧)

١٢ . ويقال مؤنثتان ، فاذا نزعوا حرف التأنيث ذكروا ، فقالوا :

وانشدنا ابو زيد:

---

(٢٣) ١٤٦ ب ، وذلك على تذكير الدرع ، وهو لغة تميم ، وثمة خلاف فيما نقله ابن الانباري ٣٥١ ، ٣٥٢ عن السجستاني ، اذ قال : « وقال السجستاني : انشدنا ابو زيد والاصمعي لابي الاخزر الحماني : وذكر الرجز ، غير ان ابا حاتم نسبه الى ابي الأخزر في ص ١٢١ ، والدرع عنده مؤنثة .

(٢٤) أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٧١ : « وقال السجستاني : سمعت أبا زيد يذكر الفردوس ، ويحتج بقولهم : الفردوس الأعلى . » وهو كذلك عند ابن جني في المذكر والمؤنث له ١٤ ، ويذكر ويؤنث عند ابن الانباري ٣٧ ، ومعناه البستان ذو الكرم ، معرب عند أغلب أهل اللغة ، عربي عند الفراء وابن الانباري .

(٢٥) ١٤٩ ب ، وفي : ابن الانباري ٣٠٢ : « وحكى السجستاني عن أبي زيد انه قال : الذراع يذكر ويؤنث . »

(٢٦) ١٥٤ أ ، وفي : ابن الانباري ٣٠٨ : « وقال السجستاني : كان ابو زيد يقول كثيراً : في الجسد اربعة اشياء تذكر وتؤنث : الذراع ، واللسان ، والعنق ، والقفا . »

(٢٧) ١٥٤ ب ، وفي المخصص ١٧/١٥ : « قال أبو حاتم : وانشد أبو زيد في أحجية وزاد : وأراد الأسنان ، لأن أدانيها الثنية والرباعية مؤنثتان ، وباقي الأسنان مذكر مثل الناجذ والضرس والناب .

وأنشد : يرتَـجُّ ألياهُ ارتجاجَ الوَطْبِ » (٢٨) .

١٣ . « وسمعت أبا زيد يقول : سمعت من العرب من يقول : (للسلم فاجنُح له) مضموم النون ، وذكّر ، فقال : له ، ولم يقل : لها . » (٢٩) .

١٤ . « وامّا النُّور من الأنوار فواحد مذكّر ؛ وسمعت أبا زيد يقول : تَصغير النور جماعة النار : نويرات ، وأُنَيّر ، مهموز وغير مهموز ، لانّك تقول : ثلاث أنؤر فتهمز ولا تهمز . » (٣٠) .

١٥ . « وهو مثل العَناق مؤنثة ، وثلاث اعنق ، والعنوق ، وانشدنا أبو زيد: أنشد من أمّ عَنوقٍ حِمْحِمِ » (٣١) .

١٦ . « وربّما قالوا للجميع : ضُبُع ، مضموم الاول ، أنشدنا ابو زيد عن المفضّل :

يا ضُبُعاً اكلت آيارَ أحمرةٍ ... ففي البطونِ وقد راحَتْ قراقيرُ

هل غير همزٍ ولمزٍ للصديق ولا ... تنكي عدوَّكم منـكم أظافيرُ

وامّا ابو زيد فأنشدنا : ضَبُعاً ، على لفظ الواحدة .... » (٣٢) .

---

(٢٨) وذهب ابو علي الفارسي في (التكملة ٢٤٨) الى غير هذا اذ جعلهما حرفين نادرين لا تلحقهما التاء في التثنية ، وانشد الرجز بتأنيث الفعل : ترتج . .. وفي نوادر ابي زيد ٣٩٣ على التذكير ، وينظر هوامشه .

(٢٩) ١٥٦ ب ، وفي : ابن الانباري ٣٦١ ، ٣٦٢ عن السجستاني : « سمعت ابا زيد الانصاري يقول : ... (وان جنحوا للسلم فاجنح له) فيضم النون ، و(له) على التذكير ... قال أبو بكر : وضم النون لغة معروفة . »

(٣٠) ١٥٨ ب ، ونقل ابن الانباري ٤٠٨ عن أبي زيد : النور جمع النار ، يقال في تصغيرها : نويرات ، والأنور ، يقال في تصغيره : أنير وأنير ، وأنيور وهذه العبارة اوضح .

(٣١) ١٦٢ أ ، ١٦٣ ب ، ونقله ابن الانباري ٣٩٣ عن السجستاني ، وزاد بعده بروايته عنه : سوداء دهماء كلون العظلم .
والعناق : الأنثى من أولاد المعز ، إذا أتت عليها سنة (التاج / عنق) وجمعها على (عنوق) نادر ؛ والغالب جمعها على (أعنق) .

(٣٢) البيتان في : ابن الانباري ٩٣ عند أبي زيد عن المفضل وفي ٩٤ : « قال السجستاني : =

١٧ . « الصقر مذكر والانثى صقرة وأنشدنا ابو زيد :
والصقرة الأنثى تبيض الصقراء : (٣٣) .

١٨ . « قال أبو زيد : يقال للبزاة والشواهين ، وغيرها ممّا يصيد الصقور
قال العجّاج : البازي من الصقور . » (٣٤) .

١٩ . « والقليب مذكّر ، وثلاثة اقلبة ، وهي القلب ، وقد يؤنث
القليب ، انشدنا ابو زيد .
وإن أبى(٣٥) كانَتْ لنا القليبُ . » (٣٦) .

٢٠ . « الصاع مذكر ، وثلاثة اصواع ، وهي الصّيعان ، وانشد ابو زيد :
شَرَيْتَ غلاماً بين حِصنٍ ومالكٍ بأصواعِ تمرٍ إذ خشيْتُ المهالكا(٣٧)

٢١ . « السلاح مؤنثة ومذكرة . حدثني بذلك أبو زيد عن العرب » (٣٨) .

٢٢ . « السكين مذكر ، لا اختلاف فيه ، سألت ابا زيد والاصمعي

= أنثه يانسباً بضم الضاد والباء ، يريد الجمع وقد أنكر ابن الانباري روايته على الجمع ، لأن الرواية على الواحد ، وهو قد يغني عن الجمع .

(٣٣) ١٦٦ أ ، وفي المذكر والمؤنث لاحمد بن فارس ٥٩ ، وابن الانباري ٣٩٢ : « والصقر ذكر ، وأنثاه صقرة . » واورد الرجز عن ابي زيد ، وبعده : ثم تطير وتخل الوكرا .

(٣٤) ١٦٦ أ ، وفي اللسان (صقر ١٣٦/٦) عن ابن سيدة : « والصقر كل شيء يصيد من البزاة والشواهين . »

(٣٥) وسمت في الأصل : أبا .

(٣٦) ١٦٧ أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٣٥ : « وقال السجستاني : القليب يذكر ويؤنث ، ويقال في جمعه : أقلبة ، والكثيرة القلب ، وقال انشدني ابو زيد :

اني اذا شاربني شريب
فلي ذنوب وله ذنوب
وإنأبى كانت لهالقليب

فأنث ، وهي لغة . »

(٣٧) ١٦٧ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٥٧ : « قال السجستاني : أنشدنا ابو زيد : ... » وذكر البيت

(٣٨) ١٧١ ، وفي ابن الانباري ٣٤٩ : « حكى الكسائي والفراء وأبو عبيد ويعقوب ان السلاح يذكر ويؤنث وقال السجستاني : اخبرني بالتذكير والتأنيث ابو زيد وغيره . »

وغيرهما ممّن ادركنا ، فكلّهم يذكّره وينكر التأنيث » (٣٩) .

٢٣ . « والعوّى ، مقصور ، نجم من النجوم . وحدّثني أبو زيد أنه اسم مقصور . » (٤٠)

٢٤ . « وقّـا اسم بلد ، مقصور مؤنث ، اخبرني بذلك ابو زيد . » (٤١)

٢٥ . « الارض مؤنثة . . . وسمعت أبا زيد يقول في الجمع عن العرب: آراضٌ . » (٤٢)

٢٦ . « قال ابو زيد : هذا رِداي ، وهذه رداتي بالتاء . » (٤٣)

٢٧ . « قال ابو زيد : يقال : هو الجرّ ، وهي الجرّة . » (٤٤)

---

(٣٩) ١٦٨ أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣١٤ : « قال السجستاني : هو مذكر ، قال وسألت أبا زيد الانصاري والاصمعي ... » ، وعن اللحياني (نفسه ٣٢٥) أنه يذكر ويؤنث . وفي نوادر ابي مسحل ٤٩٢/٢ : « هذه سكين ، وهذا سكين ، والوجه التأنيث.» وقال الفراء ٩٦ : ربما انث . وفي التاج (سكن ٢٣٨/٩) : وربما الحقوا فيها التاء ، فقالوا : سكينة وفي مجالس العلماء ١٢٩ : أن المازني لايرى غير التذكير

(٤٠) ١٧٥ أ ، وفي مجالس العلماء ١٩٣ : « قال ابو حاتم : حدثني ابو زيد ..... قال : العوا ، مقصور مؤنث . » ، وفي المقصور والممدود للقالي ١٠٧ أنها اربعة انجم تشبه كافاً غير مشقوقة أو الفاً مردودة الاسفل . وفي ابن الانباري ٤٢١ : والعوا مؤنث مقصور ، اسم كوكب . وينظر : المخصص ٨/١٧ .

(٤١) ١٧٥ ب ، وقـا : تيل موضع بالعالية ، وقرية بمصر ، وتارة ببلاد تميم ينظر : معجم البلدان ٤ / ٣٤٤ ، ٣٤٥ . وفي المقصور والممدود للقالي ٤٧ أن (قـا) على (فعل) اسم جبل . وفي معجم ما استعجم ١٠٧٣/٣ ان المطرزي حكاه في باب المقصور الممدود (قـا) ، كما ذكره في المضموم الممدود . وذكر ابن الانباري أن ذا الرمة قصره وأما (قسا) بتضعيف السين ، فهو من بلاد فارس . وسيأتي .

(٤٢) ١٧٢ آ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ١٨٨ : « قال ابو زيد : سمعت العرب تقول في جمع الارض : اراضٍ ، واروض . » وهو عن الاخفش الا لاكبر اراض كما في الكتاب ١٩٩/١٢ .

(٤٣) ١٧٨ ب ، وفي المخصص ١٧٨/١٦ : والازار والازارة . ما اتزرت به وهو الرّداء والرداءة .

(٤٤) ١٨٠ آ ، وفي المخصص ١٧٩/١٦ : وقالوا جر وجرة .

٢٨ . « الأشُدّ يذكر ويؤنث عن ابي زيد ، يقال : هو الأشُدُّ .» (٤٥)

٢٩ . « وحروف المعجم ، اخبرني الأصمعي وابو زيد النحويّ انّها تؤنّث ، وذلك اكثر ، وتذكّر . » (٤٦)

ثانيـــاً : الاصمعيّ :

١ . « قال لي الاصمعي : انشدني اعرابيّ من شقّ اليمامة بغير هاء :

يا جارتا بيني فإنّك طالـــقُ

فجعله بيناً غير مصرّع ، وأراد : انّك قد طلقت . » (٤٧).

٢ . « والعتق مذكر ، وزعم الاصمعيّ انّه لا يعرف التأنيث فيه ، وذلك الكلام المشهور . » (٤٨)

٣ . « وسألت الاصمعيّ عن قول طفيل :

إذ هي أحوى من الرِّبعيّ حاجبُه والعينُ بالإثمد الحاريِّ مكحولُ

---

(٤٥) ١٨١ ب وفي المذكر والمؤنث لابن الانبار ٤٣٥ : « وقال السجستاني قال ابو زيد : الاشد يذكر ويؤنث ، من قولهم بلغ الرجل اشده . يقال هو الاشد وهي الاشد . » والاشد ، اربعون سنة على امثل الاقوال ؛ قال تعالى : « حتى اذا بلغ اشده ، وبلغ اربعين سنة . »

(٤٦) وفي (المذكر والمؤنث) لابن الانباري ٤٥٠ : « وقال السجستاني : اخبرني ابو زيد والاصمعي ان حروف المعجم تذكر وتؤنث ، والتأنيث اكثر واعرف . » وقال الفراء ١١٠ « وكل شي من حروف أ ب ت ث يقع عليه العجم فهو مؤنث وما لم يقع عليه العجم فهو مذكر . » وقال في ١١١ « وحروف المعجم كلها إناث ولم نسمع في شيء منها تذكيراً في الكلام ، وقد يجوز تذكيرها في الشعر .

(٧) ١١٧ أ ، ب ، وهو صدر بيت للاعشى :

يا جارتا بيني فإنت طالقة كذاك امور الناس غاد وطارقه

وقد وردت (طالق) للتأنيث ، لانها على (تطلق) ، وقال الفراء ٥٨ : « وربما أتى بعض هذا بالهاء في الشعر ، وليس ذلك يحسن في الكلام . » وفي ابن الانباري ١٤٢ : « وقال السجستاني : حدثني الاصمعي ، قال : انشدنيه اعرابي من شق اليمامة بغير هاء : بيني فإنك طالق . جعله .... » .

(٤٨) ١٤٠ ب في ابن الانباري ٢٩٢ : « وقال السجستاني : زعم الاصمعي أنه لا يعرف التأنيث في العتق . » وفي التكملة للفارسي ٢٩٢ : « والعتق يذكر ويؤنث عن ابي زيد ، وقال الاصمعي : لا اعرف فيه التأنيث . » وينظر الفقرة (٥) فيما كتبت عن ابي زيد .

فقال : اراد : حاجبُه مكحولُ ، والعينُ . » (٤٩)

٤ . « ويقال : عجيزة المرأة ، قال الاصمعيّ : ولا يقال للرجل ، الاّ على التشبيه . » (٥٠)

٥ . « وقال لي الاصمعيّ : القفا مؤنثة ، ولا يذكّرها أحد (٥١) ، فعجبت منه ، وحكى لي عن المُلْلي قوله :

« هي قفا غادرٍ شرّ »

ثم انشد مرة اخرى :

وهل جَهِلْتَ يا قُفَيَّ التفلُه

فقلت : ألا قال : يا قفيّة (٥٢) ؟ الم تزعم انّ القفا مؤنّثة ؟

فقال : دع ذا ، كأنّه يقول : الرجز ليس بعتيق ، كأنّه من قولِ لخلف (٥٣)

---

(٤٩) ١٥٢ ، وفي ابن الانباري ٢٨٣ : « وقال يعقوب : قال الاصمعي : ذكر (مكحولا) ، لان المعنى : حاجبه مكحول ، والعين ايضاً . » وينظر : التكملة للفارسي ٢٩٧ فقد فقد نقل عن المازني وغيره عن الاصمعي انه كان يتأوله على « اذ هي أحوى ، حاجبه مكحول ، والعين بالاثمد . » وجعل الفراء ٨١ تذكير العين ضرورة ، لأن العرب « تجترىء على تذكير المؤنث إذا لم تكن فيه الهاء » .

(٥٠) ١٥٣ أ ، وفي ابن الأنباري ٢٠٤ : « ويقال : هي عجيزة المرأة ، قال الاصمعي : لا يقال للرجل الا على التشبيه . » ولم يعز النقل الى ابي حاتم .

(٥١) والقفا يذكر ويؤنث عند الفراء ١٠٣ وابن الانباري ٢١٩ وقال : « والتذكير اغلب عليه » : وعند ابي البركات في البلغة ٧٢ ونقل انكار الاصمعي التذكير . وفي التاج (قفا ٢٢٩/١٠) : وقال ابو حاتم : زعم الاصمعي ان القفا مؤنثة لا تذكر . » ومر أن أبا زيد يجيز الوجهين .

(٥٢) لأن التاء تلحق مصغر المؤنث الثلاثي ، الا في الفاظ معدودة ، وعدم لحاق التاء ، هنا ، دليل تذكيرها ، كما زعما ، وقد وهم الرجلان معا : الاصمعي وابو حاتم ، فـ (قفي) ، هنا مرخمة بحذف التاء .

(٥٣) يقصد به خلف الاحمر البصري الراوية .

او بعض المولّدين . » (٥٤) .

٦ . « والضّرس مذكر ، وربّما أنّثوه (٥٥) ، زعموا على معنى السنّ ، وانكر الاصمعيّ تأنيثه ، فأنشدنا قولَ دُكينٍ الراجز :

فُـقِئت عين وطنّت ضرس

فقال : انّما هو (وطنّ الضرس) ، فلم يفهمه الذي سمعه ، اخطأ سمعه . » (٥٦) .

٧ . « الخمر مؤنثة ، وقد يذكّرها قوم فصحاء (٥٧) ، سمعت ذلك ممّن أثق به منهم وكأنّ الخمرَ المُدامَ من الاسفنطِ ممزوجةٌ بماءِ زُلالٍ (٥٨)

وكان الاصمعيّ ينشده بحذف نون (من) في الادراج :

وكأنّ الخمرَ المدامــةَ مِــلْ اسفنط (٥٩) ممزوجةٌ بماءِ زلالِ

على التأنيث . » (٦٠) .

---

(٥٤) ١٥٣ ب ، ١٥٤ أ ، وفي ابن الانبار ٢٩٩ : « وقال الاصمعي : لا اعرف في القفا الا التأنيث ، وقال : فعجبت من قوله ، قال : وحكي عن المثل في حديث : « هي قفا غادر شر » .
وهو في المقصور والممدود للقالي ٥٤ باختلاف يسير والمعنى عليه .

(٥٥) وقال الفراء ٨٩ : « والاسنان كلها إناث . . . إلا الانياب والاضراس ، فانها ذكران . »
وينظر : ابن الانباري ٢١٤ ، واليه ذهب الحامض ٢٦ .

(٥٦) ١٥٤ أ ، وفي ابن الانباري ٢١٤ : « وقال السجستاني : ربما انثوه على معنى السن ، قال : وانكر الاصمعي تأنيثه ، قال : فأنشدناه . .. » وفي اللسان (ضرس) ان ابن سيده يذكر الضرس ويؤنثه .

(٥٧) وذهب الفراء ٨٣ الى ان الخمر انثى ، وربما ذكروها .

(٥٨) في المذكر والمؤنث للفراء ٨٣ ، وابن الانباري ٣٢٨ : (العتيق) موضع المدام ، قال الفراء : وقد ذكرها الاعشى ، فقال (العتيق) ، ثم رجع الى التأنيث ، فقال : ممزوجة ، وقد تأولها هو وابن الانباري على أن (عتيق) بمعنى (فعيل) أي : معتقة ، لانها من الاوزان التي يستوي فيها المذكر والمؤنث .

(٥٩) في الاصل : مل الأسفنط .

(٦٠) ١٥٥ ب ، وفي ابن الانباري ٣٢٨ : « وقال السجستانيّ : الخمر مؤنثة ، وقد يذكرها

٨ . « حدّثني الاصمعيّ عن يحيى بن يعمر ، قال : ضرب بعض الولاة اعرابيا في شيء استودعه ، ألفاً ، فقال : والله ما هذا الا ّ أُثيابٌ في أُسيفاط . » (٦١)

٩ . « وانشدنا الاصمعيّ لبعض الخوارج ، وقال : ليس لامّية بن ابي ابي الصلت :

مَنْ لا يَمُتْ عبطةً يَمُتْ هرماً ‏ ‏ ‏ ‏ الموت كأسٌ فالمرءُ ذائقُهــــا

قال : لا يقال : للموت كأسٌ ، انما هو الموت كأس ،وقطع الف الوصل ، لانها في مبتدأ النصف الثاني ، فاحتمل . » (٦٢)

١٠ . «قال الاصمعيّ : قال بعض الأعراب : موسى خَذِمَة ، في جَزُورٍ سِنِمَــة ، في غــداة شَبِمَة ، الخذمة : القاطعة ، والسَنِمة : العظيمة السنام ، والشبمة : الباردة . » (٦٣)

— بعض الفصحاء ، قال : سمعت ذلك من أثق به منهم ، قال : وكان الأصمعي ينكر التذكير ، فأنشدته قول الاعشى .... وكان الاصمعي يحذف نون (من) في الادراج ، وتلك لغة مشهورة معروفة .

(٦١) ١٥٩ أ ، ينسب القول إلى عيسى بن عمر الثقفي ، وقد كان صاحب تقعير في كلامه : والوالي هو يوسف بن عمر . ويعني: بألف ألف سوط . ينظر معجم الادباء ١٤٨/١٦ .

(٦٢) ب ، وفي ابن الانباري ٤١٣ : « قال السجستاني : لايقال : للموت كأس انما هو : الموت كأس : قال : وقطع الف الوصل لانها في مبتدأ النصف الثاني وهذا محتمل . انشدناه الأصمعي لبعض الخوارج ، وقال : ليس لامية بن أبي الصلت . » وقد وهم ابن الانباري في النقل مرتين : الاول في نسبة المقالة الى السجستاني وهي للاصمعي برواية السجستاني، والثانية : انه روى (للكأس) بفتح اللام على الابتداء ، وهي عند السجستاني بكسرها على الجر على معنى الاضافة . وينظر اختلاف الاقوال والتخريج في هامش ابن الانباري ص ٤١٣ .

(٦٣) ١٦٠ب ، والقول شاهد على تأنيث الموسى، وفيه تفصيل . ينظر : ابن الانباري ٣٢٧ — ٣٢٩ ، والمخصص ١٧/١٧ ، ١٨ فقد ذكر فيه التأنيث والتذكير ، ونقلا عن الاموي انفراده بايراد التذكير حسب ، وهي عند الفراء ٨٦ انثى ، وينظر اللسان (موسى) .

١١ . « السكين مذكر ، لا اختلاف فيه، سألت أبا زيد والاصمعيّ وغيرهما ممّن أدركنا فكلّهم يذكّره وينكر التأنيث، وأنشد الاصمعيّ للهذلي :

يُرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذلك سكّينٌ على الحلقِ حاذقُ »(٦٤)

١٢ . « وأمّا قولُ رؤبة بن العجّاج :

أجْزِ بها (٦٥) أطيبَ من ريح المِسَكْ .

فإنّه احتاج فحرّك السين ... وامّا الاصمعيّ ، فقال : المِسَك ، ففتح السين وجعلها جمعاً مؤنثاً كقولك : سِدرة وسِدَر ، وخِرْقة وخِرَق . » (٦٦)

١٣ . « وقال الاصمعيّ : قال فلان : كان كُثَيِّر عزّة كربجاً ، يعني انّه كان له حانوت يبيع فيه الخَبَط (٦٧) ، والعلف ، فظنّ انّه هو الكربج . » (٦٨)

١٤ . « وانشدنا الاصمعيّ لابن احمر :

---

(٦٤) ١٦٨ ب ، وينظر فقرة (٢١) عن ابي زيد ، وحاشيه ، وفي ابن الانباري ٣١٤ « قال : وأنشدني الاصمعي للهذلي : . . . »

(٦٥) في الاصل : احرها ، تحريف .

(٦٦) ١٦٩ أ ، وفي ابن الانباري ٢٨٥ نقلا من السجستاني : «وقال في قول رؤبة بن العجاج :
أجز بها اطيب من ريح المسك .
كسر السين اضطرارا . . . قال : وكان الاصمعي ينشد بفتح السين : المسك ويقول: هي جمع مسكة ، كقولك : خرقة وخرق ، وقربة ، وقرب .
وقول الجوهري والصاغاني : انما حركها بالفتح اضطرارا. (التاج / مسك) ١٧٧/٧.

(٦٧) الورق الساقط ، تعلف به الابل . (: اللسان / خبط)

(٦٨) ١٦٩ ب ، وفي ابن الانباري ٣٣١ : « وقال الاصمعي : قال فلان الاعرابي : كان كثير عزة كربجاً ، وزعم انه كان يبيع الخبط والنوى والعلف في طريق مكة في حانوت» والكربج هو البقال ، اوالحانوت ، ذكر ذلك السجستاني ، وفي الالفاظ الفارسية المعربة لادي شير ١٢٤ : القربج : الحانوت معرب كربة .

ثمل رمته المنجنون بسهمها ورمى بسهم حريمة لم يصطد (٦٩)

وانشدنا الأصمعي : «منجنين كالاتان الفارق . » (٧٠)

١٥ . «وثبير اسم جبل،مذكر، قال الاصمعيّ : هي اربعة اثبرة : ثبير عيناء وثبير كذا ، فأربعة تدل على تذكير الواحد . » (٧١) .

١٦ . « وانشدني الاصمعيّ :

من أهل فسا ودّرا بجرّد

وهما من بلاد فارس،وقال الاصمعيّ:الدرا وردى منسوب الىدرا بجرّد وانّ اصله منها . » (٧٢)

١٧ . « وقال ابو عبيدة (٧٣) هذا ازاري، وهذه ازارتي،بالتاء (٧٤) . وانشدنا :

---

(٦٩) ١٧٢ أ ، والبيت في ابن الانباري ٤١٧ والمخصص ١٧/١٧ عن الاصمعي

(٧٠) ١٧٢ أ ، ومناطه ان (المنجنين والمنجنون) لغتان ، وهي الدولاب ، قال به الفراء وابوحاتم ورواه ابن الانباري ٤١٨ والصاغاني في : ماتفرد به بعض ائمة اللغة ٢٢ عن الفراء .

(٧١) ١٧٤ ب ، وفي ابن الانباري ٤٨٠ : «وقال ابو حاتم : سمعت الاصمعي يقول ، هي : اربعة اثبرة : ثبير عيناء ، وثبير الاعرج ، وثبير الاحدب ، وثبير كداء . فقوله اربعة ، يدل على التذكير . »

(٧٢) ١٧٥ب ، في الاصل : فسا ودزا بجرد ودزاوردى ، بالزاى ، تصحيف وفسا أنزه مدينة بفارس ، ودرا بجرد كورة منها فسا ، وإن كانت هذه اكبر من تلك (ينظر : معجم البلدان ٤٤٦/٢ ، ٢٦٠/٤ ، ٢٦١ ، مراصد الاطلاع ٥١٩/٢) وفي المعجم ٤٤٦/٢ : «قال الزجاجي : النسبة اليها على غير قياس . يقال درا وردى) والشاهد في المخصص ١٨٥/١٥ .

(٧٣) احد موضعين نقل فيها ابو حاتم عن ابي عبيدة .

(٧٤) ١٧٨ ب وفي ابن الانباري ٣٦٣ : «وقال ابو عبيدة : هذا إزاري وهذه ازاري ، وانشد . . . » ، ولا يستقم هذا مع انشاد البيت ، لانه كان ينبغي ان يقول : وهذه ازارتي ، ولعله وهم وقع الناسخ .

كتمَيّـــل النّـــشوان يـــر فل في البقيرة والإزارة (٧٥)

والاصمعيّ يرّد هذا الشعر. قال : القصيدة مصنوعة، ولا يعرف الازار الاّ مذكّراً . » (٧٦) .

١٨ . وحروف المعجم، اخبرني الاصمعيّ وابو زيد النحويّ انّها تؤنث، وذلك اكثر وتذكّر ، قال الراعي : قال الاصمعيّ : وهو من افصح الناس :

أشاقَكَ آياتٌ أبان قديمُهـــــا كما بيّنَتْ كافٌ تلـــوحُ وميمُها

فأنث . » (٧٧)

ثالثــــــا : الاخفش

١ . « وامّا الصفات فلا تصغّر بالهاء ، نحو : امرأة عَدْل ورضاً وخلَق ، فإنّها ممّا زعم الاخفش صفات مذكّرة ، وصف بها المؤنث كما يوصف المذكر بالمؤنث في قولك : رجل ربعة وراوية ونسّابة » (٧٨) .

٢ . « قال الاخفش : الانعام تؤنث وتذكّر . » (٧٩)

---

(٧٥) وقال ابن الانباري ٣٦٤ : « وانشدناه عبد الله ، قال انشدناه يعقوب : في البقير وفي الازارة .

(٧٦) وفي ابن الانباري ٣٦٤ : « وقال السجستاني : رد الاصمعي هذا الشعر وقال : هو مصنوع ، وقال : لايعرف الإزار الا مذكرا . » وفي المخصص ٢٢/١٧ :
«وقد قالوا : ازارة ، وأباها الاصمعي ، واحتج عليه ببيت الاعشى :
كتمايل النشـــوان يـــر فل في البقير وفي الإزاره
فقال : هو مصنوع .

(٧٧) ١٨١ ب ، وينظر : الفقرة ٢٨ من ابي زيد ، وفي ابن الانباري ٤٥٠ : « وانشدنا الاصمعي للراعي ، وقال : الراعي افصح الناس : أشاقتك آيات ... » ، وينظر ابن السيرافي ٢٧٥/٢ .

(٧٨) ١٥٧ أ ، وذهب الفراء الى إنه من باب تصغير المصدر ، لأن الاصل فيه الا يصغر ، قال : « تصغر الخلق وان كان نعتاً لمؤنث بغير هاء ، وكذلك الجديد ، وما كان من نعت ليس فيه الهاء ، مثل قولك : عربية محض ، ومصرية قلب ، فينبغي ألا تصغر المصدر ، فان فعلت تركته على حاله بغير الهاء ، فقلت : انها لعربية محيض من العرب . » ابن الانباري ٧٠٧ .

(٧٩) ١٧٩ ب ، وفي ابن الانباري ٣٤٦ : « قال السجستاني : قال يونس والاخفش : والانعام تذكر وتؤنث ، فيقال : هو الانعام ، وهي الانعام وينظر ٣٤٧ ، —

رابعـــا : ابو عبيدة

١ . « سمعت ابا عبيدة يقول (وريت بك زنادي) ، وهذا مثل يتكلّم به هكذا . » (٨٠)

٢ . ينظر الفقرة ١٧ من الاصمعيّ .

يتبين لنا في ضوء ما عرضنا ممّا اخذ ابو حاتم :

١ . انّ ما أخذه مما يتصل بالالفاظ المذكرة والمؤنثة عن ابي زيد هو ثمانية عشر موضعاً ، وثلاثة مواضع لغوية ، وثلاثة في الدلالات ، واثنان في الجموع ، وواحد في اللغات وآخر في التصغير ، استشهد عليها بأحد عشر شاهدا من الشعر ، وشاهد قرآنيّ واحد .

وما اخذه عن الاصمعي سبعة في الفاظ التذكير والتأنيث ، واربعة في اللغة ومسألة في النحو ، واستشهد بأربعة عشر شاهدا من الشعر ، وردّ واحدا ، كما استشهد بأربعة اقوال .

٢ . يبدو لنا ابو زيد اكثر تساهلا في قبول اللغات ، واختلاف التذكير والتأنيث ، والروايات ، وكان الاصمعيّ متزمتّا قاسيا في القبول او الرفض والانكار ، فطعن على روايات ، واتّهم شعرا بالوضع على الظن بلا تمحيص او تحقيق ، وتتردد عنده اقوال من نحو : « انّه لا يعرف التأنيث » ، « ولا يذكره احد » ، و « فلم يفهمه الذي سمعه ، اخطأ سمعه» و « القصيدة مصنوعة» .

** وفي ٣٤٨ : « وانكر السجستاني على ابي الحسن الاخفش وعلى يونس قولهما : الانعام تذكر وتؤنث وقال : تذكير الانعام لا يعرف في الكلام ، ولكن ان ذهب الى النعم لجاز . » .

(٨٠) ١٧٦ أ ، وفي ابن الانباري ٣٩٠ : « وقال السجستاني : سمعت ابا عبيدة يقول في مثل : وريت بك زنادي ، وذلك اذا علم الرجل وعلم شيء كان يجهله فأخبره به انسان فيقول له : وريت بك زنادي ، اي : وضح لي الامر من قبله . »

وغير ذلك . وانكر شعرا استشهد به هو وهما على تأنيث العنق ، ثم ازورّ عنه بعد ان اتّضح له انّه شاهد على التذكير ، والتذكير عنده مدافع منكر .

ومن ذلك انّ ابا زيد ذهب الى تأنيث (العنـق) وتذكيره ، على حين انّ الاصمعي يزعم انّه لا يعرف التأنيث فيه .

يؤيد ذلك انّ ابا حاتم نفسه قال ، وهو يتحدث عن ابي زيد والاصمعيّ ، وتفاوت مذهبيهما في الرواية : « وسمعت ابا زيد يقول : اهل نجد يقولون : أكننت اللؤلؤة والجارية فهي مُكَنَّة ، وكننت الحديث وكلٌّ صواب ، وكان يتّسع في اللغات حتى ربّما جاء بالشيء الضعيف فيجري ذلك مجرى القويّ ، وكان الاصمعي مولعا بالجيد المشهور ، ويضيّق فيما سواه . »(٨١) ، وانّه « كان مولعاً بأجود اللغات ، ويرد ما ليس بالقويّ . » (٨٢)

واغلب الظنّ انّ ابا حاتم يعني بمصطلح (الضعيف) ما يعنيه النحويون بالقليل ، ويعني بالقويّ ما يعنونه بالكثير ، وهو عنده غير منكر ولاً مدافع ، دلياه ما ذكره بعد من ايلاع الاصمعيّ بالجيد الذي هو المشهور ، الكثير وهكذا يبدو فرق ما بين الرجلين : الاصمعيّ وابي زيد في التضييق ، وهو لون من يُبْس الاصمعيّ ، والاتّساع في الرواية وقبول اللغات ، وهو لون من مرونة ابي زيد وتسمّحه .

٣ . وانّ ابا حاتم متأثر — غالباً — بأبي زيد اكثر من تأثّره بالاصمعيّ ، فهو اذن ميّال — في الأكثر — الى احترام المسموع لا يطّرح منه إلاّ يسيراً ، فلا يضيّق في قيود الفصاحة ، وبذلك كان أقرب من الأصمعيّ الى فهم اللغة وطبيعتها وظواهرها .

٤ . وأنّ كتاب ابي حاتم كان كتاباً موثوقة أخباره ورواياته ، يعزوها

(٨١) فعلت وافعلت لابي حاتم ٨٨ .

(٨٢) مجالس العلماء ، المجلس ٩٥ ص ١٩٦ .

الى أصحابها كما كان كتاباً علمياً يجنح الى التفصيل والاحاطة ، فلم يكن إذن كتاباً تعليمياً يسير المأخذ او مقصوداً به المتعلمون المبتدئون .

٥ . وأنّه أفادنا في أنْ ليس ثمّة قاعدة مطّردة ، ولا سياقاً واحداً في التذكير والتأنيث ، فما نجده مذكراً عند قوم يكون مؤنثاً عند آخرين ، وما جاز فيه وجها التذكير والتأنيث عند لغوي بناء على السعة والمرونة ، أنكر لغويّ آخر أحدهما وارتضى الثاني ، فيما وجدناه في هوامش البحث ، وفي هذا كلّه دليل على انّ اللغة تجري على رسلها وفق منطقها هي لا منطق اللغويين .

منهج الكتاب: (٨٣) .

١ — التعليـــــل .

ابو حاتم السجستاني بصريّ المذهب ، لما نعلمه من شدّة عصبيّته لهم على الكوفيين ، وهو في هذا الباب ينحو منحاتهم ، ويعلل لمسائل اللغة كما يعلّلون ، لا ينفك عن ذلك البتة ، وحين يجبهه سرّ من اسرار اللغة فيه اغماض ، او او هو محتاج الى فسر فزع الى العقل يستعين به في ازالة هذا الاغماض وتفسيره ، ومن هنا ، غالى في التعليل ، يصيب حيناً ، ويعثر احيانا ، لما نعرفه عن التعارض كثيراً بين المنطق العقلي الذي سلك سبيله اللغويون وبين المنطق اللغويّ ، وهو منطق خاص ، لا يخضع الاّ لمـــاماً للمنطق العقلي او الفلسفي . ومن اسس تعليلاته :

أ — الخفـــة والثقـــل

يعتدّ ابو حاتم كثيراً بمسألة الخفة والثقل ، وربط ذلك . فيما يلوح لي — بالاستعمال ، فما كان سائراً شائعاً خفّ ، وما كان قليل السيرورة والشيوع

(٨٣) لم أشأ ان أشير الى موضوعات الكتاب ، فقد اوضحت ذلك في الدراسة التي عقدتها لكتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري والموازنة بينه وبين الكتب النظائر . ينظر ص ٤٧ — ٥٤ .

ثقل ، وتعاور الحركات على حرف مّا دليل ثقل ، وقلّتها دليل خفّة ، ومن هنـا كان الممنوع من الصرف أخفّ من المنصرف ، ولانّ المـذكر أخفّ من المؤنث انصرف الاول في الأعلام ، ولم ينصرف الثاني ، ليكون ثم لون من التوازن بين خفيف وثقيل ، وثقيل وخفيف ، قال : (واعلم أن المذكر أخفّ من المؤنث ، لانّ التذكير قبل التأنيث ، ولذلك صرف اكثر المذكر العربي ، وترك صرف المؤنث العربي) (٨٤) وذهب الى أن المؤنث النكرة منصرف فاذا سمّيت به المذكر علما لم ينصرف ، لأن النكرة اخف من المعرفة . (٨٥)

ومن ذلك ذهابه الى أن (العدل نظير الثقل ، فلم يصرف المعدول .) (٨٦)

وعلّل عدم لحاق تاء التأنيث للنعوت التي لا حظّ للذكر فيه ، نحو : حائض ، وطامث ، وطالق ، بأنّ التاء قد حذفت (٨٧) ، كما حذفت في جمع الأناث (٨٨) ، لان المؤنث ثقيل ، فيكون ذلك أخف له .

ومنه أن حذف التاء في (أخ) و (أب) قد جاء استخفافا ، اذ حقّ المؤنث ان يكون (أخة) أو (أخاة) على وزن (قطاة) (٨٩)

ب ــ الكثـــرة والقلّـــة

ويربط ابو حاتم ربطاً محكماً بين الخفة والكثرة ، الثقل والقلّة ، ويجعل ذلك ذا وشيجة قوية بمسألة الحذف ، فقد زعم انّ الحـذف الذي يلحق المفرد ، كما في الأخ والأب ، انما يلحق طلباً للخفة ، ذلك لأن الواحد

(٨٤) (٢) المذكر والمؤنث ٩٨ ب .
(٨٥) ينظر : المذكر والمؤنث ١٠١ أ .
(٨٦) المذكر والمؤنث ١١٠ ب .
(٨٧) نفسه ١١٦ ب .
(٨٨) نفسه ١٠٩ ب .
(٨٩) نفسه ١٨٨ ب ، وزعم ان (بنت) بناء على غير بناء (ابن) .

الفرد أكثر في الكلام من المثنى والجمع « فهو أحوج الى الخفة ، والتثنية والجمع أقل في الكلام فكان الاقل احمل للثقل والأكثر أحوج الى الخفة » (٩٠) .

وزعم ابو حاتم أنّ علة صرف العلم المؤنث الثلاثي اذا سمّي به المذكر هي قلّة حروفه ، فاذا كثرت حروفه لم ينصرف . أمّا المؤنث المختوم المقصورة فهو لا ينصرف مؤنثاً كان او مذكرا استثقالا . (٩١)

ومن ذلك ذهابه الى أنّ علّة عدم احتياج نعت المؤنث الذي لا مذكر له الى التاء (٩٢) « ليكون اللفظ اقلّ وأخف » (٩٣) وذلك في نحو : حائض وطامث وقاعد ، وهذا — فيما يبدو لي — وهم وقع لأبي حاتم ، اذ لا ضرورة لهذه التاء الفارقة بين المذكر والمؤنث . اذ لم يكن ثمة ضرورة للتفريق لاقتصار هذا النعت على الاناث دون الذكور ، وذلك بمألوف متداول ، ودليله أنّ أبا حاتم نفسه ذكر في موضع آخر أنّ نعت المذكر الذي لا نظير له في الاناث غير محتاج الى التاء أيضاً (٩٤) . كما تحذف في كثير من النعوت مما كان على زنة (فعول) بمعنى (فاعل) ، و (فعيل) بمعنى (مفعول) من

---

(٩٠) نفسه ١٨٨ ب ، ١٨٩ أ .
(٩١) نفسه ١٠٢ ب .
(٩٢) ويسميها أبو حاتم الهاء .
(٩٣) المذكر والمؤنث ١١٦ ، ومن ذلك أيضا قوله في علة عدم لحاق التاء لبنات الاربعة عند التصغير لكثرة الحروف ، ولحاقها بنات الثلاثة حرصاً على بيان التأنيث ، فهذا يعني أن الميل الى قلة الحروف عنده اولى من ايضاح التأنيث فيها . (١٣٦ أ ، ١٥٠ أ).
غير أن ابا حاتم لم يتنبه الى انه ذكر ان تصغير (حرب) و(قوس) ، وهما مؤنثان ثلاثيان يكون بلا تاء ، فيقولون (حريب) و(قويس) . (١٥٧ أ) ثم علل لها بقوله (ولا يقال : الورد الا من الورق ، والتصغير (ذويد) ، لانها أشبهت المصادر ، كما اشبهتها حرب وقوس) (١٦١ ب) .
(٩٤) المذكر والمؤنث ١٢١ ب ، ١٧٦ ب ، قال : (ومن صفات الحي الصالب والناقض بغير هاء ، لان هذا المعنى لا يكون في شيء ذكر مثل الحمى) .

نحو : شكور وجسور ، سليب وصريع ، وذكر أيضاً انّ نعوتاً هي من من حظّ المؤنث لحقتها التاء ، وحذفها قليل (٩٥) ، نحو : حلوبة ، وركوبة ، قال : (وربما طرحوا أيضاً فقالوا : شاة رغوث وحلوب) واستشهد بقول كعب الغنوىّ :

يبيتُ الندى يا أمّ عمرٍو ضجيعَه ‏ ‏ ‏ ‏ إذا لم يكن في المُنقيات ِ حَلوبُ

وبقوله تعالى : (... فمنها ركوبهم ومنها يأكلون .) وقد وردت في مصحف ابن مسعود وأبي (فمنها ركوبتهم) بالتاء ، (٩٦)

وقد علّل ابو حاتم لذلك تعليلاً غريباً إذ جعل نعت المؤنث بالمذكر ونعت المذكر بالمؤنث لوناً من تبادل النعوت قصد فيه العرب الى الموازنة . ولا أرى ثمة ضرورة للافتراض والتحكم القسري بالمنطق اللغويّ .

وعلّل أيضاً لاتفاق نزع الهاء في النعوت التي هي على وزن (فعول) و (فعيل) بتقاربهما . (٩٧)

ويؤيد ذلك ان ابا حاتم قد ذكر أن الاستغناء عن التاء يأتي حين يكون للمؤنث لفظ خاص ، وللمذكر لفظ آخر ، نحو : حمار وأتان ، فاذا كان ثمّة شركة بينهما ازم لحاق التاء للمؤنث ، مثلما قالوا : حمارة (٩٨) وممّا يرد به عليه أيضاً ما رواه من قولهم : (اذا اتاكم كريمة قوم فأكرموه ، وكذلك كريم قوم .) (٩٩)

---

(٩٥) نفسه ١٢٤ ب .
(٩٦) نفسه ١٢٣ أ .
(٩٧) نفسه ١٢٤ ب .
(٩٨) المذكر والمؤنث ١٣٠ ب . كما قالوا (ضبع) للانثى ، ولم يلحقوا التاء ، لان المذكر (ضبعان) ولو لم يكن الضبع مؤنثا لقالوا (ضبعانة) تفريقا ، ولم يستغنوا عن التاء .. (١٣١ب) ومثله (العقرب الارنب) ، (القمي ، الليل) ١٧٢ .
(٩٩) نفسه ١٢٩ ب .

ومسألة الخفة والثقل التي وقفنا عندها كانت سائرة في تعليل ما يطرأ على اللغة من تبدلات ، وارتضاها الدارسون حتى العصر الحديث ، غير أن هذه المسألة ليست مطردة لما نجده في اللغة من الظاهرة وعكسها (١٠٠) وفي ظاهرة الممنوع من الصرف امور واضحة في هذا الباب .

٢ – القيـــــاس والسماع

ابو حاتم راوية من الرواة (١٠١) ، وهـــو بصري في الاتجاه العـــام متعصب شديد العصبية ، وهو من ثمة يلتزم بالمنهج البصريّ في اعتداده بالقياس ، ولكنه يفزع الى المسموع ، فاذا لم يجد فيه ما يعضد قوله جرّد القياس (١٠٢) ومضى عليه من ذلك :

أ – قال فيما يسميه الصرفيون بتصغير الترخيم ، نحو تصغير ما كان على وزن (أفعل) من الصفات ، مثل : أسود ، على(سويد) بحذف (الالف) .

ب – اذا كان النعت ممّا يختصّ به المؤنث لم يسغ لحاق التاء به ، وكذا النعوت التي يشترك فيها المذكر والمؤنث ممّا كان على (فعيل ، وفَعول ، ومِفْعال ، ومفعيل) واوزان اخرى وما سوى ذلك دخلت فيه التاء فرقاً بين المذكر والمؤنث ، وهو القياس ، وقد سُمع : رجل عاقر وامرأة عاقر ، وجمل بازل وضامر ، وناقة بازل وضامر ، لم تلحقها التاء في التأنيث ، لانها ليست من هاتيك . قال ابو حاتم : (وكان القياس الفصل) (١٠٤) بعلامة التأنيث .

---

(١٠٠) ينظر : اللغة العربية عبر القرون ٣٧ .

(١٠١) وقد كتب السيد سعيد الزبيدي رسالة للماجستير وعنوانها : أبو حاتم السجستاني الراوية.

(١٠٢) خطبة المذكر والمؤنث ٩٦ ب .

(١٠٣) المذكر والمؤنث ١٧١ .

(١٠٤) المذكر والمؤنث ١٩١ أ .

ج — ويفهم من كلامه أنّ الخطاب بالفعل (هاء) يكون بلفظة للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع ويقال قياسا على ما في القرآن : (هاؤُمُ اقرأوا كتابيهْ) للجميع ، وتقول للواحد المذكر : هاءَ ، فتفتح الهمزة التي في (هاء) ، وللاثنين : هاؤما بضمّ الهمزة ، وتدخل الميم ، كما تقول : عليك وعليكما ....) (١٠٥)

ومن دلائل ترجيحه السماع على القياس أنّ العرب لم تقل (فرسة) في تأنيث الفرس ، وهو القياس ، قال : (إلاّ أنّ كلام العرب لا يخالف إلاّ ما حكي عن يونس : فرسة وعجوزة) (١٠٦) ، ولانه لم يكن مطمئنا الى هذه الحكاية كلّ الاطمئنان ، زعم أن التاء هنا ليست للتأنيث ، وانما هي لتوكيد التأنيث (١٠٧) ، اذ التأنيث موجود في الاصل لمخالفة لفظ المؤنث لفظ المذكر ..

٢ — الاستطراد

لم يكن كتاب ابي حاتم وقفا على ظاهرة التذكير والتأنيث ، بل كان يستطرد الى كلّ ما يتصل بالظاهرة من اللغات (١٠٨) ، ومسائل النحو (١٠٩) والتصريف (١١٠) والدلالات (١١١) ، ولحن العامّة (١١٢) ، ووجوه القراءات (١١٣) وسواها بتفصيل وافٍ ،

---

(١٠٥) نفسه ٩٩ أ .
(١٠٦) ، (١٠٧) نفسه ١٣١ أ .
(١٠٨) ينظر مثلا : ١١٤ أ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ أ ، ١٥٠ أ ، ١٦١ ب ، ١٦٧ ب ، ١٦٨ ب ، ١٧٧ ب ، ١٩٠ ب ، ١٩١ أ ، ١٩٣ ب .
(١٠٩) ينظر : ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٢ ب ، ١٥٢ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ب .
(١١٠) ينظر ١٠٣ أ ، ١١١ أ ، ١٤٣ أ ، ١٧٣ أ ، ١٨٧ أ .
(١١١) ينظر : ١١٦ أ — ١٢١ ب ، ١٦٦ أ ، ١٧٧ .
(١١٢) ينظر : ١٣٩ أ ، ١٤٩ أ ، ١٦٣ أ ، ١٩٠ أ ، ١٩٢ أ ، ١٩٧ أ .
(١١٣) ١٢٣ ، ١٤١ أ ، ١٦٠ أ ، ١٦٩ أ .
وسيكون لذلك كله بحث مستقل آت أدرس فيه نحو السجستاني ولغته .

مع غزارة الاستشهاد .

٣ــ رعايته للقراءات

لأبي حاتم كتاب في القراءات كان يفخر به أهل البصرة ، لأنّه كان أجلّ كتاب صنّف فيها الى زمانه ، وكان من مصادر ابن جني في كتابه (المحتسب) (١١٤) ومن ثمّة كان ابو حاتم يعتدّ بالقراءات سبعية كانت ام شاذّة ، لا ينكر منها شيئا ، وهي ــ عنده ــ مناط للاستشهاد والتأييد .

مــــن ذلك :

أــ ما كان على زنة (فَعول) بمعنى (مفعول) من الصفات تلحقه التاء فرقا بين المذكر والمؤنث ، وقد تحذف ، وفي القرآن الكريم (فمنها رَكوبُهم ، ومنا يأكاون .) (١١٥) : (وفي مصحف ابن مسعود وأبيّ : فمنها رَكوبتُهم .) (١١٦)

ب ــ ونقــــل قراءة الحسن في تذكير اللسان : (اللسان الذي يلحــــدون اليه أعجميّ) (١١٧)

ج ــ وقال تعالى : (بكأس من معين بيضاء لذةٍ للشاربين) (١١٨) ونقل أبو حاتم قراءة عبدالله بن مسعود : (صفراء لذة) موضع (بيضاء) (١١٩) .

---

(١١٤) خطبة المحتسب ٣٥ ، ٣٦ .

(١١٥) سورة ياسين ٣٦/ آية ٧٢ .

(١١٦) المذكر والمؤنث ١٢٣ ، وهي قراءة عائشة . وقرأ الحسن والاعمش : (فمنها ركوبهم) بضم الراء ، كما في مختصر ابن خالويه ١٢٦ .

(١١٧) ١٤١ أ ، سورة النحل ١٩/ آية ١٠٣ : « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين) ، وقراءة الحسن لا على تذكير اللسان بل على تحليته بالالف واللام . ينظر : مختصر ابن خالويه ٧٤ .

(١١٨) الصافات ٣٧/ آية ٤٥ .

(١١٩) ١٦٠ أ ، وهي قراءة ابن مسعود والحسن والضحاك ، كما في المختصر ١٢٨ .

د ــ وفي القرآن الكريم : (أولياؤهم الطاغوتُ يُخرِجونهم)(١٢٠) على أنّ (الطـاغوت) جمـع ، ونقل أبو حاتم قـراءة الحسن البصريّ : (اولياؤهم الطواغيت) على إفراد الطاغوت (١٢١) ، كما نقل قراءة (أبيّ) : (يخرجنهم) ، على الجمع المؤنث . (١٢٢) وكلٌّ عند أبي حاتم صحيح صواب .

شواهده :

ناهزت شواهده القرآنية سبعاً وسبعين آية ، وشـواهده من الحديث والاثر اثني عشر شـاهدا ، ومن الشعر ثلاثة وسبعين ومئة ؛ أنكر واحداً منها ، ومن الأرجاز تسعة وخمسين استشهد باحدها مرتين ، وكانت شواهده الاخرى اربعة وعشرين قولاً ومثلاً وأُحجية ودعاء .

وحين عرضت لشواهده من الشعر والرجز ، وجدت أنّه نسب منها جميعاً خمسة وعشرين ومئة ، ولم ينسب ستة شواهد ومئة ، وقد بان لي وانا انظر في شواهده المنسوبة ما يأتي :

١ ــ انّه نسب خمساً وأربعين شاهداً لشعراء جاهليين هم ، على على التوالي ، حسب عدد مرات ورود اسمائهم .

الاعشى (٩) ، زهير (٧) ، اوس بن حجر (٥) ، النابغة الذبياني وطفيل الخيل الغنويّ (٤) الشّماخ (٣) ، امرؤ القيس وعلقمة بن عبده (٢) ، وطرفة بن العبد ، والعباس بن مرداس ، ولبيد وحميد ابن ثور ، واعشى باهلة وابو الاخذم التميمي والايادي (لعلّه لقيط) وأميّة بن ابي الصلت وسلامة بن جندل (١) .

---

(١٢٠) البقرة ٢/ آية ٢٥٦ .

(١٢١) ينظر : المختصر ١٦ والبحر المحيط ٢٨٣/٢ ، وينظر في معنى الطاغوت : تفسير الطبري ٤١٧/٥ ــ ٤١٩ ، ومجمع البيان ٣٦٤/٢ .

(١٢٢) ١٦٩ أ ، ليست من الشواذ .

٢ – ونسب سبعة شواهد الى شعراء مخضرمين : جاهليين اسلاميين ، هم : الحطيئة (٣) ، النابغة الجعدي ، وحسان بن ثابت وكعب بن زهير (١) .

٣ – ونسب سائر الشواهد ، وعددها ثمانية وستون شاهداً الى الى شعراء اسلاميين وأمويين ، هم العجّاج (١٢) الراعي وابو النجم العجلي (٦) ، ذو الرمة ورؤبة (٥) الفرزدق وجرير والاخطل (٤) ، الهذلي (؟) وابن مقبل (٣) ، وأبو الاخزر الحمّاني وساعدة بن جؤية (٢) ، ابن همّام السلولي ، وبشر بن ابي حازم وكعب الغنويّ وعبدالرحمن بن حسّان والقطامي ودكين وابو كبير الهذلي ، والحارثي ، وابن ام صاحب ومعقّر وابن احمر الباهلي وعوف بن الاحوص الكلابي (١) .

وثمة شاهدان نسب اولهما للخثعمي وثانيهما لأعرابية .

٤ – وانكر ابو حاتم شاهدا لعمارة بن عقيل ، وهو عباسي ، متابعة للاصمعي ، وان كان عمارة من علماء اللغة والنحو .

٥ – مضى ابو حاتم على ما مضى عليه اللغويون من اقتصارهم في الاحتجاج على شعر شعراء الاعصر الاولى : الجاهلي فصدر الاسلام فالاموي ، وانكار ما سواه ، مثل انكاره بيت عمارة .

٦ – وأن نسبة الرجز المستشهد به عالية علوّا ينبىء بأنّ اللغويين يميلون الى شعر البداوة ، وهو واحد من مقاييسهم في اصالة الشعر وفصاحته .

٧ – ويبدو ان الشعر الذي لم يُعنَ ابو حاتم بعزوه ، هو ممّا شاع ، وجرى به الاستشهاد عند العلماء ، وبذلك وقع موقع المعزوّ من حيث روايته عن الثقات الاثبات .

اثر الكتاب فيما تلاه : ـ

اشـــرت فيما مضى الى انّ لكتاب ابي حاتم أثراً واضحاً في كتاب « المذكر والمؤنث » لابي بكر بن الانبـــاري (١٢٣) ، وكتاب « المخصص » لابن سيده .

(أ) كتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري :

افاد ابن الانبـــاري من كتاب ابي حاتم افادة مباشـــرة صريحة في واحد وســـبعين موضعاً ، ناقش ابا حاتم في ثمانية منها ناقضـــا ما ذهب اليه وناقلا في ثلاثة وستين موضعاً من غير اعتراض او ردّ .

وسأذكر ثمة المواضـــع الاولى ، لبيان وجـــه المناقشة ، ومشيرا الى ما سواها متتبعا مواضعها من الكتابين (١٢٤) .

١ . قال ابن الانباريّ : « وقال الـسجـستاني : العرب لا تقول : عجوزة بالهاء ، وهذا خطأ منه ، لأن ابا العباس احمد بن يحيى اخبرنا عن سلمـــة عن الفرّاء ، قال : قال يونس : سمعت العرب تقول : فرسة وعجوزة ... » (١٢٥)

---

(١٢٣) ينظر : المذكر والمؤنث ٤١ .

(١٢٤) ينظر الصفحات الآتية من كتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري ، وحواشيها :
١٤٣ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ،
٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ،
٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ،
٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٤-٣٤٥ ،
٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ،
٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،
٣٦٤ .

(١٢٥) المذكر والمؤنث ٨٩ ، ١٠٨ ، وقول الفراء في المذكر والمؤنث له ٨٨ .

وقد وقع لابن الانباريّ من الوهم مالا يجوز أن يقع منه ، وقد فاته أنّ أبا حاتم قد نقل عن يونس ما نقله هو عن الفراء عن يونس ، ذلك أن ابا حاتم كان يرى أنّ القياس هو لحاق التاء الفارقة للمؤنث .

ولم يسمع مثل ذلك عن العرب ، إلاّ انّ ما حكاه عن يونس عضد به قياسه ويبدو ان ابن الانباري قد اجتزأ بأوّل الكلام عن آخره ، قال أبو حاتم :

« وفرس ذكر ، وحجر للانثى ، وفرس انثى ، ولم يقولوا فرسة ، وكان القياس أن يقال ، إلاّ انّ كلام العرب لا يخالف ، إلاّ ما حكي عن يونس : فرسة وعجوزة ،والهاء فيهما تأكيد للتأنيث» (١٢٦) .

وهذا يعني انّ ابا حاتم قد اعتدّ بالسماع الكثير ، فلم تكن التاء فارقة للتأنيث وهو لم ينكر حكاية يونس للاعتداد بالمسموع ايضا ، فهداه منطقه الى أنّ التاء هنا توكيد للتأنيث المعنويّ ، وتحقيق له » (١٢٧) .

٢ . قال ابن الانباريّ : « وكان السجستانيّ يسوّي بين كفيل وامير وهذا غلط منه ، لأن الامارة لاتكاد تكون في النساء ، والكفالة تكون في الرجال والنساء ، وقال ابو زيد الانصاريّ : سمعت العرب تقول : وكيلات ، فهذا يدلّ على وكيلة . » (١٢٨)

يبدو انّ الخلاف هنا آت من خلافهما المذهبيّ ، فابن الانباريّ قاس على القليل في مثل (وكيلة) ، فيما نقله عن يونس ، على حين

(١٢٦) المذكر والمؤنث ق ١٣١ .

(١٢٧) المخصص ١٦/١٠٠ .

(١٢٨) المذكر والمؤنث ١٤٨ وينظر : المخصص ١٦/١٠٠ قد ذهب ابن سيده مذهب ابن الانباري ، وانكر ابن سيدة ايضا فرسة ١٦/١٠٥ .

كان مذهب ابي حاتم القياس على الشائع والكثير ، غير انّ ابا حاتم لم ينكر مقالة ابي زيد ، وانما قبلها ، واستدرك بها اطلاقه القول في التسوية بين المذكر والمؤنث فيما كان من الاوصاف على (فعيل) بمعنى (مفعول) ، وقد ردّ ابن الانباريّ على ابي حاتم بما ذكره ابو حاتم نفسه صنيعه في المسألة الاولى ، ثم ان ابا حاتم حكّم القياس في الامر : فهداه ذلك الى ارتضائه ، وان كان قليلا ، قال ابو حاتم : « تقول : فلانة وصيّ فلان ، وهي كفيلي وعديلي ... لأن الغالب على هذا الباب ، الذكور .

وكذلك فلانة شاهد لي ، وفلانة اميرنا ، وأميرنا امرأة ، وربّما قالوا : كفيلة ووصيّة وجريّة (١٢٩) ، ونحوها بالهاء على القياس ، وعلى شركة المذكر ، قال ابن همّام السلوليّ :

فلو جاؤوا ببرّة أو بهندٍ لبَايعنا أميرةَ مؤمنينا » (١٣٠)

وقال بعد ذلك :

« وحدّثني ابو زيد الانصاريّ انّه سمع من بعض العرب : وكيلات ، وجريّات ، وعدلات . » (١٣١)

ولم يكن ما قاله ابن الانباريّ مغايراً لهذا ، ولا مختلفاً معه ، وقد ورد له قوله : « وربّما ادخلوا الهاء ، واضافوا ، فقالوا : فلانة اميرة بني فلان ، ووكيلة بني فلان ، ووصيّة بني

(١٢٩) والجرى : الوكيل ، الواحد والجمع والمؤنث في ذلك سواء . (اللسان / جرا ١٤/١٤٢)، ونقل عن ابي حاتم قوله : وقد يقال للانثى : جرية بالهاء . ومن معاني الجري : الرسول والخادم .
ونقل صاحب المخصص ٣٥/١٧ ان ابا حاتم قال : وقد قالوا في المؤنث جرية ، وهو قليل .

(١٣٠) المذكر والمؤنث ١٢٢ آ .

(١٣١) نفسه ١٢٢ ب .

فلان . » (١٣٢) ، ثم استشهد ببيت ابن همّام السلولي .

ولو جمعنا ما تفرّق من كلام ابي بكر بعضه الى بعض ، وقابلنا به كلام ابي حاتم ، لوجدناهما متطابقين في الدلالة كلّ التطابق ، وان اختلفا في العبارة بعض اختلاف ، ومن هنا لم يكن لطعن ابن الانباريّ على ابي حاتم من مسوّغ .

٣ . قال ابن الانباريّ : « وقال السجستاني : الرِّجل من كلّ شيء مؤنثة وقال : الرجل من الجراد مؤنثة ، وقال : وهي بمنزلة الخِرقة من الجراد ولم يحك تأنيث رجل الجراد عن احد ، انّما قاله بالقياس والرأي ، والقياس يوجب تذكيره ، لأنه بمنزلة السّرب . » (١٣٣)

امّا الحكاية التي يعتدّ بها ، وتنسب الى صاحبها ، فهي المخالفة للمألوف الشائع ، وليس ثمّة خروج على العموم ، وامّا القياس الذي استشفّه ابن الانباري ، وافترض خطأه ، فليس بصواب ، فقد كان قياس ابي حاتم على انّ (رجل الجراد) هي بمعنى (خرقة جراد) ، أي : (قطعة منه) ، وكلٌّ مؤنث ، فقياسه اذن ، صحيح . قال ابو حاتم : « والرجل مؤنثة وثلاث ارجل ، وليس لها جمع غير الارجل ، وكذلك رجل من جراد ومن دبا ، وخرقة من جراد ، أي : قطعة منه . » (١٣٤)

أما حملة على انّ معناه (السّرب) ، هو مذكر ، فالقياس التذكير فذلك افتراض هو من شأن ابي بكر ، فإذا كان له ما يعضده من

(١٣٢) المذكر والمؤنث ١٤٨ .
(١٣٣) المذكر والمؤنث ٢٠٠ .
(١٣٤) المذكر والمؤنث ١٥١ ب ، ١٥٢ أ .

المسموع جاز وإلاّ فمقالته ليست صحيحة ، ولم يك ما أورده أبو حاتم مجانباً للصواب .

٤ . قال ابن الانباريّ : « والعاتق من الإنسان ، قال السجستاني : هو مذكر وانكر التأنيث ، وهذا خطأ منه ، لإنّ ابا العبّاس أخبرنا عن سلمة عن الفرّاء أنّ العاتق تذكر وتؤنث ؛ وأنشدنا سلمة عنه في التأنيث :

لا صلحَ بيني فاعلموه ولا بينكم ما حَملتْ عاتقي
سيفي وما كنّا بنجدٍ وما قَرْقَرَ قمْرُ الوادِ بالشاهقِ (١٣٥)

وقد أنكر ابو حاتم رواية التأنيث ، كما ردّ البيتين بقوله :

« وأنشدوا فيه بيتاً ليس يثبت ولا عن ثقة . » (١٣٦)

والبيتان ، في واقع الامر ، ليسا واضحي النسبة ، اذ يتنازعهما هماوبيتاً ثالثاً أكثر من شاعر ، والخلاف ثمّة مذهبّي ، فالكوفيون يلتمسون الروايات ويقبلونها ؛ على حين يغالي البصريون في الاتجاه العام ، في تحريّ الروايات وتوثيقها .

وأمّا في تحقيق جنس (العاتق) فهو يذكر ويؤنث عند الفراء (١٣٧) ، ابي عبيد (١٣٨) وابي البركات الانباريّ (١٣٩) ، وصاحب اللسان (١٤٠) ، وقيّد ابو موسى الحامض (١٤١) ، واحمد ابن فارس (١٤٢)

(١٣٥) المذكر والمؤنث ، ٢٠٨ . (١٣٦) المذكر والمؤنث ١٤٥.
(١٣٧) المذكروالمؤنث ٧٧ . (١٣٨) الغريب المصنف ٥٢٣ . (١٣٩) البلغة ٧١ .
(١٤٠) اللسان (عتق) ٢٣٧/١٠ ، ٢٣٨ ، قال : « والعاتق .... مذكر ، وقد أنث ، وليس بثبت . »
(١٤١) ما يؤنث ويذكر ٢٦ ، وقال في ٢٧ : « ذكر ، وورد عمر بن حيوية بانه ذكر وأنثى ، واستشهد بالبيتين ، وبقول الشاعر :
وما المول وان عرضت قفاه
(١٤٢) المذكر والمؤنث ٥٥ .

التأنيث بأنّه غير فصيح ، قالا : « والعاتق مذكر ، وربّما أنّثوه ، وليس بالفصيح » .

وهو مذكر في الاختصار (١٤٣) ، وعند اللحياني (١٤٤) .

وخالفه ابن برّى (١٤٥) ، بذهابه الى التأنيث مستشهدا بالبيتين وقبلهما ثالث :

لا نسبَ اليومَ ولا خلّةً اتّسعَ الفَتْقُ على الراقعِ

وعزاها لابي عامر جدّ العباس بن مرداس ، وقال : ومن روى البيت الاول اتسّع الخرق على الراقع فهو لأنس بن العباس بن مرداس من هنا كان ما ذهب اليه ابن الانباريّ ، هو ما كان عليه الاكثرون .

هذه مواضع من مناقشات ابن الانباري لابي حاتم ، وثمّة مواضع اخرى (١٤٦) ، ليس لها شأن يوجب شرحها وتفصيل القول فيها .

ب . المخصص لابن سيدة

يقوم الجزآن السادس عشر والسابع عشر في معظم موادّهما على ظاهرة التذكير والتأنيث بتفصيل واف ، ونقل كثير عن اللغويين ، وإنْ كان وقع لـه شيء من الوهم او السهو (١٤٧) ، إذ لم يُشِرْ في طائفة كبيرة ممّا نقل الى مَنْ أفاد منهم ، وقد عوّل على أبي حاتم في مسائل مهمّة، وان كانت محدودة (١٤٨) ويقيناً أنّ ما لم ينبه اليه أكثر .

(١٤٣) في التذكير والتأنيث ٢٧ . (١٤٤) اللسان (عتق) ٢٢٨/١٠ . (١٤٥) نفسه .

(١٤٦) ينظر : المذكر والمؤنث لابن الانباري ٦١٣ وهامشها ، ٦٢٥ وهامشها .

(١٤٧) من ذلك ما نقله من كتاب ابن الانباري بلا عزو ، ينظر مقدمة المذكر والمؤنث ٦٤، ٦٥.

(١٤٨) ينظر : المخصص ١٠٠/١ ، ١٠١ ، ١٢١/١٧ (اكثر من موضع) ، ٣٥/١٧ ، ٤٨/١٧ ، ١١٩/١٧ ، ١٢٦/١٧ .

ولم أجد بي حاجة الى ذكرها ، لأن ابن سيدة كان ناقلا حسب ، ويستطيع الباحث الرجوع اليها في مظنتها .

وبعـــد .

فقد وضح لنا في ضوء ما تقدّم :

١ ــ أن كتاب المذكر والمؤنث هـو الكتـاب المفرد الذي يكشف بصراحة عن شخصية ابي حـاتم اللغويـة والنحويـة لان كتبـه التي وصلت الينا لا تحدد الا يسيرا من قسماته في الدرس اللغوي .

٢ ــ وانّه كان خلاصة وافية للغات القبائل ، واقوال علمـــاء اللغة الاوائل في ظاهرة مهمة من ظواهر اللغة ، مـع تعليلات عقليـة احيانا .

٣ ــ وأنّه بازاء كتب التذكير والتأنيث الاولى : كتـاب الفـراء ، ومختصر المفضل بن سلمة ، اوسعهـا ، واكثرهـا استقصاء ، واعمقهـا بحثا .

٤ ــ وأنّ منطق اللغة لا ينسجم مع منطق اللغويين ومقاييسهـم الا لماما .

٥ ــ وأنّ ظاهرة التذكير والتأنيث ، وقـد كتب فيهـا كثير من المحدثين ، ماتزال تنتظر من يدرسها بتدقيق واستقراء بعد الاحـاطـة بمادتها الاوليـة في كتبهـا التي برزت من ركام التاريخ ، لان الدراسات السابقة كانت قاصرة ومحدودة .



واو الحال

الدكتور فاضل صالح السامرائي

كلية الآداب – جامعة بغداد

تقع قبل قسم من الجمل الحالية واو تسمى واو الحال وجوبا او جوازا نحو (اقبل محمد اخوه معه) و (اقبل محمد واخوه معه) فما فائدة هذه الواو ؟ وهل تؤدي معنى خاصاً بها ؟ وما الفرق بين الجملتين السابقتين ونحوهما في المعنى ؟

ان الواو في العموم تفيد الاجتماع جاء في (المخصص) : « فالواو اذا لم يكن بدلا من الحرف الجار لزمته الدلالة على الاجتماع كلزوم الفاء الدلالة على الاتباع . وهي مع ذلك تجيء على ضربين :

احدهما ان تأتي دالة على الاجتماع متعرية من معنى العطف في نحو ما حكاه النحويون من قولهم : (ما فعلت واباك ؟) ...

والآخر ان تأتي عاطفة مع دلالتها على الاجتماع في نحو (مررت بزيد وعمرو) فهذا الضرب يوافق الاول في الدلالة على الجمع ويفارقه في العطف لأن الواو هناك لم تُدخل الاسم الآخر في اعراب الاول كما فعلت ذلك في الباب الثاني فاذا كان كذلك علم ان المعنى الذي يختص به الواو الاجتماع ...

وقد تجيء الواو غير عاطفة على غير هذا الوجه في نحو قوله تعالى (يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم انفسهم)(١) فهي لغير العطف في هذا

(١) آل عمران ١٥٤

الموضع ايضا وذلك ان الجملة التي بعدها غير داخلة في اعراب الاسم الذي قبلها و لا هي معطوفة على الجملة التي قبلها وانما الكلام بمجموعه في موضع نصب بوقوعه موقع الحال فهذا ما ينبئك عن استحكام الواو في الدلالة على الاجتماع اذ كان حكم الحال ان تكون مصاحبة لذي الحال » (٢) .

وهذا صحيح فالواو العاطفة لمطلق الجمع وهي تفيد التشريك في الحكم نحو (حضر محمد وخالد) ، والواو التي ينتصب الاسم بعدها تفيد المعية وهو اجتماع ايضا نحو (جئت والليلَ) ، والتي ينتصب بعدها الفعل المضارع تفيد المصاحبة وهو اجتماع ايضا نحو (لا تأكلْ وتتكلمَ) ، والحالية تفيد مصاحبة ما بعدها لما قبلها نحو (جئت والشمس طالعة) اي مصاحبا طلوع الشمس ولذا عدها بعض النحاة للمعية (٣) لانها تفيد المصاحبة واعرب الجملة بعدها مفعولاً معه .

والاستئنافية تفيد الجمـــع في ذكر حكمين او اكثر نحو (لا تأكلْ وتشربُ) بضم الباء اي انت منهي عن الاكل مباح لك الشرب فقد جمع بين حكمين .

وهي تفيد الجمع ضميراً نحو ذهبوا وقوموا ، وحرفا نحو (مدرسون وقائمون) فالواو على العموم تفيد الاجتماع .

وذكر عبدالقاهر الجرجاني ان واو الحال يؤتى بها لقصد استئناف حال اخرى تضمها الى ما قبلها . جاء في (دلائل الاعجاز) : « فاعلم ان كل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من الواو فذاك لأجل انك عمدت الى الفعل الواقع في صدرها فضممته الى الفعل الأول في اثبات واحد . وكل جملة جاءت حالاً ثم اقتضت الواو فذاك لأنها مستأنف بها خبراً وغير قاصد الى ان تضمها الى الفعل الأول في الاثبات .

(٢) المخصص ١٤/٤٧– ٤٨ (٣) انظر المغني ٢/ ٤٦٥ ، الهمع ١/ ٢٢٠ .

تفسير هذا أنك اذا قلت : (جاءني زيد يسرع) كان بمنزلة قولك (جاءني زيد مسرعاً) في انك تثبت مجيئاً فيه اسراع وتصل احد المعنيين بالآخر وتجعل الكلام خبراً واحدا وتريد أن تقول : جاءني كذلك وجاءني بهذه الهيئة وهكذا قوله :

وقد علوت قتود الرحل يسفعني   يوم قديديمة الجوزاء مسموم

كأنه قال : وقد علوت قتود الرحل بارزاً للشمس ضاحيا ...

واذا قلت : (جاءني وغلامه يسعى بين يديه) و (رأيت زيداً وسيفه على كتفه) كان المعنى على انك بدأت فأثبت المجيء والرؤية ثم استأنفت خبراً وابتدأت اثباتا ثانيا لسعي الغلام بين يديه ولكون السيف على كتفه . ولما كان المعنى على استئناف الاثبات احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالاولى فجيء بالواو كما جيء بها في قولك (زيد منطلق وعمرو ذاهب) و (العلم حسن والجهل قبيح) وتسميتنا لها واو الحال لا يخرجها عن ان تكون مجتلبة لضم جملة الى جملة » (٤) .

وجاء في (الطراز) ان « الواو اذا كانت محذوفة فهي في حكم التكملة والتتمة لما قبلها تنزّل منزلة الجزء منها ... واذا كانت الواو موجودة كانت في الاستقلال بنفسها » (٥) .

وذهب بعضهم الى انها لتأكيد الالتصاق جاء في حاشية الشمني على المغني : « وقال نجم الدين سعيد ... الواو أكدت الالتصاق باعتبار أنها في اصلها للجمع المناسب للالصاق » (٦) .

وجاء في (كليات أبي البقاء) : « وقالوا اذا دخلت على الشرط بعد تقدم الجزاء يراد به تأكيد الوقوع بالكلام الاول وتحقيقه كقولهم (اكرم

---

(٤) دلائل الاعجاز ١٦٤ — ١٦٥   (٥) الطراز ١١١/٢ .

(٦) حاشية الشمني على المغني ١١١/٢ .

اخاك وان عاداك) أي أكرمه بكل حال . وقد تزاد الواو بعد (إلا) لتأكيد الحكم المطلوب اثباته اذا كان في محل الرد والانكار كما في قوله (ما من احد إلا وله طمع أو حسد) (٧) .

وأصل هذا القول ما قاله الزمخشري في قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم — الحجر (٤) قال : « (ولها كتاب) جملة واقعة صفة لقرية والقياس لايتوسط(٨) الواو بينهما كما في قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون) (٩) وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال (جاءني زيد عليه ثوب) و (جاءني وعليه ثوب) » (١٠) .

وقال نحو هذا القول في قوله تعالى : (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم — الكهف ٢٢) قال : « فان قلت : فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين ؟ قلت : هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك (جاءني رجل ومعه آخر) و (مررت بزيد وفي يده سيف) ومنه قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها أمر ثابت مستقر . وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم » (١١) .

فقد ذكر أن لها فائدتين :

---

(٧) كليات ابي البقاء ٣٦٧
(٨) كذا والصواب : ان لايتوسط
(٩) الشعراء ٢٠٨
(١٠) الكشاف ١٨٧/٢
(١١) الكشاف ٢٥٥/٢ وانظر ٣٨٧/٢ في قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون).

الاولى تأكيد الالتصاق ، والثانية ان اتصافه بها امر ثابت مستقر .

والجمهور ينكرون مجيء جملة الصفة بعد هذه الواو (١٢) ويعدون هذه الواو واو الحال . جاء في (المغني) : « الواو الداخلة على الجملة الموصوف بها لتأكيد لصوقها بموصوفها وافادتها ان اتصافه بها امر ثابت . وهذه الواو أثبتها الزمخشري ومن قلده وحملوا على ذلك مواضع الواو فيها كلها واو الحال » (١٣) .

وعند سيبويه هي بمعنى (اذ) اي للزمن الماضي جاء في (كتاب سيبويه) : « واما قوله عزوجل (يغشى طائفة منكم وطائفةٌ قد أهمتهم انفسهم) (١٤) فانما وجهوه على انه يغشى طائفة منكم وطائفة في هذه الحال كأنه قال (اذ طائفة في هذه الحال) فانما جعله وقتا ولم يرد أن يجعلها واو عطف انما هي واو الابتداء » (١٥) .

وقد سماها بعضهم واو الوقت جاء في (كتاب الاصول) « واذا ذكرت (ان) بعد واو الوقت كسرت لانه موضع ابتداء نحو قولك (رأيته شابا وانه يومئذ يفخر) » (١٦) .

وبعضهم ذكر واو الحال وواو الوقت على انهما واوان مختلفتان جاء في (لسان العرب) : « ومنها واوات الحال كقولك (أتيته والشمس طالعة) اي في حال طلوعها قال الله تعالى (اذ نادى وهو مكظوم) (١٧) .

ومنها واو الوقت كقولك (اعمل وانت صحيح) أي في وقت صحتك والآن وانت فارغ ، فهذه واو الوقت وهي قريبة من واو الحال » (١٨) .

---

(١٢) انظر حاشية يس على التصريح ٣٧٧/١ ، الصبان ١٧٥/٢ ، الاشموني ١٧٦/٢
(١٣) المغني ٣٦٤/٢ ، التصريح ٣٧٧/١
(١٤) آل عمران ١٥٤ (١٥) سيبويه ٤٧/١ وانظر المقتضب ١٢٥/٤.
(١٦) الاصول لابن السراج ٣٢١/١ (١٧) القلم ٤٨ .
(١٨) لسان العرب ٣٨٠/٢٠ وانظر تاج العروس ١٠/ ٤٥٢

وهما بمعنى واحد كما هو واضح وليستا مختلفتين .

وذهب بعضهم الى صرف كلام سيبويه وتأويله عن معناه جاء في (الهمع) : « وقدرها سيبويه والاقدمون بإذ ولا يرون انها بمعنى (اذ) اذ لا يرادف الحرف الاسم بل انها وما بعدها قيد للفعل السابق كما ان (إذ) كذلك » (١٩) .

وكلام السيوطي فيه نظر إذ ظاهر من كلام سيبويه انها بمعنى (اذ) قال : « كأنه قال اذ طائفة في هذه الحال فانما جعله وقتا » وكما ذكر المبرد وابن السراج وغيرهما وسموها واو الوقت لأنها تفيد التوقيت والجملة بعدها جارية مجرى الظرف كما قال الزمخشري في (المفصل) قال : « ويجوز اخلاء هذه الجملة عن الراجع الى ذي الحال اجراء لها مجرى الظرف لانعقاد الشبه بين الحال وبينه تقول (اتيتك وزيد قائم) و (اتيتك والجيش قادم) قال : وقد اغتدي والطير في وكناتها » (٢٠) .

جاء في (المغني) : « ومما يشكل قولهم في نحو (جاء زيد والشمس طالعة) ان الجملة الاسمية حال مع انها لا تنحل الى مفرد ولا تبين هيئة فاعل ولا مفعول ولا هي حال مؤكدة . فقال ابن جني تأويلها جاء زيد طالعة الشمس عند مجيئه يعني فهي كالحال والنعت السببيين كررت بالدار قائماً سكانها وبرجل قائم غلمانه . وقال ابن عمرون هي مؤوّلة بقولك مبكراً ونحوه . وقال صدر الأفاضل تلميذ الزمخشري انما الجملة مفعول معه واثبت مجيء المفعول معه جملة . وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى (والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) (٢١) في قراءة من رفع البحر هو كقوله :

---

(١٩) الهمع ٢٤٧/١
(٢٠) ابن يعيش ٦٨/٢ وانظر كليات ابي البقاء ١٤٠
(٢١) لقمان ٢٧

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل

و (جئت والجيش مصطف) ونحوهما من الاحوال التي حكمها حكم الظرف فلذلك عريت عن ضمير ذي الحال » (٢٢) .

والتحقيق ان واو الحال تفيد الوقت كثيراً وهي بمعنى (اذ) الظرفية غالبا وايضاح ذلك انك تقول: (ما با لك تركض) و (ما بالك راكضا ؟) فأنت تسأل عن سبب ركضه ، وتقول (ما بالك وانت تركض ؟) فأنت تسأله عن شيء حدث له وهو يركض كأنك قلت : ما بالك حين تركض ؟

وتقول : (ما بالك تسكت؟) و(ما لك ساكتاً) ؟) فهذان سؤالان عن سبب سكوته وتقول : (ما بالك وانت ساكت ؟) فهذا سؤال عن شيء حدث له وهو ساكت كأنه قال : ما حصل لك حين كنت ساكتا ؟

وتقول : (لماذا جئتنا هاربا) و(لماذا جئتنا وانت هارب) فالاولى سؤال عن سبب مجيئه هاربا اي سؤال عن سبب الهرب ، والثانية سؤال عن سبب المجيء علما بانك هارب اي لماذا جئت وهذه حالك ؟

وتقول : (كيف وصلت ليس لك مال ؟) و (كيف وصلت وليس لك مال) فالاولى سؤال عن سبب فقدان المال ، والثانية سؤال له انه كيف وصل وهذه حاله أي كيف وصل علماً بانه ليس له مال ، كما تقول : لماذا جئتنا وانت مريض ؟ أي وهذه حالك .

جاء في (كتاب سيبويه) : « وبعض العرب يقول : (كلمته فوه الى فيّ) كأنه يقول (كلمته وفوه الى فيّ) اي كلمته وهذه حاله . فالرفع على قوله : كلمته وهذه حاله ، والنصب على قوله : كلمته في هذه الحال فانتصب لأنه حال وقع فيه الفعل . وأما (يداً بيد) فليس فيه الا النصب لأنه لا يحسن ان

---

(٢٢) المغني ٢/٤٦٥ — ٤٦٦

تقول (بايعته ويدٌ بيد) ولم يرد أن يخبر انه بايعه ويده في يده ولكنه اراد أن يقول : بايعته بالتعجيل ولا يبالي أقريبا كان ام بعيدا .

واذا قال : كلمته فوه الى فيّ فانما يريد ان يخبر عن قربه وانه شافهه لم يكن بينهما أحد » (٢٣) .

وجاء في (الكشاف) في قوله تعالى (اتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم ــ النمل ٣٦) : « فان قلت : ما الفرق بين قولك : (اتمدني بمال وانا اغنى منك ؟) وبين ان تقوله بالفاء ؟ قلت : اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالماً بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال . واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فأنا اخبره الساعة بما لا احتاج الى امداده كأني اقول له : انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه » (٢٤) :

فجعل الواو للحال المعلومة .

قال تعالى : (فمالكم في المنافقين فئتين ــ النساء ٨٨) ولو قال (فمالكم في المنافقين وانتم فئتان) لتغير المعنى ، فالاولى سؤال عن سبب انقسامهم فئتين والثانية سؤال عما حصل لهم في امر المنافقين عندما كانوا فئتين .

وتقول (بعثه قائداً عليهم) اي جعله قائداً عليهم كما قال تعالى (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ــ البقرة ٢٤٧) ولو قال (بعثه وهو ملك) لكان المعنى انه بعثه عند ما كان ملكا اي كان ملكا قبل ان يبعث عليهم . ونحوه اذا قلت (بعثه وهو قائد) فمعناه انه ارسله حين كان قائداً فالقيادة حاله المستقرة ولو قال : (بعثه قائداً) لكان المعنى انه جعله قائداً عليهم ولم تكن تلك حاله المستقرة قبل بعثه .

---

(٢٣) الكتاب ١/١٩٥ وانظر المقتضب ٣/٢٣٦ .
(٢٤) الكشاف ٢/٤٥٢

جاء في (الاصول) ان الرجل : « اذا قال : بعتك هذا الطعام مكيلاً ، وهذا الثوب مقصوراً فعليه ان يسلمه اليه مكيلاً ومقصوراً . واذا قال (بعتك وهو مكيل) فانما باعه شيئا موصوفا بالكيل ولم يتضمنه البيع » (٢٥) فجعل الكيل قبل البيع .

قال تعالى : (فقعوا له ساجدين — ص ٧٢) ولو قال (فقعوا له وانتم ساجدون) لاحتمل ان يكون امراً بوقوعهم حين يكونون ساجدين فالسجود حالهم المستقرة قبل الوقوع وهذا غير جائز .

ومثله قوله تعالى (يخرون للاذقان سُجَّداً — الاسراء ١٠٧) ولو قال (وهم سجد) لاحتمل المعنى انهم يخرون للاذقان حين يكونون سجداً أي وهذه حالهم ، وهذا غير مراد اذ كيف يخرون للاذقان حين يكونون ساجدين؟!

وقال تعالى : (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا — الفرقان ٧٣) ولم يقل (لم يخروا عليها وهم صم وعميان) لأن المعنى يكون عند ذاك ان حالهم المستقرة الصمم والعمى .

وقال تعالى على لسان سليمان (ع) : (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون — النمل ٣٧) وقال : (ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة — آل عمران ١٢٣) فالاولى (اذلة) بدون واو لأن الذل سيكون مقارنا للخروج ولم يكونوا قبل ذلك اذلة ، اما الثانية فمعناها انه نصرهم وهذه حالهم المستقرة اي كانوا اذلة قبل النصر اي نصركم اذا كنتم اذلة ، أي حين كنتم أذلة .

فالواو تكون لما قد استقر ولذا لا تكون الجملة المسبوقة بالواو مقدرة اي مستقبلة قال تعالى (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها — التوبة ٥٨) فـ (خالدين) حال مستقبلة فالخلود يكون بعد الوعد

(٢٥) الاصول ٢/٤٩ — ٥٠

لا مقارناً له ولو قال (وعدهم وهم خالدون) لكان المعنى ان الوعد حصل حين خلودهم .

وقال : (وبشرناه باسحـاق نبيا من الصالحين — الصافات ١١٢) فـ (نبياً) حال مقدرة لانها بعد البشرى ولو قال (وهو نبي) لكان المعنى انه بشره باسحاق حين كان اسحاق نبيا وهو مستحيل .

فالمسبوقة بالواو لا تكون مقدرة .

ثم ان واو الحال ليست بمعنى (اذ) دوما بل هو الغالب كما ذكرنا فقد تكون الجملة قبلها مستقبلة فتمتنع ان تكون بمعنى (اذ) لان (اذ) للمضي وذلك نحو (سأجيئك والليل ساج) اي وقت الليل ساج فهي بمعنى (وقت) وهذا الوقت قد يكون ماضيا وقد يكون غيره بحسب الجملة .

واما قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم — الحجر ٤) فليست فيه الجملة بعد الواو صفة بل الواو واو الحال بخلاف (لها منذرون) في قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون — الشعراء ٢٠٨) فانها تحتمل الوصفية والحالية ، فقد يؤتى بالواو للفصل بين الحال والنعت ولكل قصد . فأنت تقول (ما مررت برجل الا له مال) و (ما مررت برجل الا وله مال) فمعنى الاولى انك مررت برجل ذي مال أي غني وانك لم تمر الا برجل غني . اما الثانية فمعناها انك لم تمر برجل الا حين يكون له مال أي لم تمر به في وقت لم يكن له مال . فالاولى نعت وهي وصف عام اما الثانية في حال منتقلة وهو نظير قولنا (ما جاءني طالب مقصر) و (ما جاءني طالب مقصراً) فان معنى قولنا (ما جاءني طالب مقصر) انه لم يأت طالب متصف بالتقصير . واما قولنا (ما جاءني طالب مقصراً) فمعناه نفي التقصير عنه في مجيئه هذا ، وقد يكون قبل هذا المجيء مقصراً .

ونحو ان تقول (مررت برجل اخوه منطلق) و (مررت برجل واخوه منطلق) فمعنى الاولى انك مررت برجل منطلق الأخ وانطلاقه قد يكون قبل المرور واما الثانية فمعناها انك مررت به في هذا الوقت . وتقول (مررت برجل فرسه سابق) و (مررت برجل وفرسه سابق) فالاولى قد يكون فيها السبق قبل المرور والثانية مررت في هذا الوقت . وتقول (ما مررت برجل الا فرسه سابق) و (ما مررت برجل الا وفرسه سابق) اي الا في هذا الوقت .

وتقول : (مررت برجل اخوه مقرئٌ) و (مررت برجل واخوه مقرئٌ) فان معنى الاولى انك وصفت الرجل بان اخاه مقرئٌ ولا يشترط انك مررت به في وقت الاقراء فقد يكون الأخ غير مقرئٌ في وقت المرور واما الثانية فانها تفيد انك مررت به في حين ان اخاه يقوم بالاقراء فعلاً في اثناء مرورك . فالاولى وصف عام والثانية حال .

وتقول (ما مررت برجل الا اخوه مقرئٌ) اي ما مررت برجل الا موصوف بان اخاه مقرئٌ وتقول (ما مررت برجل الا واخوه مقرئٌ) اي ما مررت به الا في حال الاقراء .

فمعنى قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون) اننا لم نهلك الا قرية منذرة ولم يأت بالواو لأن المعنى عند ذاك يكون انه لم يهلك قرية الا وهذه حالها أي لم يهلك قرية الا وقت انذارهم ،في حين انه عند الإهلاك يخرج الرسل والمؤمنون بهم من القرى ويتركونها فلا يكونون فيها عند اهلاكها كما في قوم لوط وغيرهم ، فلو قال (ولها منذرون) لكان المعنى انهم فيها وقت الإهلاك كما اوضحنا ـ بخلاف آية الحجر فان الاجل حالٌ وقت الاهلاك حاقٌ عليهم مصاحب لاهلاكهم .

يتبين من هذا ان واو الحال تدخل لاغراض منها :

١ ــ انها تكون بمعنى (اذ) اي للوقت الماضي كقوله تعالى (اذ نادى وهو مكظوم ــ القلم ٤٨) ونحو (ما بالك وانت راكض ؟) اي حين كنت راكضاً .

٢ ــ انها تكون للوقت غير الماضي ايضا نحو (سأزورك والقمر طالع) .

٣ ــ قد يؤتى بها للدلالة على ان الحال بعدها أمر ظاهر ومعلوم نحو (كيف تعطيني وانا اغنى منك) قال تعالى (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ــ البقرة ٢١٤) أي أحسبتم ان تدخلوا الجنة ولم تكن هذه حالكم الظاهرة ؟

٤ ــ قد يؤتى بها للدلالة على ان ما بعدها مستقر قبل الحدث المصاحب لها نحو (بعثه وهو ملك) ومنه قوله تعالى (وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا ــ البقرة ٢٤٦) فالاخراج استقر وحدث قبل القتال .

٥ ــ قد يؤتى بها للاهتمام نحو (عبر النهر ولم يحرك يده) و (قفز خمسة امتار وعلى ظهره حمل وبيده ثقل) و (دخل على الامير وبيده سيفه) .

٦ ــ قد يؤتى بها للفصل بين الحال والنعت نحو (رأيت رجلاً عنده مال) و (رأيت رجلاً وعنده مال) و (رأيت رجلاً فرسه سابق) و (رأيت رجلاً وفرسه سابق) .

٧ ــ قد يؤتى بها لازالة التنصيص على الاستئناف كقولك (اقبل اخوك هو فرح) و (اقبل اخوك وهو فرح) فالاولى استئناف اخبار جديد نصا والثانية ازالت فيها الواو التنصيص على الاستئناف فكان ما بعدها يحتمل الحالية وهو الظاهر ويحتمل الاستئناف ايضاً .

قال تعالى (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ــ الانفال ٥) ولو حذف الواو لكان استئنافا نصا ، فذكر الواو

ازال التنصيص على الاستئناف واصبحت الجملة تحتمل الحالية وهـو الظاهر وتحتمل الاستئناف ايضا .

تقول (هو يحرف القول وانه يعلم بذلك) فالواو تحتمل الحالية والاستئنافية وحذفها ينص على الاستئناف . وتقول (لم يدخلها وهو يطمع) و (لم يأتني وهو طامع) فهذه تحتمل الحال اي لم يدخلها طامعا وانما دخلها غير طامع ، وتحتمل الاستئناف فيكون المعنى انه لم يدخلها ولكن يطمع في الدخول . وحذفها ينص على الاستئناف .

٨ — قد يؤتى بها للتنصيص على ارادة الحال لا التعليل وذلك كقولك (جئته انه امير) و (جئته وانه امير) فالاولى تعليل للمجيء والثانية معناها جئته وهذه حاله اي وقت هو أمير . قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم — الانفال ٣٣) ولو قال (ما كان الله ليعذبهم انك فيهم) لكان المقصود به التعليل اي بيان السبب . الى غير ذلك من الاغراض .



ابن السيرافي
وكتاب اصلاح المنطق لابن السكيت

الدكتور محمد صالح التكريتي
جامعة بغداد — كلية التربية

ابن السكّيت (ت ٢٤٤ هـ) : هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق ، والسكّيت لقبُ أبيه اسحاق ، « وكان من أصحاب الكسائي عالماً بالعربية واللغة والشعر » (١) .

شارك يعقوب أباه في مهنة التأديب ، وكانا يؤدبان الصبيان في درب القنطرة ببغداد ، واحتاج الابن الى الكسب فاتجه الى تعلم النحو .

كان اسحاق رجلاً صالحاً ، حكي عنه : « أنه حجّ ، وطاف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة ، وسأل الله تعالى أن يُعلّم ابنه النحو ، قال : فتعلم النحو واللغة » (٢) .

أخذ يعقوب عن مشاهير الكوفيين كأبي عمرو الشيباني والفرّاء وابن الأعرابي ، وروى عن مشاهير البصريين كالأصمعي وأبي عبيدة ، وشافه الأعراب الثقات ، وحكى عنهم .

وتضلّع من العلم والتحصيل ، وبلغ فيهما منزلة رفيعة ، يقول ابو الطيّب

---

(١) معجم الادباء ٧/٣٠٠ ، ياقوت ، مرجليوث ط ٢، مطبعة هندية ، مصر .
(٢) نزهة الالباء ١٢٣ ، ابو البركات الانباري ، تحقيق ابراهيم السامرائي بغداد ١٩٥٩ م

اللغوي : « وانتهى علم الكوفيين الى أبي يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب » (٣) .

ويشهد الأخير بعلوّ مكانة ابن السكّيت ، ورفيع منزلته حيث يقول : « أجمع اصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أحدٌ أعلم باللغة من ابن السكّيت » (٤) .

وقادته شهرته الى تأديب أولاد الخليفة المتوكل ، لكن تلك المهمة كانت وبَالاً عليه ، حيث انتهت به الى حتفه ، تاركا ثروة علمية طائلة ، متمثلة بالعديد من المؤلفات (٥) ، لعل أشهرها كتاب « اصلاح المنطق » الذي نحن بصدده ، ذلك أن غير واحد من المترجمين والمؤرخين عرّفوا يعقوب به ، فقالوا : « صاحب كتاب اصلاح المنطق » (٦) ويعد « الاصلاح » من أشهر كتب اللغة وأجودها بشهادة العلماء ، قال فيه المبرّد :

« ما رأيت للبغداديين كتاباً خيراً من كتاب يعقوب بن السكّيت في المنطق » (٧) .

وروى ابن خلكان عن بعض العلماء قوله :

« ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل إصلاح المنطق » (٨) .

---

(٣) مراتب النحويين ١٥١ ، ابو الطيب اللغوي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٧٤ م .
(٤) إنباه الرواه ٤/٥٦ ، القفطي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ١٩٧٣ م .
(٥) عد له الدكتور رمضان عبد التواب في مقدمة تحقيقه كتاب « الحروف » المترجم اكثر من ستين كتاباً . انظر : الحروف لابن السكيت ، مقدمة المحقق ١٧ — ٢٦ .
(٦) انباه الرواة ٤/٥٠ ، وانظر الحروف ، المقدمة ١٨ .
(٧) نزهة الالباء ١٢٤ .
(٨) وفيات الاعيان ٦/٤٠٠ ، ابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧١ م .

وبالنظر الى مزايا الكتاب صار محط أنظار المتخصّصين ، وموضع اهتمامهم وعنايتهم ، يقول حاجي خليفة فيه :

« وهو من الكتب المختصرة الممتعة في الادب ، ولذلك تلاعب الادباء بأنواع من التصرّفات فيه ، فشرحه ابو العباس أحمد بن محمد المرُيسي المتوفى في حدود ٤٦٠ هـ ، وزاد ألفاظاً في الغريب ، وأبو منصور محمد بن أحمد الازهري الهروي المتوفى ٣٧٠ هـ . وشرح ابياته ابو محمد يوسف بن الحسن ابن السيرافي النحوي المتوفى ٣٨٥ هـ ورتّبه أبو البقاء عبدالله بن الحسن العكبري المتوفى سنة ٦١٦ هـ على الحروف . وهذّبه ابو علي الحسن بن المظفر النيسابوري الضرير المتوفى سنة ٤٤٢ هـ ، والشيخ أبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي المتوفى ٥٠٢ هـ ، وسماه : التهذيب .... » (٩) الى غير أولئك ممن تناولوه من جوانب أخَر .

إنّ ما يُهمنا في النص السابق هو ذكر ابن السيرافي في جملة من عنُوا باصلاح المنطق ، وألّفوا في جانب من جوانبه ، ألا وهو شرح أبياته .

أما ابن السيرافي فهو أبو محمد يوسف بن الحسن ، أبوه هو الحسن بن عبدالله السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) النحوي المشهور ، وأبرع من شرح كتاب سيبويه .

ولد ابو محمد في بغداد سنة ٣٣٠ هـ ، ونشأ في كنف والده ، ولم يكن في مستهل حياته متجها نحو الدراسة ولا منقطعاً إليها ، بل كان سمّانا ، إلاّ أن حادثة معيّنة وقعت بحضوره في مجلس أبيه غيّرت مجرى حياته ، فترك من ساعته بيع السمن « واشتغل بالعلم الى أن برع فيه ، وبلغ الغاية ، فعمل شرح شواهد إصلاح المنطق ، قال ابو العلاء المعري : وحدّثني من رآه وبين يديه اربعمئة ديوان وهو يعمل هذا الكتاب »)(١٠) .

(٩) كشف الظنون ١٠٨ ، حاجي خليفة . استنبول ١٩٤١ م .

(١٠) وفيات الاعيان ٧٣/٧ .

ولست هنا بصدد إبراز أهمية كتاب ابن السيرافي وتعداد الفوائد التي قدّمها للاصلاح ، لان تلك الامور كنت بيّنتها مفصّلة في دراستي هذا الكتاب الذي قمت بتحقيقه .

إن ما يعنيني هنا إبراز أهمية جانب واحد مما قدّمه شرح الأبيات للاصلاح ، ألا وهو تقويم مواضع كثيرة في الاصلاح المطبوع المحقّق ، تلك المواضع بعضها أغلاط مطبعية ، وبعضها من أوهام النّسّخ ، وقسم يرجع الى مؤلف الاصلاح نفسه ، وقسم آخر يعود الى المُحقّق ، وهي أمور لا تيسّر معرفتها ، ولا يُتَنَبّهُ لها لولا كتاب ابن السيرافي ونذكر فيما يأتي تلك التصحيحات .

أ — تصحيح الاغلاط المطبعية :

طبعة الاصلاح المعتمدة في هذا البحث هي الثالثة ، التي أراد لها المحققان الفاضلان أن تكون الاجود ، بيد أنها خرجت وهي محتاجة الى ما سأورده من تصحيحات لاسيما خلو الطبعة من قائمة بتصحيح أوهام الطباعة الامر الذي يجعل إيراد هذه التصحيحات ضرورياً .

١ — جاء في الاصلاح (ص ١٨٢) البيت الآتي :

أقامتْ به حَدَّ الربيع وجارُهــــا أخو سَلْوة مَشّى به الليل أملحُ

وردت كلمة « مَشّى » بالشين كما ترى ، وليست كذلك ، وصوابها : « مسّى » بالسين كما في الطبعة الثانية من الاصلاح نفسه (ص ١٨٢) ، ويؤكده ما نص عليه ابن السيرافي قال :

« وقوله : مسّى به الليل ، يريد أنه يجيء مع المساء لانه يسقط بالليل »(١١)

٢ — وجاء فيه (ص ٢٤٣) بيت ابن احمر :

وتواهقت أخفافهــا طبَقــاً والظل لم يفضل ولم يكــر

(١١) شرح أبيات أصلاح المنطق — قسم التحقيق — ص ٢٨٥ الشاهد ٣٩٥ (مل الالة الكاتبة)

وردت « أخفاقها » بالقاف ، وصوابها « أخفافُها » بالفاء .

٣ — وجاء فيه (ص ٢٤٥) ثلاثة أشطار من الرجز ، أولها :

يُلْحِنُ من أصواتِ حادٍ شَيْظَمِ

ووردت الكلمة الاولى بضم الياء وسكون اللام وكسر الحاء كأنها مضارع : ألحَن . والصواب : يُلحْن (١٣) بضم الياء وكسر اللام وسكون الحاء مضارع : ألاحَ ، يُقال : ألاح : يُليحُ إلاحةً ، اذا أشفق كما ورد في الشاهد الذي قبله من الصحيفة نفسها .

٤ — وفيه (ص ٢٤٦) ورد قول الكميت :

ولا يصادفن سِرْباً آجنا أبداً . . . .

والصواب : شِرباً بالشين (١٤) .

٥ — وجاء فيه (ص ٢٦٤) عجز بيت لامرئ القيس بالصورة الآتية :

. . . . بلائق خُضراً ماؤهــن قليص

وصوابه : بلاثق (١٥) بالثاء ، كما في الصحيفة ذاتها من طبعة الاصلاح الثانية .

٦ — وجاء فيه (٣١٠) الشاهد الآتي :

تعرف في أوجهها البشائر

آسان كــل أفقٍ مشاجر

---

(١٢) انظر الاصلاح ط ٢ ص ٢٤٣ تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٥٦ ، والجمهرة لابن دريد ٣٠٧/١ تحقيق كرنكو وزميله . حيدر آباد ١٣٤٤ واللسان : وهق ، كرا .

(١٣) انظر : شرح ابيات الاصلاح ٣٥٠ ، ٣٥١ الشاهدين ٤٩٠ ، ٤٩١ .

(١٤) انظر الاصلاح ط ٢ ٢٤٦ ، وشرح ابيات الاصلاح ٣٥٢

وضُبِطت كلمة (أُفِق) بضم الهمزة وكسر الفاء ، والصواب (آفِق) (١٦) على زنة فاعل . كما في الطبعة الثانية

٧ – وفيه : (٣٦٥) وإذا نسبت الى العِضاه قلب عضاهيّ » .

والصواب : . . . قلت عِضاهيٌّ (١٧) :

٨ – وجاء فيه (ص ٤٣١) : « وسمعت نَغْيَةً من كذا وكذا ، أي شيئاً من خير » .

والصواب : أي شيئاً من خبر (١٨) بالباء .

ب – تصحيح أوهام النسخ :

١ – جاء في الاصلاح (٤١) :

« والنفش : أن تنتشر الابل بالليل فترعى ، وقد أنفشتها اذا ارسلتَها بالليل ترعى بلا راع ، وهي إبل نُفّاش ، قال الله عز وجل : « إذ نفشت فيه غنم القوم » . وقال الراجز :

أجْرِسْ لها يابن أبي كِباش » وتنتهي المادة :

ويلاحظ أن البيت الشاهد خال من موضع الاستشهاد ، فليس فيه كلمة تتصل بالمادة اللغوية التي سبقته ، بيد أن شرح ابن السيرافي يسد النقص بان يورد أربعة أبيات أولها البيت السابق ، والثاني هو :

فما لها الليلة مِنْ إنفاش .... » (١٩)

---

(١٥) البلائق : المياه الكثيرة . (١٦) الآفق : البارع التام .
(١٧) انظر شرح أبيات الاصلاح ٤٧٧ ، الشاهد ٧٠١ .
(١٨) المصدر السابق ٥٢٧ الشاهد ٨٠٤ .
(١٩) انظر : يوسف بن السيرافي وآثاره اللغوية والنحوية محمد صالح التكريتي قسم الدراسة ١٠٧ (على الآلة الكاتبة)

وهذا هو الشاهد ، لكن النساخ اسقطوه ، فلم يظهر في المطبوع .

٢ — وجاء فيه (٥٢) :

« والعَبَل : هدَب الأرطى اذا غلظ في القيظ ، واحمر ، وصلح أن يُدْبَغ به ، يُقال : قد أعبل الأرْطى ، قال ذو الرمة :

اذا غابت الشمسُ اتّقى صَقَراتِهـا   بأفنانِ مربوع الصَّريمة مُعْبِلِ »

ويبدو ان معنى البيت يناقضُ بعضه بعضاً ذلك أن الشمس اذا غابت لا يكون لها صقرات ، ولا يُحتاج الى اتقاء شدة حرها بالغصون ، إن اللبس حاصل من وهم في اول البيت ، وصوابه كما اورده الشارح ، قال :

« اذا ذابت الشمس اتّقى صقراتها   . . . .

ذابت الشمس : اشتد حرّها ، ويُقال : ذاب لعاب الشمس ، وذلك في أشد ما يكون الحر ، يكون في الشمس مثل اللعاب ، وقال :

وذاب للشمس لعاب فنزلْ .... » (٢٠)

٣ — وجاء فيه (٥٤) :

« والقَرَنُ أيضا : الحَبْل يُقْرَن به البعير المقرون بآخر ، قال الشاعر :

. . . .   رغا قَرَنٌ منها زكاس عقير »

والنص فيه اضطراب لأن القرن يراد به الحبل والشاهد ليس عليه ، والصحيح ما جاء في الشرح ، قال ابن السيرافي :

« قال يعقوب : القَرَنُ : البعير المقرون بآخر ، وأنشد للاعور النبهاني :

أقول لها أمي سايطا بأرضهـــا   فبئس مناخ النازليـن جـريـر

فلو عند غسان السَّليطيّ عرّســت   رغا قرن منها وكاس عقير » (٢١)

---

(٢٠) المصدر السابق ١٠٨

(٢١) انظر : يوسف بن السيرافي وآثاره ١٠٨ ، وشرح الشاهد ١٣٨ .

٤ ـ وجاء فيه (٢٤٨) :

« ويُقال : قد أرهنتُ لهم الطعام والشراب إذا أدمتَه ، ويُقال : رهنتُه أيضاً ، اذا أدمتَه لهم ، وهو طعام راهنٌ ، رواه عن أبي عمرو ، وأنشد للأعشى :

لا يستفيقون منها وهي راهنة إلا بهات وإن علّوا وإن نَهلوا »

والنص السابق فيه تحريف في أكثر من موضع ، وهو عند ابن السيرافي كالآتي : « قال يعقوب : قد أرهنتُ لهم الطعام والشراب ، اذا أدمته لهم ، وقد أرهيتُه أيضاً عن أبي عبيدة إذا أدمتَه ، وهو طعامٌ راهنٌ وراهٍ عن أبي عَمرو ، وأنشد للأعشى » (٢٢)

[البيت]

ونص الشارح أتم وأضبط ذلك أنه صَحّح التحريف في النص الاول وهو : رَهَنتُه ، والصواب : أرهَيته ، وقوله : وهو طعام راهن رواه عن أبي عمرو ، والصواب طعام راهن وراهٍ عن أبي عمرو . .

ويؤكد صحة نص ابن السيرافي ما رواه الجوهري ، قال في مادة ، رها : « وأرْهَيتُ لهم الطعام والشراب إذا أدمتَه لهم ، حكاه يعقوب ، مثل أرهنت ، وهو طعامٌ راهن وراهٍ عن أبي عمرو أي دائم . وأنشد للأعشى :

لا يستفيقون منها وهي راهية [البيت]

ويروى : راهنة ، يعني الخمر » (٢٣) .

(٢٢) شرح أبيات اصلاح المنطق ٣٥٦ ، الشاهد ٥٠١

(٢٣) الصحاح ٦/٢٢٦٦ . وانظر : اللسان : رها .

٥ — وجاء فيه (٢٨٦) :

« وتقول في المثل : « تسمعُ بالمُعَيديّ لا أن تراه » (٢٤) وهو تصغير مَعَدّيّ ، إلاّ أنه إذا اجتمعت الياء الشديدة في الحرف ، وتشديدة ياء النسبة خُفّـِف الحرف المشدد مع ياء التصغير » .

وجاء نص يعقوب السابق في اللسان بالشكل الآتي :

« . . . وقال ابن السكّيت : هو تصغير مَعَدّيّ إلاّ أنه اذا اجتمعت تشديدة الحرف وتشديدة ياء النسبة خُفّفَت ياء النسبة » (٢٥) .

ويُفهم من نص الاصلاح أن في معدّيّ ياءينِ مُشَدّدتين .

ويفهم من نص اللسان ان المخفف ياء النسبة في معدّيّ .

وليس الامر كما ورد في ذينك النصّين ، فلنقرأ النص كما ورد عند ابن السيرافي :

« قال يعقوب : وتقول في المثل .... ، وهو تصغير مَعَدّيّ ، إلا أنه اذا اجتمعت التشديدة في الحرف ، وتشديدة ياء النسبة مع ياء التصغير خُفّفَت التشديدة » (٢٦) .

هذا هو الصواب ، لان الدال المشددة في معدّيّ هي المقصودة بالتشديدة في الحرف ، اجتمعت هي وياء النسبة مع ياء التصغير ، فَخُفّفَت ، أعني الدال المشددة ، فصارت : مُعَيديّ .

٦ — وجاء فيه (٣٥٧) :

---

(٢٤) المثل في جمهرة الامثال ١/٢٦٦لابي هلال العسكري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٧٣ م والمستقصى في امثال العرب ١/٢٧٠ للزمخشري ، حيدر آباد ١٣٨١ هـ ومجمع الامثال ١/١٢٩ ، للميداني تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مصر ١٣٧٩ هـ

(٢٥) اللسان : معد .

(٢٦) شرح أبيات الاصلاح ٤١٢ ، الشاهد ٥٨٧

« والطريقة أطول ما يكون من النخل بلغة اليمامة ، والجمع طرائق ؛ قال الأعشى :

طريق وجبارٌ رِواءُ أصولــــه عليه أبابيل من الطير تنعب »

والشاهد لا ينسجم والمادة اللغوية التي سبقته ، فليس فيه موضع استشهاد ، مما يدل على وجودهم فيه ، وإنه اكذلك ، وهذا نص ابن السيرافي يُصححه ، قال :

« قال يعقوب : الطريقة .... والجمع طريق ، قال الاعشى [البيت]»(٢٧)

ويؤكده ورود (طريق) في الشاهد ، وورود النص عند الجوهري ، قال « قال ابو عمرو : الطريقة أطول ما يكون من النخل بلغة اليمامة ، حكاها عن يعقوب والجمع : طريقٌ ، قال الاعشى » (٢٨) البيت .

٧ ــ وجاء فيه (٣٥٩) بيت لأبي ذؤيب بالصورة الآتية :

يراني ناصحاً فيما بدا وإذا خــلا فذلك سكين على الحلق حاذق

وأول الصدر فيه انكسار الوزن ، والصواب : يُرى ناصحاً ... كما رواه ابن السيرافي وغيره (٢٩) .

٨ ــ وجاء فيه (٤٠٦) :

« وافعل بَحداثة ذلك الامر ، وبرُبّان ذلك الامر ... »

وعبارة (بحداثة) ليست صوابا ، يُصحّحها نص ابن السيرافي ،

---

(٢٧) المصدر السابق ٤٦٩ ، الشاهد ٦٨٥ .

(٢٨) الصحاح ١٥١٢/٤ . طرق . تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي بمصر.

(٢٩) انظر : شرح أبيات الاصلاح ٤٧١ الشاهد ٦٨٨ ، وديوان أبي ذويب ٢١ نشر يوسف هل هانوفر ١٩٢٦ م .
وشرح أشعار الهذليين ١٥٦ السكري تحقيق عبد الستار احمد فراج ، القاهرة ١٣٨٤ هـ والاشتقاق لابن دريد ١٦٩ تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٨ م واللسان : سكن

وهو : « قال يعقوب : افعَلْ ذلك بِحِدْثان ذلك الامر وبِرُبّابه .... » (٣٠).

ويؤيده ما اورده الجوهري ، قال :

« ابن السكّيت ، يُقال : افعَلْ ذلك الامر برُبّانه – مضمومة الراء – أي بِحِدْثانه وجِدَّتِهِ وطراءتِهِ ... » (٣١) .

ج – تصحيح الرواية

١ – جاء في الاصلاح (٢٣٢) :

« ويُقال : ما أنقرّ عنه ، أي ما أقلع عنه ... قال الشاعر :

. . . . وما أنا عن أعداء قومي بِمُنْقِرِ »

وأورد الشارح المادة السابقة وشاهدها ، ثم قال :

« وهذا البيت أنشده أبو زيد لذؤيب بن زنيم الطهوي :

لَعمرُكَ ما ونَيتُ في وُدّ طيّء وما أنا عن شيء عناني بِمُنْقِرِ »(٣٢)

٢ – وجاء فيه (٢٤٧) :

« قد أسْجد الرجل والبعير إذا طأطأ رأسه ، وانحنى ، قال حميد بن ثور :

فضولَ أزِمّتِهـا أسْجَدَتْ سجود النصارى لأربابها » (٣٣)

وعقّب الشارح على البيت السابق بقوله :

« كذا أنشده : لأربابها بالباء ، والقصيدة رائية ، وقبل هذا البيت :

---

(٣٠) شرح أبيات الاصلاح ٥١٨ ، الشاهد ٧٨٠ .

(٣١) الصحاح ١٣١/١ : ربب

(٣٢) شرح أبيات الاصلاح ٣٣٠ الشاهد ٤٦٣ ، وانظر : نوادر ابي زيد ١١٩ تحقيق سعيد الشرتوني ، بيروت ١٣٨٧ هـ ،واللسان : نقر

(٣٣) عل هذه الرواية في الصاحبي ٤٦ ، ابن فارس المكتبة السلفية ، القاهرة ١٣٢٨ هـ

فلما لوين على معتصم وكفّ خضيب وأسوارها
فضول أزمتها أسجدت سجود النصارى لأحبارها(٣٤)

هذا هو الرواية . وهذا سهوٌ وقع منه عند الانشاد » (٣٥) .

٣ — وجاء فيه (٣٠٨) :

« وقد أتهم القومُ ، اذا أتوا تهامة ، قال العبدي :

وإن تُتْهموا أُنْجِدْ خِلافاً عليكم وإن تُعْمِنُوا مستحقبي الحرب أعْرِق »

وأورد الشارح المادة وأعقبها ببيتين ، أولهما :

أكلّفتني أدواء قومٍ تركتُهم فإلاّ تداركْني من البحر أغْرَقِ

والثاني : الشاهد : فإن تتهموا أنجد ....

وقال بعدهما : « الذي أنشد في كتاب المنطق : فإن تُتهموا على الخطاب ، والذي في شعره :

فإن يُتْهموا أُنجِدْ خلافاً عليهم . والمعنى عليه » . (٣٦) .

٤ — وقال يعقوب (٣٩٦) :

« الفرجان : سجستان وخراسان ، قال حارثة بن بدر الغُداني :

. . . . على أحد الفرجين كان مؤمّري »

في نسبة الشاهد ، وفي روايته غلط ، صحّحه ابن السيراني ، حيث أعقب النص السابق بقوله :

« هذا البيت لأنس بن زُنيم ، وهذا الذي أنشده يعقوب بعض بيتين ، وفي هذا الانشاد فساد ، قال أنس بن زُنَيم :

(٣٤) البيتان في ديوانه ٩٦ تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٣٨٤ هـ والاقتضاب ١٨٦ لابن السيد البطليوسي ، بيروت ١٩٧٣ م

(٣٥) شرح أبيات الاصلاح ٣٥٤ ، الشاهد ٤٩٧ .

(٣٦) المصدر السابق ٤٢٨ ، الشاهد ٦١٠ .

بَعَدْتُ اترضى عن جهاد وصاحب مُواسٍ قديم الوُدّ كان مُؤَمّري
على أحد الفَرَجين ثم تركتُه وقد كنتُ في تأميره غيرَ مُمْتَري»(٣٧)

وعرّج الشارح بعد البيتين الى ذكر مناسبتهما .

وقد فصل الأصفهاني القول في مناسبة الشاهد (٣٨) ، مما يُوَثّق رواية ابن السيرافي وتصحيحه النسبة .

٥ – وجاء في الاصلاح (٤٠٧) :

« وقد جَهْجَهَ بالسَّبُع ، وقد هَجْهَجَ بالسبع ، وكل ذلك يقال ، قال لبيد :

أوذي زوائدَ لايُطافُ بأرضه يَغْشَى المُهَجْهِجَ كالذَنوبِ المُرْسَلِ»

قال الشارح بعد تفسيره البيت :

« ورأيتُه في كتاب المنطق ، وفي شعر لبيد : أوذي ، بالجر ، وقبل هذا البيت :

او كانشيءٌ خالدٌ لتَوَأّلت عصماءُ مؤلفَةٌ ضواحيَ مأسَلِ
بظلوفها ورقُ البَشام ودونَها صَعْبٌ تَزِلُّ سَراتُه بالأجْدَلِ
أو ذي زوائدَ لايُطاف بارضه يغشى المُهَجْهِجَ كالذَنوبِ المُرسَلِ

وعندي أنه ينبغي ان يكون : أو ذو عطفا على عصماء ، يقول : لو كان شيءٌ ناجياً لنجت عصماء أو ذو زوائد ، ولا يجوز أن يُعطفُ على الاجدل لفساد المعنى » (٣٩) .

---

(٣٧) شرح أبيات الاصلاح ٥٠٣ الشاهد ٧٥٢ .
(٣٨) انظر : الاغاني ١٥/٢١ – ١٦ ، ابو الفرج الاصفهاني ، تصحيح الشنقيطي ، مطبعة التقدم ، مصر ١٩٠٥ م
(٣٩) شرح أبيات الاصلاح ٥١٨ – ٥١٩ الشاهد ٧٨٢ .

وجدير بالذكر ان رواية الاصلاح : أو ذي ، بالجر ، كما ذكر الشارح ، ويبدو أن الرواية صُحِّحت بعد ابن السيرافي ، فقد وردت على الصحة في اكثر من موضع (٤٠) .

د ــ تصحيح النسبة

١ ــ جاء في الاصلاح (١٥٣) :

« .... يُقال : قد زَنَأ : يَزْنأ زَنْأً اذا صَعِد في الجبل ... قالت امرأة من العرب وهي تُرَقِّصُ بنيًا لها :

أشبهْ أبا أمِّكَ أو أشبه عَمَل » [الأبيات] .

وصَحّح ابن السيرافي نسبة الأبيات ، قال :

« ذكر يعقوب أنه لامرأة ، وإنما هو لرجل رأى ابنا له ترقصه أمُّه ، فأخذه من يدها ، وقال : أشبه أبا أمّك . يخاطب ابنه ، وكان أبو أمّه شريفا سيّدا ، يقول : أشبه أبا أمّك أو اشبه عملي . والرجل هو قيس بن عاصم المنقري ، وكان أخذ صبيًا يرقصه وأمّ ذلك الصبيّ منفوسة بنت زيد الفوارس ابن حصن بن ضرار الضبيّ ، فجعل قيس يقول :

أشبه أبا أملك ... » (٤١) .

٢ ــ واورد صاحب الاصلاح (٢٧٣) عجز بيت لعبدة بن الطبيب وهو :

. . . . عن قانىءٍ لم تخرِّنْه الأحـــاليل»

وروى ابن السيرافي البيت كاملا ، وهو :

تُمِرّ مِثلَ عسيب النخل ذا خُصَلٍ عـــن قانئٍ . . . .

---

(٤٠) ورد البيت بالتصحيح ، أو ذر زوائد في شرح ديوان لبيد ٢٧٢ تحقيق احسان عباس الكويت ١٩٦٢ م وحماسة البحتري ١١٨ ، تحقيق كمال مصطفى ، مصر ١٩٢٩ م واللسان : هجهج .

(٤١) شرح أبيات الاصلاح ٢٥٤ الشاهد ٢٤٤ ، وانظر : نوادر ابي زيد ٩٢ . واللسان : زنأ .

وفسّره ، ثم قال :

« وأنشده يعقوب لعبدة ، وهو لكعب بن زهير » (٤٢) .

والصحيح نسبته الى كعب كما ذكر صاحبنا ، فالبيت في ديوانه ، وهو الثاني والعشرون من قصيدته المشهورة في مدح الرسول (ص) ، وهي بانت سعاد (٤٣) .

هـ ــ إكمال النقص في التحقيق

١ ــ جاء في الاصلاح (٤٩) :

« والنَّقَدُ : أكلٌ في الضِّرْس ، ويكون في القرْن أيضا » واستشهد له يعقوب ببيت صخر الغي الهذلي :

تيسُ تُيُوسٍ إذا يناطحُها ــــــ يألم قرْنا أرومُه نَقِــــــد

وضُبطت كلمة (تيسُ) بالرفع في الاصلاح ، وضبطها الشارح بالنصب وقال بَعد تفسير البيت :

« تيسَ تُيوسٍ منصوب على الذم ، وقبل هذا البيت :

في المُزنيّ الذي حَشَشْتُ بــــه ــــ مالَ ضريك تِلادُه نَكِد (٤٤)

وكانَ قتل رجلا من مزينة ، فلامه قومه ، فقال قصيدة يهجو فيها المزنيّ » (٤٥) ويبدو أنه لم يرجع الى المعجم في ضبط الشاهد ، فالكلمة مقيّدة بالنصب عند الجوهري ، وقال بعد البيت :

---

(٤٢) شرح أبيات الاصلاح ٣٩٩ ، الشاهد ٥٦٤ .

(٤٣) ديوان كعب بن زهير ١٣ مصور عن طبعة دار الكتب ، نشر الدار القومية القاهرة ١٣٨٥ هـ ، وانظر : اللسان : حلل .

(٤٤) يقال : حششت ماله بمال فلان اي كثرت به . الضريك : الفقر الجائع . التلاد : المال القديم الموروث عن الآباء . النكد والنكد والنكد : الشؤم والشوم وكل شيء جر على صاحبه شراً فهو نكد . انظر : اللسان : حشش . ضرك . تلد . نكد .

(٤٥) شرح أبيات الاصلاح ٩٩ الشاهد ١١٩

« ونصبَ تيسَ على الذم » (٤٦) وهو ما نص عليه ابن منظور أيضاً (٤٧) .

٢ ـ وجاء فيه (٢١٤) :

« ويُقال : سَرِيَ الرجل يسرى ، ولا : يسرو ، وسَرُوَ : يسرو كله غير مهموز ، قال :

. . . . وابن السُّرَى اذا سرَى أسراهما »

أورد يعقوب عجز البيت ، وضُبطت (السُّرى) في المطبوع بضم السين المشددة . وعليه يكون البيت من الرجز ، ويؤيد ذلك ان المحقق اورد الشاهد في فهرس الرجز (٤٨) .

أما عند ابن السيرافي فقد ورد البيت بتمامه ، وهو :

إنّ السَّرِيَّ هو السَّرِيُّ بنفســه   وابن السَّرِيِّ اذا سرى أسراهما(٤٩)

فالصواب إذن : وابن السَّرِيِّ بفتح السين المشددة وكسر الراء وتشديد الياء ، وعليه يكون البيت من البحر الكامل لا الرجز ، وصدره يثبت ذلك .

٣ ـ واستشهد يعقوب (٢٣٢) لقولهم : أداله : يأدو له أدواً اذا ختله بالبيت الآتي :

أدوتُ لــه لآخــذه   فهيهــاتَ الفتــى حَذَرَا

وقال بعد البيت : « نصبه على الحال » .

وضُبطت الكلمة الاخيرة في البيت (حَذَراً) بفتح الذال ، على المصدرية وليس الامر كذلك ، لان المراد الوصف .

وضُبطت عند ابن السيرافي بضم الذال (حَذُرا) قال :

---

(٤٦) الصحاح ١٨٦٠/٥ : أرم .
(٤٧) اللسان ٢٨٠/١٤ أرم .
(٤٨) انظر : اصلاح المنطق ٥١٢ .
(٤٩) شرح أبيات الاصلاح ٣١٤ ، الشاهد ٤٤٢ .

« هذا البيت أنشده يعقوب بنصب حذُرا ، وعلى ذلك أنشده جماعة من اهل اللغة والرواة ، وأنشده المفضل بن سلمة :

فهيهات الفتى حذرٌ

وحكاه عن الاصمعي ، وحكي عن أبي زيد النصب : حذُراً ، نصبٌ على الحال ، والعامل فيها : هيهات » (٥٠) .

هذا بضم الذال وضُبط عند القالي (٥١) والجوهري وصاحب السمط (٥٢) بكسر الذال . قال الجوهري بعد البيت :

« ونَصَب (حذِراً) بفعل مضمر ، اي لايزال حذِراً ، ويجوز نصبه على الحال ، لان الكلام قد تم بقوله : هيهات ، كأنه قال : بَعُد عنّي وهو حذِرٌ » (٥٣) .

وضُبط في اللسان بكسر الذال أيضاً ، فمن أين جاءت فتحة الذال في الاصلاح المطبوع ؟ ولماذا الفتحة ؟ الضمّ والكسر كلاهما صواب . قال ابن منظور : « ورجل حذِرٌ وحذُرٌ ... متيقّظ شديد الحذر والفزع » (٥٤) .

٤ — وجاء فيه (٢٧٣) :

« جاء في الحديث : « كان رسول الله (ص) يَتَخوّلُنا بالموعظة » أي يُصلحنا بها ، ويقومُ علينا بها ، وكان الاصمعي يقول : يتخوّلُنا اي يتعهّدنا » .

وآخر النص عند الشارح : « .... وكان الاصمعي يقول : فلان

(٥٠) المصدر السابق ٣٣١ ، الشاهد ، ٤٦٤

(٥١) الأمالي ٢٧٤/٢ ، دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ (٥٢) سمط اللآلي ٣٦٩ ، ٩١٤ ، أبو عبيد البكري تحقيق عبد العزيز الميمني ، لجنة التأليف والترجمة ١٣٥٤هـ.

(٥٣) الصحاح ٢٢٦٥/٦ : أذا .

(٥٤) اللسان ٢٤٨/٥ : حذر .

يتَخوّنُنا » (٥٥) . بنونين ، ويبدو أن مجيء الفعل في الحديث باللام كان السبب في ايراد قول الاصمعي باللام أيضاً . لكن الذي يؤيد صحة رواية ابن السيرافي ما ذكره الجوهري قال :

« ... والتخوّلُ : التعهّد ، وفي الحديث (كان النبي (ص) يتخوّلُنا بالموعظة مخافة السّآمة ، وكان الاصمعي يقول : « يتخوّننا » بالنون ، اي يتعهّدُنا » (٥٦) ونجد الاخير قد نص على النون دفعا لما يُتَوَهّم انه باللام مثل ما حصل في الاصلاح المطبوع .

٥ — وجاء فيه (٢٩١) :

« وتقول للرجل اذا استزدته من حديث أو عمل : إيه ... فاذا أسكتّهُ وكففتَه قلت : إيهاً عنا ، فاذا أغويته بالشيء قلت : وَيْها يا فلان » . وأورد يعقوب شواهد على ذلك منها :

وهو إذا قيل اه وَيهاً قُل

فانني أحجوبه أن يَنْكل

وفيما سبق تصحيفان احدهما في نص يعقوب ، والاخر في البيت الاول اما النص ففيه : فاذا أغويته بالشيء . . . والصواب فاذا أغريته (٥٧) وفرق بين الاغواء والاغراء .

واما الشاهد ففيه ... قيل له ويها قُل . والصواب : ويهاً فُل بالفاء ،

---

(٥٥) شرح أبيات الاصلاح ٣٩٧ .

(٥٦) الصحاح ١٦٩٠/٤ : خول .

(٥٧) قال ابن السيرافي نقلا عن يعقوب :
«وتقول اذا أغريته بالشيء : ويهاً يافلان . . . » شرح ابيات الاصلاح ٤٢١ ويعززه قول الجوهري : « . . . وإذا أغريت إنساناً بشيء قلت : ويهاً يافلان » الصحاح ٢٢٥٧/٦ : ويه ، وانظر اللسان ٤٦٠/١٧ : ويه .

(٥٨) شرح أبيات الاصلاح ٤٢٢ الشاهد ٦٠٢ وانظر : الصحاح واللسان السابقين .

قال ابن السيرافي : « ... وقوله : فُل : يريد يافلان وحذف حرف النداء ، والعرب تجعل في النداء خاصة فل موضع يا فلان ... » (٥٨) .

٦ ـ وجاء فيه (٣٦٠) :

« والعسل يذكر ويؤنث ، قال الشماخ :

كأنّ عيون الناظرين تشوفها بها عَسَلٌ طابت يدا من يشورها

قوله : بها يعني بالمرأة ، أي تشوفها العيون »

وعبارة (تشوفها) في البيت وبعده تصحيف ، والصواب : تشوقها بالقاف في الموضعين ، قال ابن السيرافي :

« والمعنى : كان عيون الناظرين الى هذه المرأة تشوقها عَسَلٌ ، فهذه المرأة تشوق عيون الناظرين لينظروا إليها ... » (٥٩) .

وعلى الصحة ورد البيت في مصادر تخريجه (٦٠) .

وبعد : فرب سائل يسأل : لِمَ تُنشر مثل هذه التصحيحات ، وما قيمتها ؟ فنجيب :

ننشرها لأهمية إصلاح المنطق اللغوية ، فهو من أمّات كتب اللغة ، ونواة المعجم العربي ، ولانه محقق على أربعة اصول قيّمة من قبل اثنين من روّاد التحقيق وعلمائه المعاصرين هما الاستاذان عبدالسلام محمد هارون واحمد محمد شاكر .

وطبيعي أنهما لم يألوا جهداً في تصحيحه ، وضبطه وتنقيحه ، لكنه على الرغم مما بذلاه ــ مشكورين ــ من جهد ، يظل الكتاب في حاجة الى ما قدمنا من تصحيحات . آملين أن يُفاد منها في المستقبل .

---

(٥٩) شرح أبيات الاصلاح ٤٧٢ ، الشاهد ٦٩١ .

(٦٠) انظر : ديوان الشماخ ١٦٣ تحقيق صلاح الدين الهادي ، دارالمعارف بمصر ١٩٦٨ م والمحكم ٣٠١/١ ، واللسان : عسل .

مفهوم البلاغة
لغة واصطلاحاً

الدكتور محمد جابر فياض

كلية الاداب ـ جامعة بغداد

المقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يبدو الموضوع معاداً مكروراً ، لاكته الالسن حتى عافته ، وملت به الاسماع حتى مجته ، وهو كذلك حقاً وصدقاً ، فقد تناوله اللغويون الأوائل منذ شرعوا في جمع مواد اللغة ومفرداتها ، وبذلوا مابذلوه في إيضاح دلالاتها ، وأربى اللاحق منهم على ماذكره السابق ، حتى لم تعد هناك زيادة لمستزيد .

وعني البلغاء بها عناية اللغويين واكثر ، فلم يكتفوا بايضاح دلالة البلاغة في العربية ، وانما ذكرا ماعرفوه عنها في غيرها من اللغات. وما نقله الجاحظ من سؤالهم الفارسي ، واليوناني ، والرومي والهندي عما تعنيه البلاغة عندهم خير ما يمثل هذه العناية .

كيف لا يعنى البلغاء والبلاغيون بها مثل هذه العناية ، وهي بذرة البحث البلاغي ، والاساس الذي يستند اليه ، فلا غرابة ان قيلت فيها اقوال وأقوال على تعاقب الازمان والاجيال ، حتى استوت علوم البلاغة ، واستقرت مصطلحاتهـا عند متأخري البلاغيين ، الذين ورثوا التراث البلاغي ، وخلفوه لنا بعد أن أشبعوه بحثاً وتدقيقاً ، وانتهوا به الى ما انتهوا من كثرة موضوعاته وتنوعها ، والافتنان بتفريع فروعها ، وشغف بحدودها وتعريفاتها ، واشارت الى اصولها اللغوية ،

وتنافس في اختصار موادها ، وشرحها ، والتعليق عليها ، وتدوين الحواشي على تلك الشروح والتعليقات وبذل مابذل من جهد ووقت في ذلك كله .

وجاء العصر الحديث ، فاكتفى اكثر المحدثين والمعاصرين من المعنيين بالبلاغة والتأليف المدرسي فيها ، بأخذ هذا الذي انتهى اليـه اولئك المتأخرون لغـة واصطلاحا ، ومنهم من عرج على لسان العرب لابن منظور ، ليأخذ منه مايوثق به الدلالة اللغوية التي ذكرها لهذا المصطلح او ذاك ، لكونه موسوعة ضمت خمسة من المعاجم اللغوية الكبيرة التي سبقته . وتهيأ لهم أنهم بهذا قد احاطوا علمـا بدلالتي المصطلح : اللغوية والاصطلاحية ، مادامو قد وقفوا على آخر ما انتهت اليه اللغة والبلاغة في دلالتيه . وفاتهم أن أولئك البلاغيين كانوا قد نبهونا الى أن البلاغة لم تنضج ، ولم تحترق ، خلافا لاكثر فروع العربية ، التي تتم على ايديهم نضجها واحتراقها ، فكأنهم بهذا قـد حملونا أمانة النظر فيما قالوه فيها ، وانضاجه بالبحث والدراسة ، وتلافيماينقصها مما لم يهتدوا اليه ، أو يقولوا فيه .

كما فاتهم أن في غير اللسان من المعاجم ماليس فيه ، وان العربية لغة اشتقاقية ، تتألف من أسر اومواد لغوية ، ومعرفة اللفظ المفرد فيها لاتزيد على معرفة فرد من الافراد في اسرة من الاسر ، لاتعد شيئا اذا ماقيست بمعرفته ، ومعرفة الاسرة كلها بجميع افرادها . ومن المعاصرين من ساير المصطلح ، ووقف على دلالاته ، وماقيل فيها ، وجمع النصوص الشعرية والنثرية التي ورد فيها ، مبتدئا باقدمها الى آخر ما انتهى اليه أمره ، عندما استقرت لهذه المصطلحات دلالاتها الاصطلاحية . غير ان العمول على المعاجم اللغوية ظل مقتصرا على اللسان او كاد ، في عدد غير قليل من الرسائل الجامعية التي لم تتناول مصطلح البلاغة .

ولاأريد بهذا كله ، أن أقلل من أهمية جهود الآخرين ، فالوقوف على ما انتهى اليه اولئك العلماء الاعلام ، من البلاغيين المتأخرين ، ضرورة لاغنى لنا عنها ، بعد الذي أشرنا اليه من جهودهم فيها ، تلك الجهود التي نتمنى لو

أننا جدنا على البلاغـــة ومصطلحاتها بما يقرب منها . غير أن هذا لا يعني أخذ كل ماقالوه من غير مافحص ولاتدقيق ، وكأنه بديهية من البدهيات ، أو مسلمة من المسلمات بعـــد الذي رأيناه من قولهم أن البلاغة لـــم تنضج ولم تحترق .

ومسايرة المصطلح ، والوقوف على دلالته في السياق الذي ورد فيه ، وترتيب النصوص التي تضمنته ، بحسب تسلسلها الزمني قبل أن يتخذ مصطلحا محدد الدلالة ، تلقي الضوء على تطوره الدلالي في مراحله المختلفة ، فيما تبرزه وتبرز وجهة النظر الادبية أوالفنية فيه . والبلاغة فن القول ، وصياغة الكلام ، أن تكون شيئا آخر . ولكن هذه المسايرة تفقد غيرقليل من أهميتها ، اذا ما اقتصر البحث على مجرد الجمع والترتيب ، من غير ما مفاضلة ، أو ترجيح ، أو أمساك بخيط التطور الدلالي ، الذي يربط بين دلالات المصطلح المختلفة باختلاف العصور .

فالوقوف على الدلالتين اللغوية والاصطلاحية ، أمر على غاية من الاهمية ، ولا يقل الوقوف على ما بينهما ، لكون المصطلحات البلاغية ـ كما يبدو لي ـ لم ترتجل ارتجالا ، منقطع الصلة عن معانيها اللغوية ، وانما اختيرت اختيارا ، وانتقيت انتقاء . ولاختيارها وانتقائها مبررات مقنعة ، تحسب لبلاغتنا العربية ، لاعليها . فان لم نكشف اللثام عن هذه الصلة ، ظلت الحيرة في الاذهان ، ان لم تجر على اللسان . و لئن خفيت هذه الصلة على كثير من المعنيين بالبـــلاغة ، أو بدت غير واضحة ، او مقنعة لهم ، لدرجة صارت معها موضوع أخذ ورد في بعض المجامع اللغوية . فلقد تساءل استاذي الدكتور عبد الرزاق محيي الدين عضو المجمع العراقي ورئيسه السابق — في بحث له نوقش في المجمع — عن مفهومي البلاغة والفصاحة فقال : في مقدمة مايدور في نفســي مراجعته ، هـــذان المصطلحان : كلمتا (الفصاحة) و (البلاغة) ، ماذا تعنيان ؟ وبأي شروط يتحقق مفهومها ؟ وما واقع الصلة — في حدود شروطه — بالآثار الادبية قديماً

وحديثا؟ وهل هناك احساس بالصلة بينهما، وبين الاثر الادبي عند الحكم عليه(١) ؟ وقام الزميل الدكتور أحمد مطلوب بدراسة المصطلحات البلاغية الاربعة الرئيسة: البلاغة والفصاحة والبيان والبديع في كتاب خاص بها (٢) . ولو اتضحت هذه المصطلحات وضوحا كافيا لغة واصطلاحا ، وبانت الصلات بين معانيها اللغوية والاصطلاحية لما كان من تساؤل المجمعيين ، وتأليف المؤلفين ، بعد الذي قيل فيها قديما وحديثا .

ولست ازعم أن محاولتي المتواضعة هذه ، يمكن أن توصد الباب بوجه أقوال اخرى يمكن أن تقال في البلاغة ، كما لاأزعم أنها يمكن أن تستحدث لها دلالة لغوية أو اصطلاحية جديدة ، ولكنها محاولة تنتهج منهجا آثرته على غيره ، قوامه التحقق من مادة اللفظ اللغوية كلها في المعاجم المختلفة ، لتبين صلة اللفظ بمادته ، ودلالته اللغوية ، بالدلالة الاصطلاحية .

فاهمية هذا الموضوع — عندي— لاتنحصر في ايضاح مابدا مشوبا بشيء من الغموض في دلالته، ولافي ابراز الصلة بين دلالتيه ، وانما تتجاوزهما الى ابراز المنهج الذي آثرته وأوثره ، ولا اتردد في الدعوة اليه ، في دراسة المصطلحات البلاغية كلها .

ولم تتناول المحاولة هذا المصطلح لأهميته فحسب ، وانما لأن ماقيل فيه اكثر بكثير مما قيل في غيره ، واذا اتسع مجال القول فيه ، فهو في غيره أوسع . فهي بهذا تكون قد جاءت بالمنهج مقرونا باختباره باصعب مايمكن أن يواجهه في واقعه التطبيقي ، فاذا ما ثبت فضله على ما سواه، أخذنا به ، والاعدلنا عنه — غير آسفين — الى غيره ، فلا خير في منهج مفترض ، لايأخذ طريقه الى التطبيق ، أو طبق فلم نلمس له على غيره فضلا .

---

(١) مفاهيم بلاغية .

(٢) مصطلحات بلاغية .

ولا اراني مغالياً اذا ماقلت ان اخذي به أثبت لي — في الاقل — فضله وجدواه . فنحن الى هذا اليوم نردد ما لقناه من أن البلاغة لغة من الوصول والانتهاء من بلغت المكان ، أو الزمان ، أو المقام بلوغا : اذا وصلت اليه .. وظلت الكتب البلاغية القديمة منها والحديثة ، لاترى للبلاغة أصلا لغويا ، غير دلالة البلوغ على الوصول والانتهاء ، وكأن البلاغة مجرد ايصال المعنى الى ذهن السامع أوالقارئ . واشترطت الفصاحة في الالفاظ الموصلة للمعنى في عملية ترقيع لما في هذا المفهوم من قصور عن الوفاء بدلالة البلاغة والا فالبلوغ بمعنى الوصول والانتهاء لايلزم بذاته بهذا الذي اشترط ، ومع هذا فقد ظل هذا المفهوم — بعــد اشتراط الفصاحة — قاصرا عن ان يبلــغ شأو المفهوم الاصطلاحي : « مطابقة فصيح الكلام لما يقتضيه الحال » ففي المصطلح تميز للكلام لانلمسه في المفهوم اللغوي . وبدت الصلة بين الدلالتين واهية ضعيفة ، لاننا لانعت الكلام بالبلاغة لمجرد ظهور معناه ووصوله الى ذهن السامع أو القارئ وانما ننعت بها الكلام المتميز ، الذي يبلغ من نفوسنا ما لايبلغه الكلام العادي .

ولو اننا فحصنا المــادة اللغوية فحصاً دقيقاً ، ومحصناها تمحيصا متأنيا ، لأنتهينا الى ان البلاغة — لغة — من البلوغ ، بمعنى النضج والاكتمال ، وليست من مجرد الوصول أو الانتهاء ، فالكلام البليغ : هو الكلام المكتمل البالغ ، كالبالغ من كل شيء . وبهذا نتنهي الى المطابقة التامة بين الدلالتين اللغوية والاصطلاحية ، وما ألفه الناس في حياتهــم من اطلاق البليغ على الكلام المتميز بنضجه واكتماله .

البلاغـة لغـة

ذهب ابن فارس ـ ٣٩٥ هـ محقا ـ الى القول بأن « الباء واللام والغين اصل واحد صحيح ، وهو الوصول الى الشيء . تقول : بلغت المكان ، اذا وصلت اليه ، وقد تسمى المشارفة بلوغا بحق المقاربة. قال الله تعالى : (فاذابلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف [٢ الطلاق ٦٥] . ومن هذا الباب قولهم : هو أحمق بلغ : أي انه مع حماقته يبلغ ما يريد » . والبلغة : ما تبلغ به من عيش ، كأنه يراد أنه بلغ رتبة المكثر ، اذا رضي وقنع ، وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان ، لانه يبلغ بها ما يريده » (١) .

وهكذا نص صراحة على ان المادة اللغوية كلها ترجع الى الوصول لا البلاغة وحدها .

والى مثل هذا ذهب الراغب الاصفهاني ـ ٥٠٢ هـ ، فقال :
البلوغ والبلاغ : الانتهاء الى اقصى المقصد والمنتهى ، مكانا او زمانا اوأمراً من الامور المقدرة . وربما يعبر به عن المشارفة عليه ، ان لم ينته اليه . فمن الانتهاء : بلغ أشده ، وبلغ اربعين ، وقوله عز وجل : «فاذا بلغن أجلهن فلا تعضلوهن » [٢٣٢ البقرة ٢] ، و « ماهم ببالغيه » [٥٦ غافر ٤٠]، « فلما بلغ معه السعي » [١٠٢ الصافات ٣٧] ، « لعلي أبلغ الاسباب » [٣٦ غافر ٤٠] ، «أيمان علينا بالغة » [٣٩ القلم ٦٨] : أي منتهية في التوكيد .
واما قوله عز وجل : « فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف » [٢الطلاق ٦٥] فللمشارفة ، فانها اذا انتهت الى أقصى الاجل ، لايصح للزوج مراجعتها

(١) المقاييس ـ مادة (بلغ) .

وامساكها (٢) .

والى مثل هذا ركن مجمع اللغة العربية في القاهرة حيث جاء في معجمه : بلغ الشيئ يبلغ بلوغا — من باب قعد — وصل اليه ، زمانا كان هذا الشيء أو مكانا ، أو غيرهما ، حسيا أو معنويا فهو بالغ ، وهي بالغة ، وهم بالغون .

وقد جاء في لفظ بلغ في القرآن كلمتان، يراد بهما شارف وقارب الوصول وستذكران في موضعهما . وما عدا ذلك معناه وصول اليه . (٣)

والمعاجم اللغوية مجمعة على ربط معظم مفردات المادة بالوصول أو الانتهاء وما يتصل بهما من اقدم هذه المعاجم الى احدثها — على تفاوت بينها — ولم تنفرد المعاجم الثلاثة التي ذكرتها بهذا الربط الذي اشرت اليه . ففي العين : أبلغته ابلاغا ، وبلغته تبليغا ، في الرسالة ونحوها . . . والمبالغة أن تبلغ من العمل جهدك . . (٤) .

وفي الجمهرة : «وبلّغت الرسالة تبليغا . . . ومن أمثالهم : أحمق بلغ : أي أحمق يبلغ ما يريد . والبلغة : القوت ، يتبلغ به الانسان » . (٥) .

وفي التهذيب « : . . . ويقال بلغت القوم الحديث بلاغا : اسم يقوم مقام التبليغ . . . ويقال : بلغ فلان ، اذا جهد . . . . » (٦) .

وفي الصحاح : «. . . بلغت المكان بلوغا : وصلت اليه ، وكذلك اذا شارفت عليه . . . والابلاغ : الايصال ، وكذلك التبليغ . والاسم منه البلاغ . . » (٧).

وفي الاساس: « أبلغه سلامي ، وبلغه . . . ووصل رشاءه بتبليغة : وهو حبل

(٢) المفردات — المادة ذاتها .
(٣) معجم الفاظ القرآن — مادة بلغ .
(٤) المادة ذاتها .
(٥) المادة ذاتها .
(٦) المادة ذاتها .
(٧) المادة ذاتها .

يوصل به حتى يبلغ الماء ، وهو الدرك . ولابد لأرشيتكم من تبالغ . . . » (٨) .
وفي اللسان : « . . . بلغ الشيئ يبلغ بلوغا ، وبلاغاً : وصل وانتهى ، والمغه هو ابلاغا ، وبلغه تبليغا . والبلاغ : ما يتبلغ به ، ويتوصل الى الشيئ المطلوب وبلغ الغلام : احتلم ، كأنه بلغ وقت الكتاب عليه والتكليف . . . وبلغ النبت انتهى » (٩) .

وفي القاموس: « . . . بلغ المكان بلوغا : وصل اليه، أو شارف عليه . . . وأمر الله بالغ : نافذ ، يبلغ اين يريد . وجيش بلغ كذلك ، والاسم منه الابلاغ والتبليغ ، وهما الايصال . . وتبلغ بكذا ، والمنزل : تكلف اليه البلوغ حتى بلغ . . . » (١٠) .
وفي المصباح : « وبلغ الكتاب بلاغا وبلوغا : وصل . . . وقولهم : لزم ذلك بالغا ما بلغ ، منصوب على الحال : أى مترقيا الى أعلى نهاياته ، من قولهم : بلغت المنزل : اذا وصلت اليه . . . » (١١) .

فلاشك في أن الوصول أصل أصل بارز في البلوغ ، غير انه ينبغي الا يحجب الانظار عما يحمله في طياته من بذور التفوق والتفضيل في كل ما ورد في المعاجم ذاتها من مفردات المادة اللغوية ، فالوصول يتطلب هذا التفوق ويقتضيه ، سواء كان البلوغ بلوغ مكان أوزمان ، أو أي أمر من الامور ، فالواصل أقدر من المنقطع قبل الوصول ، وأمكن منه .

ولقد فطن اللغويون الاقدمون الى هذا ، وأبرزوا دلالة المادة اللغوية عليه ، ونصوا على الجودة بالذات في مفردات المادة . وقد طالعتنا الجودة في أول معجم عربي وظلت تتردد فيما ألف بعده . حيث ابتدأ الخليل — ١٧٠ هـ — المادة

(٨) المادة ذاتها .
(٩) مادة بلغ .
(١٠) المادة ذاتها .
(١١) المادة ذاتها .

اللغوية بقوله : « رجل بلغ : بليغ ، وقد بلغ بلاغة . . . وشيء بالغ : أي جيد . » (١٢)

وقال ابن دريد ـــ ٣٢١ هـ : « وكلام بلغ وبليغ . . . وبلغ الرجل بلاغة : اذا صار بليغا . . . » (١٣)

وأخذ الازهري ـــ ٣٧٠ هـ عن المعنى وعزاه الى الليث قائلاً : « . . . قال الليث البلغ : البليـــغ من من الرجال ، وبلغ يبلغ بلوغا . . وشيء بالـــغ : أي جيد . . » (١٤)

وقول ابن فارس ـــ ٣٩٥ هـ المقدم : « . . وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان ، لانه يبلغ بها ما يريده . . . » (١٥) اعتراف صريح بالجودة ، فالبلاغة صفة مدح يمدح بها المتفوق بفصاحة اللسان،المتمكن ـــ خلافا لغيره ـــ من بلوغ ما يريد بجودة لسانه .

وقال الجوهري ـــ ٣٩٩ هـ : « . . . وشيء بالغ : أي جيد ، وقد بلغ في الجودة مبلغا . . . والبلاغة : الفصاحة . وبلغ الرجـــل بالضم : أي صار صار بليغا . . . » (١٦)

وقال الراغب ـــ ٥٠٢ هـ : . . والبلاغة على وجهين : احدهما : أن يكون بذاته بليغا ، بأن يجمع ثلاثة أوصاف :صوابا في موضوع لغتـــه ، وطبقا للمعنى المقصود به ، وصدقا في نفسه . ومتى احترم وصف من ذلك كان ناقصا في البلاغة .

---

(١٢) العين ـــ مادة بلغ .
(١٣) الجمهرة ـــ مادة بلغ .
(١٤) التهذيب ـــ المادة ذاتها .
(١٥) المقاييس ـــ المادة ذاتها .
(١٦) الصحاح ـــ المادة ذاتها .

والثاني : أن يكون باعتبار القائل والمقول له ، وهو أن يقصد القائل أمرا ، فيورده على وجه حقيق أن يقبله . . . » (١٧) .

وفي الوجهين اللذين ذكرهما مافيهما من اكتمال الكلام وجودته وتميزه، وتمكن قائله وقدرته .

وقال الزمخشري — ٥٣٨ هـ : «. . . وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ ، وهذا قول بليغ . وتبالغ في كلامه : تعاطى البلاغة ، وليس من اهلها ، وما هو ببليغ ولكن يتبالغ » . (١٨) .

وقال ابن منظور — ٧١١ هـ : « . . . عن ابي حنيفة : وبلغت النخلة وغيرها من الشجر : حان ادراك ثمرها . وعنه أيضا : شيء بالغ : أى جيد .

والبلاغة : الفصاحة . والبلغ والبلغ : البليغ من الرجال ، ورجل بليغ : وبلغ : حسن الكلام فصيحه ، يبلغ بعبارة لسانه كنه مافي قلبه ، والجمع بلغاء . وقد بلغ — بالضم — بلاغة : أى صار بليغا . وقول بليغ : بالغ ... »(١٩)

وقال الفيرور بادى ٧٢٩ هـ : « بلغ المكان بلوغا : وصل اليه ، أو شارف عليه ، والغلام : ادرك . وثناء أبلغ : مبالغ فيه . وشيء بالغ : جيد . وقد بلغ مبلغا . وجارية بالغ وبالغة : مدركة . . :والبليغ : الفصيح ، يبلغ بعبارته كنه ضميره ، بلغ ككرم . . . » (٢٠) .

وقال الفيومي ٧٧٠ هـ : . . وبلغت الثمار : ادركت ونضجت . . . وبلغ — بالضم — بلاغة ، فهو بليغ : اذا كان فصيحا طلق اللسان . . . (٢١) .

---

(١٧) المفردات — المادة ذاتها .
(١٨) الاساس — مادة بلغ .
(١٩) اللسان — المادة ذاتها .
(٢٠) القاموس — المادة ذاتها .
(٢١) المصباح — المادة ذاتها .

وفي معجم ألفاظ القرآن لمجمع اللغة العربية في القاهرة : : « . . وقول بليغ : أي واصل منتهاه من القوة ، أو هو من بلغ — ككرم — بلاغة ، فهو بليغ بمعنى كان — أو صار — فصيحاً » (٢٢) .

من هذا كله يمكن الانتهاء الى أن البلاغة من الفعل بلغ — ككرم — حصرا ، وليست من الفعل بلغ — كقعد — خلافا للبلوغ بمعنى الوصول . فلم يرد في كل هذه المعاجم بلغ — بالفتح — بلاغة . وكونها لم تؤخذ من الفعل بلغ — بالفتح — لايعني أنها من غير البلوغ ، فهي منه واليه ، ولكنها — كما اسلفت — ليست من دلالته على مجرد الوصول ، وانما ما يتطلبه الوصول ويقتضيه من تميز وتفوق الواصل على المنقطع فلولا هـذا التميز والتفوق ، ماكان للواصل أن يصل ، والاسباب قبل مسبباتها أو نتائجها. فالبلوغ والوصول كـل منهما دليل التميز والاكتمال والتفوق ، وليس سن البلوغ عنا ببعيد ، فماكان البالغ ليكلف ويكتب عليه لولا نضجه واكتماله ، ولهذا خص البالغ بالجودة في كل هذه المعاجم . وفسر القول البليغ بالبالغ ، فبلاغة الكلام جودته وتميزه ، وبلاغة المتكلم قدرته على الاجادة وتميزه على غيره بصنع الكـلام الجيد المتميز . ولهـذا فسرت البلاغة بالاسن والفصاحة وطـلاقة اللسان ، والبليغ بحسن الكلام فصيحه ، الذي يبلغ بعبارة لسانه كنه مافي قلبه أو ضميره ، فجاءت البلاغة نعتا حميدا خاصا بكلام دون سواه ، وأناس دون آخرين . وطالعتنا الجودة في كل ما عرفت به البلاغة من أقوال ، قبل قبل استقرار المصطلحات البلاغية وعند استقرارها .

---

(٢٢) معجم ألفاظ القرآن — المادة ذاتها .

« تطور البلاغة من المعنى اللغوي الى المعنى الاصطلاحي »

حدث ابو حاتم ، قال : حدثني ابو عبيدة ، قال : حدثني غير واحد من هوزان ، من أولي العلم ، وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية ، قالوا :

اجتمع عمرو بن الظرب العدواني وحمـة بن رافع الدوسي عند ملك من ملوك حمير ، فقال : تساءلا حتى اسمع ما تقولان . . فقـال عمرو لحمـة : من أبلغ الناس ؟ ؟ قال : من جلى المعنى المزيز باللفظ الوجيز ، وطبق المفصل قبل التحزيز . (٢٣)

وتطبيق المفصل واصابة المحز من الامثال العربية للحذق ، والمهارة في الكلام ، واصابة المعنى بالقول الموجز .

قال الجاحظ : ويقولون في اصابة عين المعنى بالكلام الموجز : فلان يفل المحز ، ويصيب المفصل . وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق ، فجعلوه مثلا للمصيب الموجز » (٢٤) واضاف قائلا :

« . . . وقد فسر ذلك لبيد بن ربيعة ، وبيّنه ، وضرب به المثل حيث قال في الحكم بين عامر بن الطفيل ، وعلقمة بن علاثة :

ياهرم بن الاكرمين منصبـا   انك قد أوتيت حكما معجبا

فطبق المفصل ، واغنم طـيبا

يقول : احكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بكلمة فصل ، وبأمر قاطع . فتفصل بين الحق والباطل ، كما يفصل الجزار الحاذق مفصل العظمين » (٢٥)

---

(٢٣) العقد ٢/٢٥٦ . والمزيز : الفاضل .
(٢٤) البيان والتبيين ١/١٠٧ .
(٢٥) البيان والتبيين ١/١٠٩ .

والذلك قال معاوية لعمرو بن العاص: «ان أهل العراق قد قرنوا بك رجلا طويل اللسان ، قصير الرأي ، فأجد الحز ، وطبق المفصل ، واياك ان تلقاه برأيك كلـه » (٢٦) .

وقال الاصمعي - ٢١٦ - د : « البليغ من طبق المفصل، وأغناك عن المفسر» (٢٧) . وأوّل الجاحظ قول الاصمعي هذا بجواب جعفر بن يحيى لثمامة بن الاشرس حين سأله عن البيان قائلا : ما البيان ؟ ؟ قال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك ، وتخرجه عن الشركة ، ولاتستعين عليه بالفكرة . والذي لابد له منه ، أن يكون سليما من التكلف ، بعيدا عن الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأويل . فقال الجاحظ : وهذا تأويل قول الاصمعي : البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر » .

ومن هذا يتضح أن مفهوم البلاغة في العصر الجاهلي ما كان منصرفا الى مجرد الوصول والانتهاء وانصرافه الى الحذق والمهارة والاصابة والاجادة والتمكن وما اليها .

ولقد ظلت هذه المعاني بارزة فيما وصف بالبلاغة أو وصف به من أقوال .

ولم يرد لفظ البلاغة في القرآن الكريم ، ولا في الحديث النبوي الشريف مع ورود غير قليل من مشتقات المادة اللغوية : الباء واللام والغين فيهمـا . فقد نعت القول بالبليغ في قوله تعالى : « فأعرض عنهم ، وعظهم ، وقل لهم — في أنفسهم — قولا بليغا » [٦٣ النساء ٤] .

ولم يذكر الطبري ما قاله المفسرون الاوائل فيه (٢٨) غير أن الزمخشري

(٢٦) نفسه ٢٧٥/١ .
(٢٧) نفسه ١٠٦/١ .
(٢٨) تفسيره : ٠٩٩/٥ .

قال : أي قل لهم قولا بليغا في أنفسهم ، مؤثرا في قلوبهم ، يغتمون به اغتماما ، ويستشعرون منه الخوف استشعارا (٢٩) .

فالقول البليغ : هو القول المتميز بنضجه واكتماله ونفاذه ، المؤثر في سامعه وقارئه . وقد وقفنا في التحقيق اللغوي على ما ذهب اليه الراغب الاصفهاني قبله في القول البليغ (٣٠) . ولا يخرج عن هذا المعنى لفظ البليغ الوراد في قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله يبغض الرجل البليغ الذي يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها (٣١) فالبغض لمخيلة البليغ وزهوه وتيهه ولي لسانه ، وليس لبلاغته ذاتها .

وقال علي بن أبي طالب — ٤٠ هـ رضي الله عنه :

« البلاغة ايضاح الملابسات ، وكشف عوار الجهالات ، بأسهل ما يكون من العبارات » (٣٢) .

ونقل الجاحظ أن معاوية بن أبي سفيان ٦٠ هـ — رضي الله عنه كان قد سأل صحار بن عياش العبدي — ٤٠ هـ — قائلا : ما هذه البلاغة التي فيكم ؟؟ قال : شيء تجيش به صدورنا ، فتقذفه على ألسنتنا . قال معاوية : ما تعدون البلاغة فيكم ؟ ؟ قال : الايجاز . قال له : وما الايجاز ؟ ؟ قال : أن تجيب فلا تبطئ . قال معاوية : أو كذلك تقول ياصحار ؟ قال : أقلني يا أمير يا أمير المؤمنين ، الا تبطئ ولاتخطئ (٣٣) .

---

(٢٩) الكشاف : ٢٧١/١ .

(٣٠) انظره في هذا البحث : ص : ٢٦٢ .

(٣١) الامثال لابي احمد العسكري كما في الكنز ٣٢١/٣ ، سنن أبي داود ٥٩٧/٢ سنن الترمذي ١٤١/٥ ، مسند احمد ١٦٥/٢ ، ١٨٧ ، الترغيب ٣١٦/٥ ، المشكاة ٥٧٤/٢ ، الفائق ٢٣٤/٣ ، النهاية ٧٣/٢ ، مجمع الزوائد ١١٦/٨ ٢٦١/١٠ . وقد روي في قسم منها ’’يلعب بلسانه كما تلعب البقرة بلسانها ‘‘ وفي قسم منها ’’الباقرة،، مكان البقرة .

(٣٢) الصناعتين : ٥١ — ٥٢ .

(٣٣) البيان والتبيين : ٩٦/١ .

فالبلاغة – عندهم – ليست الايجاز الذي نعهده من التعبير عن المعنى بأقل ما يمكن من الالفاظ فحسب ، وانما هي – فضلاعنه – من الاصابة ، واحكام القول مع حضور البديهة ، ألا تراه قال : ألا تبطىء ولا تخطىء ؟ وهذه الامور كلها دليل الحذق والمهارة ، والتمكن من الاصابة واحكام القول .

ومثل قول صحار ، أو قريب منه في قصر البلاغة على الايجاز ، قول عمرو بن العاص – ٤٣ هـ حين سأله معاوية قائلا : من « أبلغ الناس ؟ ؟ قال : من اقتصر على الايجاز وتنكب الفضول » (٣٤) .

وقال الحسن بن علي – ٥٠هـ : « البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة» (٣٥) ومثله قول محمد بن الحنفية – ٨١ هـ : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه بأسهل العبارة » (٣٦) .

وقال عبد الله بن عتبة – ٩٨ هـ « : البلاغة دنو المأخذ ، وقرع الحجة وقليل من كثير (٣٧) .

وقال عمر بن عبد العزيز – ١٠١ هـ : البليغ من اذا وجد كثيراً ملأه ، واذا وجد قليلا كناه » (٣٨) . فعبر بهذا عن الحذق والتمكن .

ونقل ابو هلال العسكري قول محمد بن علي رضي الله عنهما : «البلاغة تفسير عسير الحكمة بأقرب الالفاظ» (٣٩) ونقل عنه – أيضا – قوله : «البلاغة قول مفقه في لطف» ، وفسره قائلا : فالمفقه : المفهم ، واللطيف من الكلام ماتعطف به القلوب النافرة ، ويؤنس القلوب المستوحشة ، وتلين به العريكة الابية

(٣٤) مجالس ثعلب : ١٨٧/١ .
(٣٥) الصناعتين : ٥٢ .
(٣٦) نفسه : ١٢ .
(٣٧) نفسه : ١٦، الرسالة العذراء : ٤٦ .
(٣٨) الرسالة ، الموضع نفسه ١
(٣٩) الصناعتين : ٥٢ . وأظنه أراد محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – ١١٤هـ .

المستعصية وتبلغ به الحاجة . وتقام به الحجة ، ، فتخلص نفسك من العيب ، وتلزم صاحبك الذنب من غير أن تهيجه وتقلقه ، وتستدعي غضبه ، وتستثير حفيظته » (٤٠) .

وقيل للامام ابراهيم بن محمد ــ ١٣٢ هـ : « ما البلاغة ؟ ؟ قال : الجزالة والاطالة » (٤١) . وعقب ابن رشيق القيرواني على هذا بقوله : « وهذا مذهب جماعة من الناس جلة ، وبه كان ابن العميد يقول في منثوره » (٤٢) .

وروي عنه الجاحظ قوله : « يكفي من حظ البلاغة أن لايؤتى السامع من سوء افهام الناطق ، ولايؤتى الناطق ، من سوء فهم السامع » (٤٣) . وعقب الجاحظ على هذا بقوله : « اما أنا فاستحسن هذا القول جداً » (٤٤) .

وقال عبد الحميد الكاتب ــ١٣٢ هـ وقد سئل عن البلاغة : « هي ما رضيته الخاصة ، وفهمته العامة » (٤٥) . وقال : « لو كان الوحي يتزل على أحد بعد الانبياء فعلى بلغاء الكتاب » (٤٦). وقال «خير الكلام ما كان لفظه فحلا ، ومعناه بكرا » (٤٧) . وقال : « البلاغة تقرير المعنى في الافهام ، من اقرب وجوه الكلام » (٤٨) .

وقال خالد بن صفوان ــ ١٣٥ هـ ــ : « ليس البلاغة بخفة اللسان ، ولا

(٤٠) نفسه : ٥١ .
(٤١) العمدة : ٢٤٥/١ .
(٤٢) الموضع نفسه .
(٤٣) البيان والتبين : ٨٧/١ .
(٤٤) الموضع نفسه .
(٤٥) الاعجاز والايجاز : ١١١ .
(٤٦) الموضع نفسه .
(٤٧) الموضع نفسه .
(٤٨) زهر الآداب : ١٢٧/١ .

بكثرة الهذيان ، ولكنهااصابة المعنى ، والقرع بالحجة » (٤٩) . وقال ايضا : « لا تكون بليغا حتى تكلم أمتك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المهمة بما تتكلم به في نادي قومك . وانما اللسان عضو ، اذا مرنته مرن ، واذا تركته كان كاليد تخشنها بالممارسة والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما اشبهه ، والرجل اذا تعودت المشي مشت (٥٠) وقال كذلك : « أبلغ الكلام ما لايحتاج الى كلام ، وأحسنه ما لم يكن بالبدوي المغرب ولا القروي المخدج ، الذي صحت مبانيه ، وحسنت معانيه ، ودار على ألسن القائلين ، وخف على آذان السامعين ، ويزداد حسنا على مر السنين ، بتجلية الرواة ، وتنقية السراة .

والكاتب المستحق اسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة ، من اذا حاول صنعة كتاب ، سالت على قلمه عيون الكلام من ينابيعها ، وظهرت من معادنها ، وبدرت من مواطنها ، عن غير استكراه ، ولا اغتصاب » (٥١)

وقال بشر بن خالد : « البلاغة التقريب من المعنى البعيد ، والتباعد عن خسيس الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير » (٥٢) .

وقل لابن المقفع — ١٤٢ هـ : « ما البلاغة ؟ قال : قلة الحصر ، والجرأة على البشر . قيل له : فما العي ؟ قال : الاطراق من غير فكرة ، والتنحنح من غير علة » (٥٣) .

ونقل الجاحظ عن اسحاق بن حسان بن قوهي قوله : «لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع احد قط . سئل ما البلاغة ؟ ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان

---

(٤٩) الرسالة العذراء : ٤٦ ، وفي العقد : ٢٦١/٢ " قيل لخالد بن صفوان ما البلاغة ؟قال: اصابة المعنى والقصد للحجة » .
(٥٠) العقد : ٢٦٩/٢ — ٢٧٠ .
(٥١) الرسالة العذراء : ٣٥ ٣٦ .
(٥٢) نفسه : ٤٦ .
(٥٣) العقد : ١٨٩/٤ — ١٩٠ .

ما يكون في الاشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سجعا وخطبا . ومنها ما يكون رسائل . فعامة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها والاشارة ، والايجاز هو البلاغة . فأما الخطب بين السماطين ، وفي اصلاح ذات البين ، فالاكثار في غير خطل ، والاطالة في غير املال .

وليكن صدر كلامك دليلا على حاجتك ، كما ان خير أبيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره ، عرفت قافيته .

كأنه يقول : فرق بين صدر خطبة النكاح ، وبين صدر خطبة العيد ، وخطبة الصلح ، وخطبة التواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه ــ فانه لاخير في كلام لايدل على معناك ، ويشير الى مغزاك ، والى العمود الذي قصدت ، والعرض الذي نزعت .

قال : فقيل له : فان ملّ السامع الاطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف ؟ قال : اذا أعطيت كل مقام حقه ، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فـلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ، فانه لا يرضيهما شيء ، وأما الجاهـل فلست منه وليس منك ، ورضا الناس شيء لاينال » (٥٤) .

فابن المقفع يرى البلاغة الاجادة المتمثلة بمراعاة ما يقتضيه الحال ويتطلبه ، في السكوت والاستماع ، والابتداء والجواب ، والايجاز والاطالة ، وغير ذلك مما ذكره . وقد نص صراحة على اعطاء كل مقام حقه ومراعاة ما يجب من سياسة ذلك المقام ، فالبلاغيون المتأخرون لم يأتوا باكثر من صياغة هذا الذي ذكره أو اشار اليه في بلاغة الكلام خاصة .

---

(٥٤) البيان والتبين : ١/١١٥ — ١١٦ .

ومثل هذا أو قريب منه ما ذهب اليه عمرو بن عبيد — ١٤٤ ﻫ — وان نزع فيه منزعا آخر — حين سأله حفص بن سالم قائلا : ما البلاغة ؟ ؟ فقال : « ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما ابصرك مواقع رشدك ، وعواقب غيك . قال : ليس هذا أريد . قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع ، لم يحسن القول .

قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « انا معشر الانبياء بكاء » أي قليلو الكلام . ومنه قيل: رجل بكيء . وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله .

قال : ليس هذا أريد . قال : كانوا يخافون من فتنة القول ، ومن سقطات الكلام ، ما لايخافون من فتنة السكوت ، ومن سقطات الصمت .

قال : ليس هذا أريد . فقال له : فكأنك انما تريد تخير اللفظ ، في حسن الافهام ؟ قال : نعم .

قال : انك أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين ، وتخفيف المؤونة على المستمعين ، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين ، بالالفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبوله عند الاذهان ، رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب » (٥٥) فبلاغة القول عنده تخير اللفظ في حسن الافهام ، وفي ايضاحه لهذا القول من الفاظ الحسن والتزيين ما فيه .

وقال المنصور — ١٥٨ ﻫ : « البلاغة والغنى اذا اجتمعا لامرئ أبطراه » (٥٦).

---

(٥٥) البيان والتبيين : ١/١١٤ .
(٥٦) الصناعتين : ١٦ .

وقال الخليل ــ ١٧٠ هـ : « البلاغة كلمة تكشف عن البغية » (٥٧) . وقال ايضا : « البلاغة ما قرب طرفاه ، وبعد منتهاه » (٥٨) . وقال : « كل ما أدى الى قضاء الحاجة فهو بلاغة ، فان استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا ، ولتلك الحال وفقا ، وآخر كلامك لأوله مشابها ، وموارده لمصادره موازنا ، فافعل . واحرص أن تكون لكلامك متهما وأن ظرف ، وانظمك مستريا وان لطف ، بمواتاة آلتك لك ، وتصرف ارادتك معك ، فافعل » (٥٩) . وقوله هذا خير تلخيص لما كان ذكره ابن المقفع ، ان كان الخليل وقف عليه .

وقال المفضل الضبي ــ ١٧٨ هـ : « قلت لاعرابي منا : ما البلاغة ؟ ؟ قال لي : الايجاز في غير عجز ، والاطناب في غير خطل ».

قال ابن الاعرابي : فقلت للمفضل : ما الايجاز عندك ؟ ؟ قال : حذف الفضول وتقريب البعيد » (٦٠) . وهذا الذي ذهب اليه المفضل شبيه بالذي ذهب اليه الخليل في قوليه الاولين . وأشبه بهما منه قول خلف الاحمر ــ ١٨٠هـ تقريبا : « البلاغة لمحة دالة » (٦١) .

وكتب جعفر بن يحيى بن خالد ــ ١٨٦ هـ الى عمرو بن مسعدة : « اذا كان الاكثار أبلغ ، كان الايجاز تقصيرا ، واذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا » (٦٢) وقيل له : « ما البلاغة ؟ ؟ قال : التقريب من المعنى البعيد ، والدلالة بالقليل على الكثير . » (٦٣) .

---

(٥٧) العمدة : ١/٢٤٢ .
(٥٨) نفسه : ١/٢٤٥ .
(٥٩) الرسالة العذراء : ٤٨ .
(٦٠) البيان والتبين : ١/٩٧ .
(٦١) العمدة : ١/٢٤٢ .
(٦٢) الموضع ذاته .
(٦٣) العقد : ٤ / ١٩٨ .

وسئل كلثوم بن عمرو العتابي — ٢٠٨ هـ : ما « البلاغة ؟ ؟ فقال : كل من أفهمك حاجته من غير اعادة ، ولا حبسة ، ولا استعانه فهو بليغ . فان اردت اللسان الذي يروق الالسنة ، ويفوق كل خطيب فاظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق » (٦٤) .

وقال الجاحظ : « والعتابي حين زعم أن كل من افهمك حاجته فهو بليغ . لم يعن أن كل من أفهمنا — معاشر المولدين والبلديين — قصده ومعناه بالكلام الملحون ، المعدول عن جهته ، المصروف عن حقه ، محكوم له بالبلاغة (٦٥) .
الملحون ، المعدول عن جهته ، المصروف عن حقه ، أنه محكوم له بالبلاغة . وانما عنى العتابي افهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء (٦٥) ».

وضرب عددا من الامثلة التي لم يفهم منها العرب الفصحاء ما أريد بها لما فيها من اللحن ولكونها معدولة عن جهتها ، مصروفة عن قصدها ، منها قوله :

« وقد روى أصحابنا أن رجلا من البلديين قال لأعرابي : كيف أهلك ؟ — قالها بكسر اللام — قال الاعرابي : صلبا ، لانه أجابه على فهمه ، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن اهله وعياله » (٦٦) . وأضاف قائلا :

« فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة . واللكنة ، والخطأ والصواب ، والاغلاق والابانة ، والملحون والمعرب ، كله سواء ، وكله بيانا ، وكيف يكون ذلك كله بيانا ، ولولا طول مخالطة السامع للعجم ، وسماعه للفاسد من الكلام لما عرفه . ونحن لم نفهم عنه الا للنقص الذي فينا . وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لايستدلون على معاني هؤلاء

---

٦٤) البيان والتبيين : ١١٣/١ .
(٦٥) البيان والتبيين : ١٦١/١ — ١٦٢ .
(٦٦) نفسه : ١٦٣/١ .

بكلامهم كما لايعرفون رطانة الرومي والصقلبي ، وان كان هذا الاسم انما يستحقونه بأنا نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم فنحن قـد نفهم بحمحمة الفرس كثيرا من حاجاته ، ونفهم بضغاء السنور كثيرا من ارادته . وكذلك الكلب والحمار والصبي الرضيع . (٦٧) .

وأخذ ابو هلال العسكري كل هذا الذي ذهب اليه الجاحظ في ايضاح قول العتابي بايجاز من غير ما اشارة اليه (٦٨) .

وعقب الجاحظ على قول الشاعر :

ألارب خصم ذي فنون علوته وان كان ألوى يشبه الحق باطله

بقوله : فهذا هو معنى قول العتابي : « البلاغة اظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق » (٦٩) . وروي ان العتابي قال: « البلاغة مد الكلام بمعانيه اذا قصر ، وحسن التألف اذا طال » (٧٠) .

وجاء بصحيفة بشر بن المعتمر — ٢١٠ هـ المشهورة ، ومنها قوله :

« . . . أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا ، وقريبا معروفا ، اما عند الخاصة ، ان كنت للخاصة قصدت ، واما عند العامة ، ان كنت للعامة ، أردت .

والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة . وانما مدار الشرف على الصواب ، واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال .

(٦٧) نفسه : ١٦٢/١ .
(٦٨) الصناعتين : ١٠ — ١١ .
(٦٩) البيان والتبيين : — ٢٢٠/١ .
٧٠) زهر الاداب ١٢٧/١ .

فان امكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك ، الى أن تفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسوها الالفاظ الواسطة ، التي لاتلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الاكفاء فأنت البليغ التـــام » (٧١) .

ونقل عن سهل بن هارون — ٢١٥ هـ قوله :

« اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في واحد ، واعسر من ذلك ان تجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم » (٧٢) .

كما نقل عنه قوله : « بلاغة اللسان رفق ، والعي خرق » (٧٣) .

وقال ابن الاعرابي — ٢٣١ هـ : « البلاغة التقرب من البغية ، ودلالة قليل على كثير » (٧٤) .

ولم يكتف الجاحظ — في مفهوم البلاغة بما نقله عن العرب مع كثرة ما نقله عنهم ، فجاء بأقوال غيرهم من الامم والاقوام ، فقال :

« . . قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقيل لليوناني : ما البـــلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الاطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الاشارة .

وقال بعض اهل الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفـــرصـــة .

(٧١) البيان والتبيين : — ١٣٦/١ .
(٧٢) نفسه : — ٢٤٣/١ .
(٧٣) نفسه : — ٤٣/٢ .
(٧٤) العمدة : ٢٤٦/١ .

ثم قال : ومن البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الافصاح الى الكناية ، اذا كان الافصاح أوعر طريقة . وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك ، وأحق بالظفر .

وقال مرة : جماع البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول، وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غمض ، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر .

ثم قال : وزين ذلك كله ، وبهاؤه ، وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشمائل موزونة ، والالفاظ معدلة ، واللهجة نقية ، فان جامع ذلك السن والسمت ، والجمال وطول الصمت ، فقد تم كل التمام ، وكمل كل الكمال » (٧٥) .

ونقل عن «معمر — أبي الاشعث — أنه قال لبهلة الهندي : ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ، لكن لا أحسن ترجمتها لك ، لم أعالج هذه الصناعة ، فأثق في نفسي بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها .

قال أبو الاشعث : فلقيت بتلك الصحيفة الترجمة ، فاذا فيها :

أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ، ولا الملوك بكلام السوقة . ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة. ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ، ولايصفيها كل التصفية ، ولايهذبها غاية التهذيب . ولايفعل ذلك حتى يصادف حكيما ، أو فيلسوفا عليما ، ومن قد تعود حذف فضول الكلام ، واسقاط مشتركات

(٧٥) البيان والتبيين : — ٨٨/١ .

الالفاظ ، وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لا على جهة الاعتراض والتصفح ، وعلى وجه الاستطراف والتظرف .

قال: ومن علم حق المعنى ، أن يكون الاسم له طبقا ، وتلك الحال له وفقا ، ويكون الاسم لا فاضلا ولا مفضولا ،ولا مقصراً ولا مشتركا ولامضمنا ويكون — مع ذلك — ذاكرا لما عقد عليه أول كلامه ، ويكون تصفحه لمصادره في وزن تصفحه لموارده ، ويكون لفظه مونقا ، ولهول تلك المقامات معاودا . ومدار الامر على الافهام كل قوم بمقدار طاقتهم ، والحمل عليهم على اقدار منازلهم . وأن تواتيه الآته ، وتتصرف معه أداته .

ويكون في التهمة لنفسه معتدلا ، وفي حسن الظن بها مقتصدا ، فانه ان تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها ، فأودعها ذلة المظلومين ، وان تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها آمنها ، فأودعها تهاون الآمنين . ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن ، ولكل وهن مقدار من الجهل (٧٦) .

ونقل ايضا أنه قيل لرجل من الحكماء : ما جماع البلاغة ؟ ؟ قال : معرفة السليم من المعتل ، وفصل ما بين المضمن والمطلق ، وفرق بين المشترك والمفرد وما يتحمل التأويل من المنصوص المقيد (٧٧) .

غير أن الجاحظ الذي وقف على هذه الاقوال الكثيرة التي نقلها كان قد اعرب عن ايثارة لقول لم يسم قائله ، فقال :

---

(٧٦) البيان والتبيين : — ٩٢/١ — ٩٣ .

(٧٧) البيان والتبيين : — ١٠٤/٢ .

وقال بعضهم — وهـو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه — لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة ، حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك ، اسبق من معناه الى قلبك (٧٨) .

والجاحظ صيرفي الكلام ناقده ، لم يكن ليختار هذا القول ويؤثره — وان لم يوقف الحسن عليه وحده — لولا ما رآه فيه من تجسيد لميزات الكلام البليغ . فاختصاص القلب فيه مقصود ، غير عفوي ، أريد به ابراز حلاوة الكلام راستباق اللفظ والمعنى ووصولهما سويا — مع حرص كل منهما على الوصول قبل الاخر — ايماءة ذكـية للموازنة الدقيقة بينهما في الجودة والنفاذ والسرعة فالاسماع ، والافئدة لا تستقبل بسرعة الا ما جاد وراق وحسن ، وهل البلاغة غير هـذه الجودة والحسن ، والحذق في اختيار الكلام وصياغته ؟ ؟ أوليس الجاحظ هو القائل في الشعر والموازنة بين اللفظ والمعنى :

« والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي ، والقروي والمدني وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير» وفي رواية (صياغة) مكان (صناعة) وهي أدل على الحذق والمهارة من الصناعة وأولى بالسياق الذي وردت فيه .(٧٩) .

والجاحظ هو الذي وصف بلاغة ثمامة بن أشرس التي اعجبته أيما اعجاب بقول ثمامة نفسه في جعفر بن يحيى . فقال :

---

(٧٨) نفسه : — ١/١١٥ .

(٧٩) الحيوان : — ٣/١٣١ — ١٣٢ .

وقال ثمامة بن أشرس : كان جعفر بن يحيى أنطق الناس ، وقد جمع الهدوء والتمهل ، والجزالة والحلاوة . وافهاما يغنيه عن الاعادة . ولو كان في الارض ، ناطق يستغني بمنطقه عن الاشارة ، لاستغنى جعفر عن الاشارة ، كما استغنى عن الاعادة .

وقال مرة : «ارأيت احدا كان لايتحبس ، ولايتوقف ، ولا يتلجلج ، ولايتنحنح ولا يرتقب لفظا قد استدعاه من بعد ، ولا يلتمس التخلص الى معنى قد تعصى عليه طلبه ، اشد اقتدارا ، ولاأقل تكلفا من جعفر بن يحيى» (٨٠).

فعقب الجاحظ قائلا : وهذه الصفات التي ذكرها ثمامة بن أشرس فوصف بها جعفر بن يحيى ، كان ثمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه ، واستولى عليها دون جميع أهل عصره . انه ما كان في زمانه قروي ، ولا بلدي كان بلغ من حسن الافهام ، مع قلة عدد الحروف ، ولا من سهولة المخرج ، مع السلامة من التكلف ، ما كان بلغه .

وكان لفظه في وزن معناه ، ومعناه طبق لفظه ، ولم يكن لفظه الى سمعك بأسرع من معناه الى قلبك » (٨١) فاختتم تعقيبه بما كان آثره .

وهو القائل « : أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فانهم ، قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا » . (٨٢) .

وفي فصل من صدر رسالته في (البلاغة والايجاز) جاء ما نصه :

« والبلاغة اصابة المعنى ، والقصد الى الحجة مع الايجاز ومعرفة الوصل من الوصل » (٨٣) .

---

(٨٠) البيان والتبيين : — ١٠٥/١ — ١٠٦ .
(٨١) نفسه : ١ / ١١١ .
(٨٢) البيان والتبيين : — ١٣٧/١ .
(٨٣) البلاغة والايجاز — في مجلة البلاغ — ٢٣ .

وأضاف فيها أن حسن البيان محمود ، وحسن الصمت حكم ، وربما كان الايجاز محمودا والاكثار مذموما . وربما رأيت الاكثار احمد من الايجاز . و لكل مذهب ووجه عند العاقل، ولكل مكان مقال ، ولكل كلام جواب . مع أن الايجاز أسهل مراما ، وأيسر مطلبا من الاطناب . ومن قدر على الكثير ، كان على القليل أقدر ، والتقليل للتخفيف ، والتطويل للتعريف ، والتكرار للتوكيد والاكثار للتشديد . . .

وأما المذموم من المقال فما دعا الى الملال ، وجاوز المقدار ، واشتمل على الاكثار وخرج عن مجرى العادة .

وكل شيء أفرط في طبعه ، وتجاوز مقدار وسعه ، عاد الى ضد طباعه فيتحول البارد حارا ، ويصير النافع ضارا ، كالصندل البارد ان أفرط في حكه عاد حارا مؤذيا ، كالثلج يلتهب قليله الحرارة ، وكثيره يحركها . وكذلك القرد لما أفرط قبحه ، وتناهت سماجته استملح واستظرف . والى هذا ذهب من عد الاكثار عيا والايجاز بلاغة » . (٨٤) .

ومهما يكن من شيء أن القول الذي آثره ابن المدبر والجرجاني بعد ذلك كما سنقف عليه عندهما (٨٥) .

ولقد سئل الكندي — ٢٥٨ هـ عن البلاغة فقال : ركنها اللفظ وهو على ثلاثة أنواع : فنوع لاتعرفه العامة ولاتتكلم به ، ونوع تعرفه وتتكلم به ، ونوع تعرفه ولاتتكلم به وهو احمدها (٨٦) .

وعقب ابن قتيبة — ٢٧٦ هـ على ما نقله من قول ابرويز لكاتبه : « واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول » بقوله : « يريد الايجاز . وهذا ليس

(٨٤) نفسه — ٢٤ .
(٨٥) انظره في هذا البحث : ص ٢٧ ، ٤٢ .
(٨٦) العمدة : — ٢٤٧/١ .

بمحمود في كل موضع ، ولابمختار في كل كتاب . بل لكل مقام مقال . ولو كان الايجاز محمود في كل الاحوال لجرده الله تعالى في القرآن . ولم يفعل الله ذلك ولكنه أطال تارة للتوكيد ، وحذف تارة للايجاز ، وكرر تارة للافهام . . » (٨٧) .

ونقل ابن المدبر ـــ ٢٧٩ هـ قول « أنوشروان لبزر جمهر : متى يكون الصبي بليغا ؟ ؟ فقال : اذا وصف بليغا » (٨٨) .

وكتب رسالة في صفة الكتابة تشبه الى حد ما صحيفة بشر بن المعتمر أودعها كثيرا مما وقف عليه من أقوال في الفصاحة والبلاغة ، وصنعة الكتابة ومتطلباتها ، قال في مقدمتها : «. . سأتني أن أقف بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته ، وحدود فخامة المعنى وجزالته ، ورشاقة نظم الكتاب ومشكلة سرده ، وحسن افتتاحه وختمه ، وانتهاء فصوله ، واعتدال وصوله ، من الزلل وبعدها عن الخطل ، ومتى يكون الكاتب مستحقا اسم الكتابة ، والبليغ مسلما له معاني البلاغة في اشارته واستعارته . . » (٨٩) .

وانتهى في البلاغة الى ما اختاره الجاحظ وآثره فيها من اقوال . فقال : « . . ولكن سياسته « الكلام » ــ صعبة ، وتأليفه شديد الا على جهابذته وفرسانه وامراء الكلام ، يصرفونه كيف شاؤوا . ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، لايكون اللفظ اسبق الى الاسماع من معناه الى القلوب » (٩٠) .

وقال أبو العيناء ـــ ٢٨٢ هـ في البليغ : « من اجتزأ بالقليل عن الكثير وقرب البعيد اذا شاء ، وبعد القريب،واخفى الظاهر ، واظهر الخفي »(٩١).

(٨٧) أدب الكاتب : ـــ ١٥ ـــ ١٦ .
(٨٨ ـ ٨٩) الرسالة العذراء ٤٦ .
(٩٠) ٣٩ .
(٩١) العمدة : ـــ ١/٢٤٦ .

وقال المبرد ــ ٢٨٦ هـ : « ان من حق البلاغة احاطة القول بالمعنى واختيار الكلام ، وحسن النظـم ، حتى تكون الكلمة مقاربة اختها ، ومعاضدة شكلها ، وأن تقرب البعيد ، وتحذف منها الفضول . . . .

فان استوى هـذا في الكلام المنثور ، والكلام المرصوف المسمى شعرا فلم يفضل احد القسمين صاحبه ؛ فصاحب الكلام المرصوف أحمد ، لانه أتى بمثل ما أتى به صاحبه ، وزاد وزنا وقافية ، والوزن يحمل على الضرورة ، والقافية تضطر الى الحيلة .

وبقيت بينهما واحدة ، ليست مما توجد بعد استماع الكلام منهما ، ولكن يرجع اليهما عند قولهما ، فينظر أيهما أشد على الكلام اقتدارا واكثر تسمحا ، وأقل معاناة ، وأبطأ معاسرة ، فيعلم أنه المقدم » (٩٢) .

ووازن بين قوله صلى الله عليه وسلم : « وكفى بالسلامة داء » وماثله من أقوال شعرية ونثرية وقال : «فانظر الى هذا الكلام الذي لا زيادة فيه ولا نقصان ، لايطول المعنى ولايقصر عنه ، وانظر الى فخامته وجزالته يقول : كفى بالسـلامة داء . فأي كـلام أوعظ ، أو زجر في القلب أوقـر ؟ ان هذا الكلام ليجل عن أن يبلغه وصف ، أو يحيط بكنهه قول » (٩٣)

وقال ابن المعتز ــ ٢٩٦ هـ : « البلاغة بلوغ المعنى ، ولما يطل سفر الكلام » (٩٤) .

وغير خاف أن هذه الاقوال وغيرها كانت قد أوضحت مفهوم البلاغة ايضاحا تاما وان لم تعن بصياغة حد جامع مانع لها .

(٩٢) البلاغة : ــ ٥٩ ــ ٦٠ .

(٩٣) نفسه : ــ ٦٦ .

(٩٤) العمدة : ــ ٢٤٦/١ ، التمثيل والمحاضرة ــ ١٥٨ وفيه : أن تبلغ المعنى ولم يطل سفر الكلام.

والغريب أن يضيف اسحاق بن وهب ــ ٣٣٧ هـ الى قول المبرد (فصاحة اللسان) ليجعل منه حدا للبلاغـــة ، وكأن كل من سبقه لم يفطن اليه فيقول « وقد ذكر الناس البلاغة ، ووصفوها بأوصاف لم تشتمـــل على حدها ، وذكر الجاحظ كثيرا مما وصفت به ، وكل وصف منها يقصر عن الاحاطة بحدها . وحدها عندنا : القول المحيط بالمعنى المقصود ، مع اختيار الكلام ، وحسن النظام ، وفصاحة اللسان .

وانما اضيف الى الاحاطة بالمعنى اختيار الكلام ، لان العامي قد يحيط قوله بمعناه الذي يريد ، الا أنه بكلام مرذول من كلام امثاله ، فلا يكون موصوفا بالبلاغة .

وزدنا فصاحة اللسان لان الاعجمي واللحان قد يبلغا مرادهما بقولهما فلا يكونان موصوفين بالبلاغة .

وزدنا حسن النظام لانه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن ، الآتي على المعنى ولا يحسن ترتيب الفاظه ، وتصير كل واحدة مع ما يشاكلها ، فلا يقع ذلك موقعه » (٩٥) .

مع أن المبرد قبله بنصف قرن او يزيد كان قد قال : ان من حق البلاغة احاطة القول بالمعنى ، واختيار الكلام ، وحسن النظم . فليس له فيه غير فصاحة اللسان ، التي هي من قبيل تحصيل الحاصل ، فما ذهب أي من المتحدثين عن البلاغة الى أن غير الفصيح يمكن ان يكون بليغا ، وقد نبه الى هذا الجاحظ في ايضاحه لما عناه العتابي بقوله : كل من أفهمك حاجته فهو بليغ (٩٦) .

---

(٩٥) البرهان ــ ١٦٣ .

(٩٦) انظر في هذا البحث ــ ١٩ ــ ٢٠ .

ومهما يكن من شيء فان قوله هذا انما يبرز لنا عناية قسم من البلغاء والبلاغيين بالحدود والتعريفات في وقت مبكر خلافا لما كنا نعهده .

وقال الرماني — ٣٨٦ هـ :

« . . وليست البلاغة افهام المعنى لانه قد يفهم المعنى متكلمان احدهما بليغ والآخر عيي ، ولا البلاغة ايضا بتحقيق اللفظ على المعنى ، لانه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ، ونافر متكلف .

وانما البلاغة ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ . فأعلاها طبقة — في الحسن — بلاغة القرآن ، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كاعجاز الشعر المفحم ، فهذا معجز للمفحم خاصة ، كما ان ذلك معجز للكافة » (٩٧) .

وقال الخطابي — ٣٨٨ هـ :

« . . فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائز الطلق الرسل . وهذه اقسام الكلام المحمود ، دون الهجين المذموم . . . واعلم ان القرآن انما صار معجزا لانه جاء بأفصح الالفاظ في احسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني . . . .

ثم اعلم ان عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات ، هو وضع كل نوع من الالفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الاخص الاشكل به . . .

ولم نقتصر فيما اعتمدنا من البلاغة لاعجاز القرآن ، على مفرد الالفاظ التي منها يتركب الكلام ، دون ما يتغير منه من ودائعه التي هي معانيه وملابسه التي هي نظوم تأليفه . . » (٩٨) .

(٩٧) النكت : — ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن — ٦٩ .

(٩٨) بيان اعجاز القرآن : — ضمن الرسائل ذاتها — ٢٢ — ٣٢ .

وقال ابو هلال العسكري — ٣٩٥ هـ « البلاغة من قولهم : بلغت الغاية اذا انتهيت اليها ، وبلغتها غيرى. ومبلغ الشيىء : منتهاه . والمبالغة في الشيىء الانتهاء الى غايته .

فسميت البلاغة بلاغة ، لانها تنهي المعنى الى قلب السامع فيفهمه. وسميت البلغة بلغة لانك تتبلغ بها ، فتنتهي بك الى مافوقها ، وهي البلاغ ايضا . ويقال الدنيا بلاغ : لانها تؤديك الى الآخرة . والبلاغ ايضا : التبليغ ، في قول الله عز وجل : « هـذا بلاغ للناس » أى تبليغ ويقال : بلغ الرجل بلاغة ، اذا صار بليغا ، كما يقال : نبل نبالة ، اذا صار نبيلا . وكلام بليغ وبلغ — بالفتح — كما يقال : وجيز ووجز ، ورجل بلغ — بالكسر — يبلغ مايريد ، وفي مثل لهم احمق بلغ » . ويقال : أبلغت في الكلام اذا أتيت بالبلاغة فيه . كما تقول : أبرحت اذا اتيت بالبرحاء ، وهو الامر الجسيم .

والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم . فلهذا لايجوز أن يسمى الله جل وعز بأنه بليغ ، اذ لايجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام . وتسميتنا المتكلم بأنه بليغ توسع . وحقيقته أن كلامه بليغ ، كما تقول : فلان رجل محكم ، وتعني أن افعاله محكمة . قال الله تعالى : « حكمة بالغة » فجعل البلاغة من صفة الحكمة ، ، ولم يجعلها من صفة الحكيم ، الأن كثرة الاستعمال ، جعلت تسمية المتكلم بانه بليغ كالحقيقة ، كما انها جعلت تسمية المزادة راوية كالحقيقة ، وكان الراوية حامل المزادة ، وهو البعير وما يجري مجراه .

واذا كان الامر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد ، وان اختلف أصلاهما ، لان كل واحد منهما انما هو الابانة عن المعنى والاظهار له . » .

وقد اضطرب ابو هلال أيما اضطرب في التمييز بين البلاغة والفصاحة أو مقارنتهما ببعضهما فهو بعد أن ارجعهما الى معنى واحد مع اختلاف أصليهما اشار الى اختلافهما فقال : « فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين ، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان ، فهي مقصورة على اللفظ ، لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة انما هي انهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى .

ومن الدليل ان الفصاحة تتضمن اللفظ ، والبلاغة تتناول المعنى ، أن الببغاء يسمى فصيحا ولا يسمى بليغا ، اذ هو مقيم الحروف ، وليس له قصد الى المعنى الذي يؤديه . وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحا بليغا ، اذا كان واضح المعنى ، سهل اللفظ ، جيد السبك ، غير مستكره ولا فج ، ولا متكلف وخم . ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء لما فيه من ايضاح المعنى وتقويم الحروف .

وشهدت قوما يذهبون الى ان الكلام لايسمى فصيحا ، حتى يجمع مع هذه النعوت فخامة وشدة وجزالة . . . .

وقالوا : واذا كان الكلام يجمع نعوت الجودة ، ولم يكن فيه فخامة وفضل جزالة سمي بليغا ولم يسم فصيحا (٩٩) . » وهذا الذي انتهى اليه غريب واغرب من غريب بعد الذي قاله في فصاحة الببغاء ، واختصاص الفصاحة باقامة الحروف أو حصرها بها ، وجعل الفصاحة بعد هذا أخص من البلاغة ، وأعلى منها مرتبة . وهوما لم نقف عليه عند غيره ، ولايعفيه أنه في هذا ناقل ، لكونه لم يسم هؤلاء الذين نقل عنهم ، ولم يعقب على قولهم بشيء ، غير ما مثل به من نصوص لاشك في فصاحتها وبلاغتها فقال : « وأنشدنا ابو احمد عن أبي بكر الصولي لابراهيم بن العباس :

(٩٩) الصناعتين : ٦ — ٨ .

تمر الصّبا صفحا بساكنة الغضا — ويصدع قلبي أن يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما — هوى كلّ نفس حيث حلّ حبيبها

فالبيت الاول فصيح وبليغ ، والبيت الثاني بليغ وليس بفصيح . واستدلوا على صحة هذا المذهب بقول العاص بن عدي : الشجاعة قلب ركين ، والفصاحة لسان رزين . واللسان هاهنا : الكلام ، والرزين : الذي فيه فخامة وجزالة » . (١٠٠) مع ان البيت الثاني لايقل فصاحة عن البيت الاول ، ورقته لاتخرجه عن الفصاحة والا اكان كل كلام رقيق غير فصيح ، فلا أدري كيف يأتي بمثل هذا الرأي الفج ويعرضه ، ويسكت عنه ، من غير أن يعقب عليه بشيء ، مع انه خصص الفصول الثلاثة الاولى من كتابه للحديث عن البلاغة والفصاحة ، الاول : « في الابانة عن موضوع البلاغة في اللغة ، وما يجري معه من تصريف لفظها ، والقول في الفصاحة وما يتشعب منه » (١٠١) . والثاني : « في الابانة عن حد البلاغة » (١٠٢) . والثالث « وهو القول في تفسير ما جاء عن الحكمة في حدود البلاغة . (١٠٣) » فقال في الابانة عن حد البلاغة : « فنقول : البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع ، ، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك ، مع صورة مقبولة ومعرض حسن .

وانما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة ، لان الكلام اذا كانت عبارته رثة ، ومعرضه خلقا لم يسم بليغا ، وان كان مفهوم المعنى ، مكشوف المغزى » . (١٠٤) وأوضح فيه قول العتابي بمثل ما أوضحه الجاحظ من قبل ، ان لم يكن هو اياه باكثر لفظهَ ومعناه (١٠٥) . واحتج للحد الذي ذكره قائلا :

---

(١٠٠) نفسه : ٩ .
(١٠١) ، (١٠٢) ، (١٠٣) : الصناعتين : ٦ ، ١٠ ، ١٤ .
(١٠٤) نفسه : ١٠ . (١٠٥) نفسه : ١٠ — ١١ .

« ومما يؤيد ما قلنا من أن البلاغة انما هي ايضاح المعنى وتحسين اللفظ قول بعض الحكماء : البلاغة تصحيح الاقسام ، واختيار الكلام الى غير ذلك مما سنذكره ونفسره في هذا الباب ان شاء الله .

وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه باسهل العبارة » فقوله : تضطر العقول الى فهمه عبارة عن ايضاح المعنى وقوله باسهل العبارة تنبيه على تسهيل اللفظ وترك تنقيحه » . (١٠٦)

وأكد في الفصل الثالث ما ذكره من حدها في الفصل الثاني وأورد أقوالا غير قليلة فيها وتولى شرحها والتمثيل لها مع ما في طائفة منها من اطناب فجاء هذا الفصل أطول الفصول الثلاثة .

ولعل من الانصاف أن نشير الى أنه لم يقصر الفصاحة أو البلاغة على الجزالة بل صرح في هذا الفصل ، بما كنا ننتظر أن يصرح به هناك اثر القول الذي ساقه . فقال هنا : « وابلغ من هذه المنزلة ، أن يكون في قوة صانع الكلام ، أن يأتي مرة بالجزل وأخرى بالسهل ، فيلين اذا شاء ، ويشتد اذا أراد ، ومن هـذا الوجه فضلوا جريرا على الفرزدق ، وأبا نواس على على مسلم » (١٠٧)

كما انه أورد أقوالا لم أقف عليها عند من سبقه ، منها ما قد عزاه لقائله ، ومنها ما لم يعزه لقائل بعينه ، من هذه قوله :

« قال بعض الحكماء : البلاغة قول يسير ، يشتمل على معنى خطير . وهذا مثل قول الآخر : البلاغة حكمة تحت قول وجيز ، وقول الآخر: البلاغة علم كثير في قول يسير » . (١٠٨) .

---

(١٠٦) نفسه : ١٢ .
(١٠٧) الصناعتين : ٢٤ .
(١٠٨) نفسه : ٣٧ .

« وكما قال بعضهم : البلاغة صوب ، في سرعة جواب ، والعي اكثار في اعذار ، وابطاء يردفه أخطاء » (١٠٩) .

« وقال العربي : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد من حشو الكلام ، وقرب المأخذ ، وايجاز في صواب ، وقصد الى الحجة ، وحسن الاستعارة . »

ومثله قول الآخر : البلاغة تقريب ما بعد من الحكمة بأيسر الخطاب ...
والرواية الصحيحة أن العربي قال : البلاغة التقرب من المعنى البعيد . ولكن رأيته في بعض أصولي كما ذكرته قبل فأوردته هاهنا وفسرته على ما رأيته في الاصل . » (١١٠) .

غير انه نقل عن جعفر بن يحيى في البلاغة قائلا :

« وقال جعفر بن يحيى : البلاغة أن يكون الاسم يحيط بمعناك ، ويجلي عن مغزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرة ، ويكون سليما من التكلف ، بعيــدا من سوء الصنعــة ، بريا من التعقيــد ، غنيا عن التأميل » (١١١) . وتولى تفسيره مع ان الجاحظ كان قد نقل قوله هذا في معنى البيان ، وليس في معنى البلاغة ، فقال : « وقال ثمامة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ ؟ قال : » (١١٢) .

ومهما يكن من شيىء ، فقد بذل الرجل جهدا فيما حد به البلاغة ، وجاء به من حدودها الكثيرة المعزوة لاصحابها ، غير المعزوة ، تفسير غير قليل مما قيل فيها وأوضح المراد بها ، حتى ان من الباحثين المعاصرين ، من آثر أن يبدأ الحديث عن البلاغة بحديثه ، محقا في هذا أو غير محق فيه (١١٣) .

(١٠٩) نفسه : ٤٣ .
(١١٠) نفسه : ٤٧ — ٤٨ . (١١١) الصناعتين : ٤٢ .
(١١٢) البيان والتبيين ١٠٦/١ . (١١٣) معجم البلاغة العربية ٩١/١ .

وقال عبد الكريم النهشلي القيرواني – ٤٠٣ هـ : « وانما سميت البلاغة بلاغة لابلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع » (١١٤) .

وعنون الثعالبي – ٤٢٩ هـ الفصل الرابع والخمسين من كتابه المبهج بعنوان : « في ذكر البلاغة والبلغاء ، ووصف الكلام البارع » (١١٥) ، وسأقتصر اولا على ايراد النصوص ، التي ذكر فيها ذكر البلاغة والبلغاء صراحة ، في هذا الفصل وغيره من فصول هذا الكتاب ، لقولـه في مقدمته : « . . . وبعد فهذا كتاب عولت فيه على خواطري لا على دفاتري ، وعلى قولي لاعلى منقولي ، وعلى فكري لا على ذكري . وجلوته في معرض المبتدع المخترع ، لاالمبتذل المفترع . . » (١١٦) ، وألحق بها بعد ذلك ، النصوص التي وردت في كتبه الاخرى . فجاء في نصوص الفصل قوله :

« أبلغ الكلام ما حسن ايجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صدوره أعجازه . البليغ من اذا رمى هدف البلاغة أصاب ، واذا استدر سحاب الصـواب صاب .

البليغ من يبلغ الاغراض البعيدة بالالفاظ القريبة .

البليغ من يتجنب الإغراب في الإعراب ، ويترك التوعير والتقعير في الخطاب .

الفاظ البليغ حالية ، وألفاظ العيي خالية .

كلام البليغ معسول ، وكلام العيي مغسول .

البليـغ من فوائده موارد ، وشوارده ونوادره بوادر .

البليغ من يجتني من الالفاظ اسرارها ، ويجتني من المعاني ثمارها .

(١١٤) المتع : ٢١١ . (١١٥) المبهج : ٤٤ . (١١٦) نفسه : ٢ .

كلام البليغ في حلة من الحلاوة ، وحلية من الطلاوة .

كلام البليغ فصوص مصفوف .

كلام البليغ فصول مدبجة ، وكلام العيي فضول مثبجة .

البليغ اذا نطق طبق المفصل ، واذا كتب نسق الدر المفصل » (١١٧)

وقال في فصل آخر منه :

« البليغ من اذا تكلم أضحك القطوب ، واذا خطب دفع الخطوب »(١١٨)

وجاء بأقوال في حديثه عن الكتاب والبلغاء في كتابه التمثيل والمحاضرة تحت عنوان « من كتاب المبهج » مع أن منها ما لم يكن — كذلك — في المبهج واكثرها لم يرد لما ذكر في المبهج بأي شكل من الاشكال . فمما وزد على نحو مغاير لما في المبهج قوله : « البليغ من يحوك الكلام على حسب الاماني ، ويخيط الالفاظ على قدود المعاني » (١١٩) .

مع انه في المبهج « الكاتب » بدلا من البليغ ، (١٢٠) ومثل ما في المبهج في النسخة « أ » من كتاب التمثيل والمحاضرة ذاته ، كما ذكر محققه الفاضل ، غير انه ثبت في المتن لفظ البليغ (١٢١) . ويكاد يكون كل ما جاء به من نصوص هذا القسم — بعد هذا النص — ليس من كتاب المبهج لعدم وجودها فيه ، ولان اكثرها جاءت معزوة لغيره خلافا لما صرح به في المبهج ، ولاختلاف النهج الذي انتهجه هنا عما انتهجه في المبهج. فقد نسب الى أبي عبد الله وزير المهدي أنه قال : « البلاغة ما فهمته العامة ، ورضيته الخاصة » (١٢٢) ،

---

(١١٧) المبهج : ٤٤ .

(١١٨) نفسه : ٤٧ .

(١١٩) التمثيل والمحاضرة : ١٥٧ .

(١٢٠) انظر : المبهج .

(١٢١) التمثيل والمحاضرة : ١٥٧ .

(١٢٢) نفسه : ١٥٨ .

وقال : قال غيره : « ابلغ الكلام ماسبق معناه لفظه » (١٢٣) . ونسب الى ابن المعتز أنه قال : « البلاغة أن تبلغ المعنى ، ولم تطل سفر الكلام » (١٢٤) .

وجاء بعبارة : « خير الكلام ما كان لفظه فحلا ، ومعناه بكرا » (١٢٥) مغفلة ، وكذلك العبارة : « البلاغة ما صعب على التعاطي ، وسهل على الفطنة » (١٢٦) .

والذي يبدو لي أن الثعالبي لم يرد بقوله « من كتاب المبهج » غير الاقوال الثلاثة الاولى التي جاءت بين قوله هذا والبيتين اللذين عزاهما الى أبي الفتح وتهيــأ للمحقق الفاضل أنهــا جميعا من كتاب المبهج (١٢٧) . ومهما يكن من شيىء فان ماقاله اكثر مما نقله ، وان لم يكن يرمي في الذي قاله الى وضع حد جامع مانع بقدر ما أراده من صياغة الافكار ، والمفاهيم التي وقف عليهــا وتمثلها من أقوال غيره ، والافتنان في صياغتها ، افتنانا يعرب عن مكانة البلاغة ونفاستها .

ولقد خصص ابن رشيق القيرواني ــ ٤٥٦ هـ بابا للبلاغة ، جاء فيه بكثير مما قيل فيها ، منسوبا وغير منسوب ، ومما جاء فيه قوله :

« . . وسئل بعض البلغاء : ما البلاغة ؟ فقال : قليل يفهم ، وكثير يسأم .

وقال آخر : البلاغة اجاعة اللفظ ، واشباع المعنى .

وسئل آخرفقال : معان كثيرة ، في الفاظ قليلة .

وقيل لاحدهم : ما البلاغة ؟ فقال : اصابة المعنى وحسن الايجاز.

---

(١٢٣) الموضع نفسه . (١٢٤) الموضع نفسه .

(١٢٥) الموضع نفسه ، مع ان الثعالبي نفسه كان قد عزاه الى عبدالحميد الكاتب في الاعجاز والايجاز : ١١١ .

(١٢٦) الموضع نفسه . (١٢٧) : نفسه ١٥٧ .

وسئل بعض الاعراب : من ابلـغ الناس ؟ فقال : اسهلهم لفظا ، وأحسنهم بديهة » (١٢٨) .

وقال : « وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ فقال : ابلاغ المتكلم حاجته بحسن افهام السامع ، ولذلك سميت بلاغة » (١٢٩) .

وقال آخر : البلاغة أن تفهم المخاطب بقدرفهمه ، من غير تعب عليك .

وقال آخر : البلاغة معرفة الفصل من الوصل .

وقيل : البلاغة حسن العبارة مع صحة الدلالة .

وقيل : البلا غة أن يكون أول كلامك يدل على آخره ، وآخره يرتبط بأوله .

وقيل : البلاغة القدرة على البيان ، مع حسن النظام .

. . . .

وقالوا : البلاغة ضد العي ، والعي : العجز عن البيان

. . . .

وقيل لبعض الجلة : ما البلاغة ؟ فقال : تقصير الطويل ، وتطويل القصير. — يعني بذلك القدرة على الكلام » (١٣٠) .

ونقل عن عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث :

« البلاغة الفهم والافهام ، وكشف المعاني بالكلام ، ومعرفة الاعراب ، والاتساع في اللفظ ، والسداد في النظم ، والمعرفة بالقصد ، والبيان في الاداء ،

---

(١٢٨) العمدة : ٢٤٢/١ .

(١٢٩) نفسه : ٢٤٤/١ . وهو لعبدالكريم النهشلي . انظر : الممتع له — ٣١١، وهذا البحث : ص ٢٩٤ .

(١٣٠) نفسه : ٢٤٥/١ .

وصواب الاشارة ، وايضاح الدلالة ، والمعرفة بالقول ، والاكتفاء بالاختصار عن الاكثار ، وامضاء العزم على حكومة الاختيار .

قال : وكل هذه الابواب محتاج بعضها الى بعض ، كحاجة بعض أعضاء البدن الى بعض ، لاغنى لفضيلة أحدهما عن الآخر . فمن أحاط معرفة بهذه الخصال فقد كمل كل الكمال ، ومن شذ عنه بعضها لم يبعد عن النقص بما اجتمع فيه منها .

وقال : البلاغة تخير اللفظ في حسن الافهام . » (١٣١) .

واختتم الباب بقوله : « وقد تكرر في هذا الباب من أقاويل العلماء مالم يخف عني ولا اغفلته ، لكن اغتفرت ذلك لاختلاف العبارات .

ومدار هذا الباب كله على ان البلاغة : وضع الكلام موضعه من طول أو ايجاز مع حسن العبارة .

ومن جيد ما حفظته قول بعضهم : البلاغة شد الكلام معانيه وان قصر ، وحسن التأليف وان طال » (١٣٢) . هذا فضلا عن الاقوال الكثيرة التي جاء بها منسوبة الى اصحابها وأخذت اماكنها في هذا البحث بحسب وفياتهم ، ومنها ما أخذه عن الكتب التي سبقته وعاصرته ، ومنها ما انفرد بايرادها مع قدمها .

ولقد بلغ من كثرة ما قيل في البلاغة أن الاقول في وصفها على ألسنة ذوي الصناعات المختلفة فقال الحصري ــ ٤٥٣ هـ تحت عنوان : « أوصاف بليغة في البلاغات على ألسنة أقوام من أهل الصناعات :

(١٣١) العمدة : ٢٤٧/١ .
(١٣٢) نفسه : ٢٥٠/١ . وقد انفرد الحصري بعزو القول الى العتابي . انظر : زهر الآداب ١٢٧/١ ، وهذا البحث : ص ٢٩٩ .

تجمع قوم من أهل الصناعات فوصفوا بلاغاتهم من طريق صناعاتهم وذكر ما قاله الجوهري ، والعطار ، والصائغ ، والصيرفي ، والحداد ، والنجار ، والنجاد والماتح ، والخياط ، والصباغ ، والحائك ، والبزاز ، والرائض ، والجمال والمخنث ، والخمار ، والفقاعي ، والطبيب ، والكحال . ويكفي والوقوف على ما ذكر فيه لفظ البلاغة وما اشتق من مادتها اللغوية صراحة كقول الخياط : البلاغة قميص . . فجربانه (٭) البيان ، وجيبه المعرفة ، وكماه الوجازة ، ودخاريصه (٭) الافهام ، ودروزه الحلاوة ولابس جسده اللفظ ، وروحه المعنى . . . . وقال الجمال : البليغ من أخذ بخطام كلامه ، فأناخه في مبرك المعنى ، ثم جعل الاختصار له عقالا ، والايجاز له مجالا ، فلم يند عن الآذان ولم يشذ عن الاذهان .....

وقال الخمار : أبلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم ، وصفاه راووق (٭) الفهم ، وضمته دنان الحكمة ، فتمشت في المفاصل عذوبته ، وفي الافكار رقته ، وفي العقول حدته . . . .

ثم قال : أجمعوا كلهم على أن أبلغ الكلام ما اذا أشرقت شمسه ، انكشف لبسه ، واذا صدقت أنواؤه اخضرت أحماؤه » (١٣٣) .

وضمن كتابه فصلا آخر بعنوان « فقر في وصف البلاغة لغير واحد»(١٣٤). ونسب فيه الى عبد الحميد بن يحيى قوله: « البلاغة تقرير المعنى في الافهام

٭ جربانه : جيبه . ٭ دخاريصه : ما يوصل به للتوسعة . ٭ الراووق : المصفاة .

(١٣٣) زهر الآداب ١٢٣/١ – ١٢٦ .

(١٣٤) نفسه ١٢٦/١ .

من اقرب وجوه الكلام » (١٣٥) وإلى العتابي انه قال : البلاغة مد الكلام بمعانيه اذا قصر ، وحسن التأليف اذا طال » وجاء باقوال أخرى غير قليلة .

كما انه أورد فصلا بعنوان « » من كلام اهل العصر في صفة البلاغة والبلغاء » (١٣٦) من غير ما عزو ، صدره بما ذهب اليه الثعالبي، لا الرماني كما وهم المحقق الفاضل وهو قوله: « أبلغ الكلام ما حسن ايجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه » (١٣٧). ومما جاء في هذا الفصل قولهم :

« ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سنانه، أو يبسط رهان القول وميدانه بل هي أن امد المراد بالفاظ اعيان، ومعان أفراد ،من حيث لاتزيد على الحاجة ولا اخلال يفضي الى الفاقة .

البلاغة ميدان لايقطع الا بسوابق الاذهان ، ولا يسلك الا ببصائر البيان .. » (١٣٨) .

ووقف ابن سنان الخفاجي على عدد من حدود البلاغة ، ومع عدم اقتناعه بصلاحية أي منها لان يكون حدا لها فانه لم يحاول وضع الحد الذي يرتضيه فقال :

«وقد حد الناس البلاغة بحدود اذا حققت كانت كالرسوم والعلائم، وليست بالحدود الصحيحة، فمن ذلك قول بعضهم : لمحة دالة . وهذا وصف من صفاتها فأما أن يكون حاصرا لها وحدا يحيط بها ، فليس ذلك بممكن ، لدخول الاشارة من غير كلام يتلفظ به تحت هذا الحد .

(١٣٥) نفسه ١٢٧/١ . (١٣٦) نفسه ١٢٨/١ .
(١٣٧) زهر الآداب : ١٢٨ ، وهو للثعالبي في المبهج : ٤٤ .
(١٣٨) الموضع نفسه .

وكذا قال آخر : البلاغة معرفة الفصل من الوصل ، لان الانسان قد يكون عارفا بالفصل والوصل ، عالما بتميز مايختاره من تأليف غيره ، والحدود لايحسن فيها التأول واقامة المعاذير ، وغرابة الفاظ لاتدل على المقصود ، لانها مبنية على الكشف الواضح ، موضوعة للبيان الظاهر ، والغرض بها السلامة من الغامض ، فكيف يوقع من غامض بمثله .

وكذلك قول الآخر : البلاغة ان تصيب فلا تخطئ ، وتسرع فلا تبطئ ، لان هذا يصلح لكل الصنائع ، وليس بمقصور على صناعة البلاغة وحدها . ثم انما سئل عن بيان الصواب في هذه الصناعة من الخطأ ، فجعل جواب السائل نفس سؤاله وبهذا يفسد قول من ادعى أن حدها الايجاز من غير عجز ، والاطناب من غير خطل .

وقول من قال : البلاغة اختيار الكلام ، وتصحيح الاقسام ، لان هذين انما سئلا عن حد يبين الكلام المرفوض من المختار ، ومتى يقع الاطناب مرضيا محمودا فأحال على ما السؤال فيه باق ، وعدم العلم به موجود وحاصل .

وفي البلاغة أقوال كثيرة غير خارجة عن هذا النحو » (١٣٩) .

وهذا الذي ذهب اليه صحيح ، غيران قائلي هذه الاقوال بالذات ، لم يذهب أي منهم الى أن ماقاله انما هو الحد الجامع المانع للبلاغة . مع ان غير واحد ممن سبقه كان قد نص صراحة على أن ماقاله في البلاغة انما هو حدها ، الذي أراده لها وعال التاطه ، ، كاسحاق بن وهب مثلا . فأقوال هؤلاء أولى بمناقشته من الاقوال التي ناقشها . ولقد تجنب أن يتولى وضع حد لها .

أما الشيخ عبد القاهر الجرجاني — ٤٧١ هـ فقد أوضح ما كان آثره الجاحظ من الاقوال في البلاغة من غير ما اشارة للجاحظ فقال :

(١٣٩) سر الفصاحة : ٦٠ — ٦١ .

« . . . فان قلت : فيجب — على هذا — أن يكون التعقيد والتعمية ، وتعمد ما يكسب المعنى غموضا مشرفا له ، وزائداً في فضله ، وهذا خلاف ما عليه الناس ، ألا تراهم قالوا : خير الكلام ماكان معناه الى قلبك اسبق من لفظه الى سمعك ؟ فالجواب : اني لم ارد هذا الحد الزائد من الفكر والتعب ، وانما أردت القدر الذي يحتاج اليه في نحو قوله : ..

« فان المسك بعض دم الغـزال »

فانما ارادوا بقولهم : « ماكان معناه الى قلبك اسبق من لفظه الى سمعك » أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ وتهذيبه ، وصيانته من كل ما أخل بالدلالة، وعاق دون الابانة ، ولم يريدوا أن خير الكلام ماكان غفلا ،مثل ما يتراجعه الصبيان ، ويتكلم به العامة في السوق .

وهذا ، وليس اذا كان الكلام في غاية البيان ، وعلى ابلغ ما يكون من الوضوح أغناك ذاك عن الفكرة ، اذا كان المعنى لطيفا ، فان المعاني الشريفة اللطيفة لابد فيها من بناء ثان على أول ، ورد تال الى سابق ... » (١٤٠).

وخصص فصلا للبـلاغة والفصاحة ، غير انه لم يكن فيه معنيا بالانتهاء الى وضع حد لأي منهما ، وانما كان معنيا بوضع اليد على سبب المزية ، والفضل في الكلام البليـغ أو الفصيح ، فقال: « .. وفي تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك ، مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض ، من حيث نطقوا وتكلموا ، وأخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد ، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم .

ومن المعلوم أنه لامعنى لهذه العبارات ، وسائر مايجري مجراها ، مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة ، وينسب فيه الفضل والمزية اليه دون المعنى ،

(١٤٠) اسرار البلاغة : ١٢٧ ، ١٣٢ — ١٣٣ .

غير وصف الكلام بحسن الدلالة ، وتمامها فيما له كانت دلالة ، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وازين ، وآنق وأعجب ، وأحق أن تستولي على هوى النفس ، وتنال الحظ الاوفر من ميل القلوب وأولى بأن تطلق لسان الحمد ، وتطيل رغم الحاسد ، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتي المعنى من الجهة التي هي اصح لتأديته ، ويختار اللفظ الذي هو أخص به ، واكشف عنه ، وأتم له وأحرى أن يكسبه نبلا ، ويظهر فيه مزية . . » (١٤١) .

وتحدث محمد بن حيدر البغدادي — ٧١٥ هـ عن البلاغة قائلا :

« والبلاغة ليست الفاظا فقط ، ولا معاني فحسب ، بل هي الفاظ يعبر بها عن معان ، ولكن ليس كما اتفق ، ولا كيفما وقع ، لان ذلك لو جرى هذا المجرى لكان اكثر الناس بليغا . . . ولهذا السبب قال بعضهم في وصف كاتب بليغ : ان أخذ شبر اكفاه ، وان تناول طوماراً ملاه . يذهب بهذا القول الى ان البليغ يحتاج في موضع الى الاطالة والاسهاب ، كما يحتاج في آخر الى الاختصار ، والايجاز ، الا ان اكثر ما عليه الناس في البلاغة : انها الاختصار ، وتقريب المعنى بالالفاظ القصار ، حتى اذا سئل بعض الناس عن البلاغة قال : هي لمحة دالة . مذهب العرب وعادتهم في العبارة ، فانهم يشيرون الى المعنى بأوحى اشارة ، ويستحبون ان تكون الالفاظ أقل من المعاني في المقدار والكثرة » (١٤٢) .

وحشر ابن منقذ — ٥٨٤ هـ كثيرا مما قيل في تجويد الكلام وتحسينه ، في باب التهذيب والترتيب من كتابه ، فقال : « . . ولكن كلامك سليما من التكلف ، بريئا من التعسف ، وليحط لفظك بمعناك ، ويشتمل على مغزاك ، فان البلاغة سرعة جواب في صواب ، وأن تقول فلا تبطىء ، وتصيب فلا

(١٤١) الدلائل : ٣٥ .
(١٤٢) قانون البلاغة — ٢٣ — ٢٤ .

تخطئ ، . والعي اكثارٌ اعذار ، وابطاء في اخطاء . . وقدر اللفظ على قدر المعنى ، لازائداً ولا ناقصا ، كمـــا قيل في مدح بعض الكتاب : كان الفاظه قوالب معانيه . وقيل في آخر : كان اذا أخذ شبرا كفاه ، وان أخذ طومارا ملاه . واستعمل التطويل في مكانه ، والتقصير في مكانه . . واعلم أن خير الكلام المطمع الممتنع ، واحسنه ما قل ودل ، وجل ولم يمل ..»(١٤٣).

وذهب الرازى ٦٠٦ هـ الى ان البلاغة : « بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه ، ، مع الاحتراز عن الايجاز المخل والاطالة المملة . . » (١٤٤) .

وقال السكاكي — ٦٢٦ هـ : « البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها . ولها — أعني البلاغة — طرفان أعلى وأسفل متباينان تباينا لايتراءى له ناراهما ، وبينهما مراتب تكـــاد تفوت الحصر متفاوتة ، فمن الاسفل تبتدىء البلاغة وهو القدر الذي اذا أنقص منه شيء التحق ذلك الكلام بما شبهناه في صدر الكتاب من اصوات الحيوانات ، ثم تأخذ في التزايد متصاعدة الى أن تبلغ حد الاعجاز ، وهو الطرف الاعلى ، وما يقترب منه » (١٤٥) .

وقال ابن الاثير — ٦٣٧ هـ : « اما البلاغة فان أصلها — في وضع اللغة — من الوصول والانتهاء ، يقال : بلغت المكان ، اذا انتهيت اليه ، ومبلغ الشيء منتهاه وسمي الكلام بليغا من ذلك ، أى انه قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية.

والبلاغة شاملة للالفاظ والمعاني ، وهي أخص من الفصاحة ، كالانسان من الحيوان ، فكل انسان حيوان ، وليس كل حيوان انسانا . وكذلك يقال : كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل كلام فصيح بليغا .

(١٤٣) البديع — ٢٩٧ — ٢٩٨ . (١٤٤) نهاية الايجاز : — ٩ .
(١٤٥) المفتاح : — ٢٢٠ — ٢٢١ .

ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام ، وهو أنها لاتكون الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب ، فان اللفظة لايطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة ؛ اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن ، وأما البلاغة فلا يوجد فيها ، لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاما » (١٤٦) .

وقال الصفدي — ٧٦٤ هـ معقبا على هذا بقوله : (أقول : قد ادعى أن هذا الفارق الثاني غير الاول ، وهو هو بعينه ومينه . فانه أراد أولا : كل كلام فصيح يطلق عليه أنه بليغ ولا ينعكس (ه) ومعنى هذا اذا قلنا :

« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنـزل »

فان هذا الكلام بليغ باعتبار ان معناه بالغ في صوغ تركيبه الى حد له توفيه بتمام المراد ، وفصيح باعتبار بيان مفرداته وحسنها وعذوبتها في السمع ، واذا فككنا هذا التركيب ، وأخذنا كل فرد من الفاظه ، كان كل فرد فصيحا ولا يكون بليغا لعدم التركيب في المعنى ، فكانت الفصاحة أعم من البلاغة لأنها وجدت في الافراد والتركيب ، وكانت البـــلاغة أخص لكونها لاتتناول إلا المركب فقط ، فحيث وجدت البلاغة مع عذوبة الالفاظ وجدت الفصاحة ولا ينعكس . فصح أن البلاغة كالانسانية في خصوصها ، والفصاحة كالحيوانية في عمومها . وهذا المعنى موجود بعينه في الفارق الثاني الذي أبداه ، فأنه قال : ان البـــلاغة لا تكون الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب . . الى آخره) (١٤٧) .

---

(١٤٦) المثل السائر : — ١/١١٨—١١٩ .

(ه) أخطأ الصفدي في نقل عبارة ابن الاثير هذه ، وصوابها : كل كلام بليغ فهو فصيح ، وليس كل فصيح بليغا . وقد نقلها هو صوابا في النص ذاته .

(١٤٧) نصرة الثائر : — ٧٧ — ٧٨ .

والحق أن الحديث عن اللفظة المفردة وما يمكن أن تنعت به غير الحديث عن جملة الكلام المركب من تلك الالفاظ ومعناه ، وإن انتهى الحديث في كليهما الى عموم الفصاحة وخصوص البلاغة .

وأماابن أبي الأصبع — ٦٥٤ هـ فقد ذهب — في حسن البيان — الى القول : « . . وحقيقة حسن البيان اخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة لـه وايصاله الى فهـم المخاطب بأقرب الطـرق وأسـهلها ، فإنه عين البلاغة .. » (١٤٨) .

وذهب التنوخي — حوالي ٦٩٧ هـ في البلاغة مذهبا لا يخلو من غرابة بعد ذكره لمعناها اللغوي فقال : « . . ومعنى البلاغة انتهاء الشيء الى غايتـه المطلوبة . . . والبلاغة تتعلق بالمعنى فقط ، وهو ان يبلغ المعنى من نفس السامع مبلغه ، ومما يعين على ذلك الفصاحة في كلام العرب ، لا أن الفصاحة من أجزاء البلاغة ، فان الاعجمي اذا كلم الاعجمي ، فبلغ منه المعنى مبلغه كان كلامه بليغا ، ووصف بالبلاغة ، وليس من كلام العرب » (١٤٩) .

فأن أراد بقوله « وليس من كلام العرب » أن الاعجمي كلم صاحبه الاعجمي بلغتهما الاعجمية وبلغ منه ما بلغ فقد فاته أن الحديث عن البلاغة العربية لا بلاغة اللغات الاخرى ، وأن اراد انه كلم صاحبه بكلام عربي ، مشوب بالعجمة التي عد معها انه ليس من كلام العرب ، فالمتحدث بليغ ايضا في نظر صاحب الاعجمي وامثاله لا غير ، فهو ليس ببليغ ولا فصيح في نظر العرب فلا وجه للاحتجاج به وبكلامه على العرب والعربية وبلاغتهما ، وقد أوضح الجاحظ من قبل ما كان قد عناه العتابي بقوله : كل من أفهمك حاجته

---

(١٤٨) بديع القرآن : — ٢٠٤ .

(١٤٩) الاقصى القريب : — ٣٢ .

فهو بليغ . بل لقد ذهب أبو النجم العجلي الى وصف الحمار بالفصاحة في آذان الاتن مع انه أعجم عند الناس فقال :

« أعجم ، في آذانها فصيحا » (١٥٠)

فلا ادري أي وجه للاحتجاج على العرب فيما اشترطوه في فصاحة كلامهم وبلاغته بكلام الاعجمي للاعجمي ، بلغتهما أو بالعربية المشوبة الملحونة ؟؟

ولقد ذهب شهاب الدين محمود الحلبي — ٧٢٥ هـ الى مثل ما ذهب اليه الرازي في البلاغة فقال : « البلاغة أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده ، في ايجاز بلا اخلال ، واطالة من غير إملال » (١٥١) .

وذهب الى مثل هذا شهاب الدين النويري — ٧٣٣ هـ من غير ما إشارة ، للاطالة وما اشترط فيها ، فقال : « فأما البلاغة فهي أن يبلغ الرجل بعبارته كنه مافي نفسه . ولا يسمى البليغ بليغا الا اذا جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل ، وهو المسمى ايجازا . . . » (١٥٢) .

وأورد كثيرا مما قيل في البلاغة ، وأخطأ في نسبة غير قليل مما أورده منها منسوبا (١٥٣) .

ومع أن القزويني — ٧٣٩ — هـ ملخص لمفتاح العلوم للسكاكي فقد ذهب الى غير ما انتهى اليه السكاكي حيث قال : « والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وهو مختلف ، فان مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام كل من التنكير والاطلاق والتقديم والذكر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ومقام الايجاز يباين مقام خلافه ، وكذا خطاب الذكي

(١٥٠) اللسان : — مادة / نصح .
(١٥١) حسن التوسل : — ١٠٣ .
(١٥٢) نهاية الارب : — ٧/٤ .
(١٥٣) نفسه : — ٧/٦ — ٩ .

مع الغبي . ولكل كلمة مع صاحبتها مقام . وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب ، وانحطاطه بعدمها ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب. فالبلاغة راجعة الى اللفظ باعتبار افادته المعنـى بالتركيب وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة أيضا . ولها طرفان: أعلى وهو حد الاعجاز وما يقرب منه وأسفل وهو ما اذا غير الكلام عنه الى ما دونه ، التحق — عندالبلغاء بأصوات الحيوانات وبينهما مراتب كثيرة، وتتبعها وجوه أخر تورث الكلام.

وفي المتكلم : ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ : نعلم أن كل بليغ فصيح ، ولا عكس ، وأن البلاغة مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، والى تمييز الفصيح من غيره . والثاني منه مايبين في علم متن اللغة أو التصريف أو النحو ، وأن يدرك بالحس ، وهو ما عدا التعقيد المعنوي .

وما يحترز به عن الاول علم المعاني ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان وما يعرف به وجوه التحسين علـم البيان ، والثـلاثة علم البديع » (١٥٤) .

وقد أخذ اكثر الذين جاؤوا بعده بهذا الذي انتهى اليه القزويني في حد البلاغة واقسامها ، وبخاصة أولئك الذين اتخذوا من تلخيصه أو ايضاحه قطب الرحى لمؤلفاتهم البلاغية . كبهاء الدين السبكي — ٧٧٣ هـ (١٥٥) وسعد الدين التفتازاني — ٧٩١ هـ (١٥٦) ، وأبي يعقوب المغربي — ١١١٠ هـ (١٥٧) ، ومحمد بن عرفة الدسوقي — ١١٣٠ هـ (١٥٨) وغيرهم من أصحاب الشروح

(١٥٤ — ١٥٨) انظر ايضاح القزويني ، وعروس الافراح ، ومختصر السعد ، ومواهب الفتاح وحاشية الدسوقي : — كلها ضمن شروح التلخيص — ١/١٢٢ — ١٢٧ ، وتلخيص القزويني : ٢٣ — ٣٧ .

لتلخيصه أو ايضاحه والمختصرات والحواشي والتعليقات التي دارت في فلكهما .

غير ان العلوى — ٧٤٩ هـ جاء بشيء مما ذهب اليه ابن الاثير وما ذهب اليه الرازى ، وما ذهب اليه غيرهما ، فقال : « اعلم ان البلاغة في وضع اللغة هي الوصول الى الشيء والانتهاء اليه ، فيقال : بلغت البلد أبلغه بلوغا والاسم منه البلاغة . وسمي الكلام بليغا ، لانه قد بلغ به جميع المحاسن كلها في الفاظه ومعانيه . وهو في مصطلح النظار من علماء البيان ، عبارة عن الوصل الى المعاني البديعة بالالفاظ الحسنة . وان شئت قلت : هي عبارة عن حسن السبك مع جودة المعـاني .

والمقصود من البلاغة هو وصول الانسان بعبارته كنه ما في قلبه ، مع الاحتراز عن الايجاز المخل بالمعاني ، وعن الاطالة المملة للخواطر . . . واعلم ان البلاغة مختصة بوقوعها في الكلم المركبة دون المفردة فلا يوصف الكلام بكونه بليغا ، الا اذا جمع الامرين جمعا من حسن اللفظ ، وجودة المعنى فمتى كان هكذا ، وصف بالبلاغة ، فان كان المعنى جزلا ، واللفظ غير فصيح ، أو كان اللفظ فصيحا وكان معناه ركيكا ، فانه لا يوصف بالبلاغة أصـلا . . . واعلم انه لا خلاف بين أهل التحقيق من علمـاء البيان ، أن الكلام لايوصف بكونه بليغا ، الا اذا حاز مع جزالة المعنى فصاحة الالفاظ ولا يكون بليغا الا بمجموع الامرين كليهما . فقد صارت البلاغة وصفا عارضا للالفاظ والمعاني كما ترى » (١٥٩) .

واقتصر ابن قيم الجوزية — ٧٥١ هـ على طائفة من القول في البلاغة واشتقاقها فقال : « قال علماء هذا الشأن : ان حد البلاغة : بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في نفسه ، مع الاحتراز من الايجاز المخل والتطويل الممل .

(١٥٩) الطراز : — ١/١٢٢ — ١٢٨ .

وقال قوم : البلاغة ايصال المعنى الى القلب في احسن صورة من اللفظ .

وقال خالد بن صفوان : أبلغ الكلام ماقلت ألفاظه ، وكثرت معانيه وخير الكلام ما شوّق أوله الى سماع آخره .

وقال غيره : انما يستحق الكلام اسم البلاغة ، اذا سبق لفظه معناه الى قلبك . . . وقال علماء هذا الشأن : ان اشتقاق البلاغة من البلوغ الى الشيء وهو الوصول .

ويجوز — عندي — أن يكونْ الكلام البليغ : الذي بلغ من جودة الالفاظ، وعذوبة المعاني الى غاية لا يبلغ الى مثلها الا مثله . » (١٦٠) .

وهذا الذي انتهى اليه خير — فيما أرى — من كثير مما نقله ، ولكن أكثر البلاغيين الذين جاؤوا بعد القزويني ، كانوا قد اتخذوا من قوله في البلاغة مصطلحا لها ، ودخل في كتب التعريفات والمصطلحات ، فقال الشريف الجرجاني — ٨١٦ هـ : « البلاغة في الكلام : مطابقته لمقتضى الحال — المراد بالحال الامر الداعي الى التكلم على وجه مخصوص — مع فصاحته ، أي : فصاحة الكلام . » (١٦١)

ودخل المصطلح — بهذه الدلالة كذلك — في كتب البلاغة العربية المحدثة والمعاصرة . غير ان عدداً قليلاً من البلاغيين المحدثين آثر الاستعاضة عن لفظ البلاغة بغيره ، لعل من أبرزهم الاستاذ امين الخولي الذي آثر عليه فن القول (١٦٢) .

كما ان هؤلاء من اشار الى ابتهام لفظ البلاغة وقصور مفهومه ، فقال استاذي الدكتور عبدالرزاق محيي‌الدين رحمه الله .

---

(١٦٠) الفرائد : ٩ .
(١٦١) التعريفات : ٤٠ .
(١٦٢) انظر : فن القول .

« . . ثم اعطف — بعد ذلك — على مصطلح البلاغة . وقد اخذت من بلوغ الشيء ، والانتهاء اليه ، فالكلام البليغ : ما بلغ الغاية في أداء المعنى والكاتب البليغ ، والشاعر البليغ : من بلغ القصد من عبارته .

وقد ظلت هذه الكلمة غير وافية بالمعنى الذي أريد لها أن تبلغه ، واستعملت ردفا للفصاحة وللبراعة وللبيان وللبديع • كما ظلت مرددة بين أن تكون صفة للفظ ، أو صفة للمعنى ، أو صفة للاسلوب الذي يجمع بينهما ، الى أن استقر بها ، وبرفيقتها الفصاحة الامر ، فكان اللفظ من حصة الفصاحة ، وكان الاسلوب — اللفظ المركب مؤدى به معنى ، مع شرط الفصاحـــة — وكان أن حددت بـ — مطابقة الــكلام لمقتضى الحال مـــع فصاحته — . . . والتعريف — على دقته وشموله — يتصف بالغموض والابتهام على الصورة التي يعرفها السادة الزملاء . وفي مفتاح العـــلوم وتلخيصه وشروحهما محاولات مجهدة لتوضيحه ومع هذه الصورة من الغموض . وظل التعريف كما هو في الكتب المحدثة . » (١٦٣)

وغير خاف أن البحث في البلاغة ، وليس في فن القول ولا غيره مما اقترح أن يكون بديلا عنها ، ولا في المقارنة والموازنة بينها وبين تلك البدائل المقترحة، كما أن البحث معني بدلالة البلاغة على النحو الذي فهمت به عند المعنيين بها. وليس معنيا بعسر وغموض ما حدث به أو سهولته ووضوحه .

واستاذي رحمه الله لم يتردد في نعت حدها بالدقة والشمول ، ولم يعدل عنه الى غيره مع ما قاله فيه .

ومهما يكن من شيء ، فقد وقفنا على جل ما وصل الينا مما قيل في البلاغة ان لم أقل كله منذ العصر الجاهلي الى يومنا هذا ، ورأينا أن كل هذه الاقوال

(١٦٣) مفاهيم بلاغية : ٦ — ٧ .

- بما فيها قول العتابي - انما تنصرف الى الحذق والمهارة ، والاصابة والاجادة والاحكام والتمكن ، وغير ذلك مما يمكن أن يوصف به حذاق القول وصاغة الكلام لا الى مجرد ابلاغ السامع ما يريده القائل كيفما اتفق فهي تجلية المعنى العزيز باللفظ الوجيز وتطبيق المفصل قبل التحزيز ، وألا تبطئ ، والاقتصار على الايجاز وتنكب الفضول ، وتقريب بعيد الحكمة بأسهل عبارة ، ودنو المأخذ ، وقرع الحجة : والقول المفقه في لطف ، وما رضيته الخاصة وفهمته العامة ، وتخير اللفظ في حسن افهام ، واستباق اللفظ والمعنى ، فلا يكون اللفظ الى السمع اسرع من المعنى الى القلب ، ومطابقة فصيح الكلام لمقتضى الحال ، وغير هـذه الاقوال التي لاتفضي الا الى تعزيز ما انتهوا اليه في تحقيقها لغة من أنها الافتنان في اختيار عناصر الكلام والمهارة في الصياغة أو النظم وتخليص الكلام من كل ما يمكن أن ينقض منه ، فهي نضج الكلام واكتماله .



عرض الكتب

ملاحظات على كتاب

سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر

الخطاط وليد الأعظمي

صدر في بيروت سنة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م الطبعة الاولى من كتاب (سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر) تأليف درويش بن محمد الطالويّ الأرتقيّ الدمشقيّ ، المتوفى سنة ١٠١٤ هـ . بتحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي ، الموظف في معهد المخطوطات بالقاهرة .

وقد تضمّن الجزء الاول ٣٢٤ صفحة ، والجزء الثاني ٣١٧ صفحة .

وكتب المحقق مقدمة ضافية وافية ، بلغت ٧٨ صفحة تناول فيها بحثاً جيداً عن المطارحات الادبية ، والذين كتبوا فيها ، مع ترجمة واسعة للمؤلف ، ثم تكلم عن منهجه وعمله في التحقيق .

كما تولّى المحقق التعريف بالاعلام في الهامش ، مع شرح بعض المفردات والمواضع ، وتخريج الآيات القرآنية الكريمة ، والاشارة الى الابيات المضمّنة وتخريجها ، مع الاشارة الى ما ورد في النسخ الاخرى المخطوطة من اختلاف.

والكتاب يوضح لنا اساوب القرن العاشر الهجري وأدبه ، وفيه فوائد عن الصلات الادبية والعلاقات بين رجاله .

ويكاد الكتاب ينحصر في علاقات مؤلفه باصحابه ، فهو الى المذكرات الشخصية أقرب منه الى عنوانه ، لأنه لم يتناول مطارحات بني العصر بصورة واسعة وشاملة ، وانما اقتصر على اصحاب المؤلف وشيوخه ، وبعض الولاة والقضاة .

وقد وجدت في الكتاب اوهاماً كثيرة ، واغلاطاً مثيرة ، فضلاً عن اغلاط الطباعة ، وبخاصة ما يتعلق بالتشكيل ، فقد زحفت الحركات عن مواضعها ، فعاد التشكيل إشكالا ، والتصحيح إعلالاً . وها أنا ادوّن ملاحظاتي حسب تسلسل صفحات الكتاب :

١ / ٤٨ س ٩ :

(... كما نراه يمدح سنان باشا بن جعال ، احد ولاة دمشق) .

ذكره (جعال) بالعين المهملة ، وذكره في ٢ / ٢٣٤ و٢٣٧ (جفال) بالفاء ، والصواب : (جغاله) بالغين المعجمة . وكان والياً في بغداد سنة ٩٩٥ هـ لمدة سنة واحدة ، ثم وليها سنة ٩٩٩ هـ ، وعمّر فيها خاناً كبيراً يعرف باسم (خان جغاله) والعوام يسمونه (خان جغان) يقلبون اللام نوناً ، وهو مشهور باسم (جغاله زاده سنان باشا) واسمه الحقيقي (يوسف) . وتولى عدة إيالات وتوفي سنة ١٠١٤ هـ .

(انظر تاريخ العراق بين احتلالين ٤ – ١١٨ و١٢٧ وكلشن خلفا ص ٢١٠)

١ / ٧٥ س ٩ :

(وتقع هذه النسخة في سبعة وعشرين ومائتي ورقة ...)

والصواب : في سبع وعشرين ...

١ / ٨٣ س ١٠ :

(... ونبوّ طباعه الغير مستقيمة ..)

والصواب : ... غير المستقيمة ..)

١ / ٩٣ س ٢ :

(أندى يداً منك أولى منك عارفةً أمضى شباة أدنـى منك إحسانا)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : أمضى شباة وأدنى منك إحسانا .

١ / ٩٣ س ١٢ :

(والأب لما أنأت الايام من دنف   لازلت ترفع للمعروف بنيانا)
وصوابه : وارأب ...

١ / ٩٧ س ١٣ :

(...   والعين سكرى بالدموع المُسْبَلِ)
الصواب : والعين شكرى ... بالشين المعجمة ، اي ممتلئة من الدمع ، جاء في لسان العرب : (وضرّة شكرى ، اذا كانت ملأى من اللبن ، وقد شكِرَتْ شَكَراً) . انظر : مادة (ش ك ر) .

١ / ١٠٢ س ١٢ :

(اقلامه السمر في بيض الطروس اذا   مشت أرتاك فعال البيض السمر)
عجز البيت معلول صوابه : (.... فعال البيض والسمر) .

١ / ١٠٥ س ٤ :

(يا من له همــة ما نال غايتهـا   بدر السماء ولا السيارة الزهر)
الصواب : ... ولا سيارة الزهر . بالاضافة ؛ لأن القصيدة مكسورة القافية .

١ - ١٠٦ س ١٣ :

(فأعرضت لبياض لاح قائلة   يا بعده منتبذاً عنّا ومطّرحا)
ان عجز البيت مختل الوزن .

١ / ١٠٩ س ٣ :

(فكلّ ذي لسن أعيـا بمنطقه   حتى يُظنّ به قبل ما فصحا)
عجز البيت معلول وصوابه : حتى يُظنّ به من قبل ما فصحا .

١ / ١٠٩ س ١٧ :

(واعذر اخا فكرة بالتُّرك مقفلة   لولا امتداحك باب النظم ما فتحا)
الصواب : ... بالتّرك .. بفتح التاء لا ضمّها .

١ / ١١٠ س ٨ :

(ولا أغبّت ربعه ديمة مجاوبة المرزم ذات انصباب)

قال المحقق في الهامش : (المرزم : الريح ، او ريح الشمال الباردة ، ومجاوبة اي تحدث جلبة من شدتها) .

قلت : الصواب ، محلوبة ، بالحاء المهملة ، والريح تحلب السحاب وتعصره .

١ / ١١١ س ١٦ :

(مقلوبه يا صاح ما يُتّقى به من الأعداء وُقّيت المصابْ)

عجز البيت معلول ، وصوابه : به من الأعدا وُقيت المصابْ . بحذف همزة الاعداء ، وعدم تشديد القاف .

١ / ١١١ س ١٨ :

(حكى سجاياك واقعالها ومن سجايا المرء ما يُستطابْ)

ان صدر البيت معلول ، وصوابه : حكى سجاياك وأفعالها .

١ / ١١٢ س ٧ :

(... فأجاب بما يسحر الالباب من الجواب ، بل يفعل فعل البابلي المعتّق ، والعاني المروّق ..) وكتب المحقق في الهامش : العاني : الاسير المقيّد .

قلت : صحيح إن العاني تعني الأسير . لما يعاني من الأسر والقيد ، ولكن المؤلف هنا يقصد بالعاني : الشراب المنسوب الى مدينة عانة ، وقد اكثر من ذكره الشعراء .

وأين هذا من ذاك ؟ فتأمل .

١ / ١١٢ س ١٣ :

(ونادمتني – صاح – بألفاظها فرحت سكران بغير الشرابْ)

وصدر البيت معلول . ولعل صوابه : ونادمتني صاح الفاظها . بغير حرف الباء .

١ / ١١٥ س ٨ :

(ويا ظبي ما هذا النثار الى متـــى   أما آن تعطو الظباء الكوانـــس)

ان عجز البيت معلول وصوابه : أما آن أن تعطو الظباء الكوانس .

١ / ١١٧ س ٩ :

(كسته يد الأنواء وشياً كأنما   حبته بأنواع التصـــاوير فارس)

إن عجز البيت تضمين ، ولم يشر إليه المحقق ، وهو لأبي نواس وتمامه :

تـــدار علينا الراح في عسجديــة   حبتها بانواع التصـــاوير فارس

والبيت في ديوانه ص ٣٧ تحقيق احمد عبدالمجيد الغزالي ، القاهرة ١٩٥٣م.

١ / ١٢٦ س ١١ :

(فتخيلت شرخ شبابي رُدَّ رَيِّقُه   على من كنت مشغوفا به كلفا)

قلت : إن صدر البيت من البسيط ، وعجزه من الهزج . وصواب البيت :

فتخيلت شرخ شبابي رَدَّ رَيِّقَه   عَلَيَّ من كنت مشغوفاً به كلفا

١ / ١٣٤ س ١٤ :

(...   عهد الشباب مضى كطيف مقام)

الصواب : ... كطيف منام .

١ / ١٣٧ س ١ :

(... علي افندي الشهير بأم والد زاده ...)

الصواب : ... الشهير بابن أم ولد زاده ...)

١ / ١٣٩ س ١٠ :

(مـــدى الأيام ما حنّ اشتياقــاً   غريب الى الوطـــن الرخـــيِّ)

عجز البيت معلول ولعل صوابه : غريب حمى الى الوطن الرخيّ .

سانحات دمى القصر

١ / ١٤٣ س ٨ :

(الشهم درويشٌ الغـــراء طلعته   من فاق فضـــلاً على السماك رقى)

عجز البيت معلول ولعل صوابه : من فاق فضلاً به أعلى السماك رقى .

١ / ١٤٣ س ١٤ :

(سرى الكم سلامي الجم أعطره   ما حنّ ناءٍ مشوق قلبـــه للقـــا)

صدر البيت معلول ، وصوابه : سرى إليكم ...

١ / ١٤٧ س ١٤ :

(أما ومبسمُه الـــزاهي لمتســـق   يزري مفلّجه بالدر منتظمـــا)

. . . .

(لاحُلت عن حبّه الأشهى الى كبدي   من الزلال وقد كادت تذوب ظما)

قلت : الصواب : ومبسمِه (بكسر الميم) لأنها مجرورة بواو القسم . والزاهي (بمتسق) بالباء لا باللام .

١ / ١٥١ س ١٥ :

(وقامة كقضيب في كثيب نقـــا   اذا انثنت لعقل الصبّ تغتال)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : اذا انثنت فلعقل الصبّ تغتال .

١ / ١٥٣ س ٢ :

(وطر بجناح العزم نحـــو مطـــارهم
وإياك بالسفـــح من ربـــرب عين)

وعجز البيت معلول ، ولعل صوابه : وإياك عند السفح من ربرب عين .

١ / ١٥٤ س ٢ :

(من أصفرٍ فاقعٍ أو أبيض يققٍ
أو أحمرٍ قانٍ او أخضر نَضِرِ)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : أو أحمرٍ قانٍ او من أخضرٍ نضرِ .

١ / ١٥٨ س ١٥ :

(صبّت في عطفها الصبا ماء حسن
وكساها ريط الجمال بديعه)

ان صدر البيت معلول ، وصوابه : صبّ في عطفها الصّبا ماء حسن .

١ / ١٥٩ س ٧ :

(أطيفٌ سرى وهناً متيّماً ام الروض بكّاه الحيا متبسّما)

ان صدر البيت معلول ، ولعل صوابه : أطيف سرى وهناً إليّ متيّماً .

١ / ١٦١ س ٦

(ويذكره القمري بالأيك ساحقاً
زمان الصبا من شرخه المتقدم)

الصواب : ويذكره القمري بالأيك ساجعاً ، لا ساحقاً ، والقمري يسجع ولا يسحق .

ولعل الناسخ قد صحف الكلمة عند النسخ ، ولم يتنبه اليها المحقق . او تكون من غلط الطباعة .

١ / ١٦٦ س ٥ :

(افديه بالخال وبالخال وال
خال والخال معاً والأبِ)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : خال وبالخال معاً والأبِ .

١ / ١٦٧ س ١ :

(ظلالها تحكي ظلال النقا . . .)

صوابه : صلالها تحكي صلال النقا ، والصلال جمع صلّ ، والكلام على الحيّات والافاعي ، لا على الظلال والافياء .

سانحات دمى القصر

١ / ١٦٩ س ٤ :

(فوحق كوثر مائـه من وال فـي
جنّات عدنمثلـه فلقـد لغـا)

صوابه : فوحق كوثر مائه من قال في .

١ / ١٧١ س ١١ :

(رحـال الهموم هنا تُطرَحُ وصدر الكتُبِ هنـا يُشْـرَحُ)

عجز البيت معلول ، وصوابه : وصدر الكتاب هنا يشرح .

١ / ١٧٣ س ٨ :

(فقيضَ الله مولانـا الوزيـر لـه
فاختـطَّ رحمـة للناس واحتسبا)

عجز البيت معـول . ولعل صوابه : ناختطه رحمـة للناس واحتسبا

١ / ١٧٦ س ١٦ :

(فأبقراط وجالينـوس لـو ابصرا ابزنهـا اذ مُليـا)
(لأقـامـا عندهمـا سوقهمـا بعـلاج نفعـه قـد رُجيا)

صدر البيت الثاني معلول ، وصوابه : لأقاما عندها سوقهما .

١ / ١٧٧ س ٢ :

(فاهـذا جعلـوا تاريخـه
خيـر همـام لطبِّ بنيـا)

صوابه : خير حمّام لطبِّ بنيا . لأن القصيدة في تاريخ بناء حمام الوزير مصطفى باشا في دمشق ، وقد انشأه سنة ٩٩٥ هـ كما ذكر ذلك في اول

القصيدة (مقدمتها) ، ولكن مجموع عبارة التاريخ يساوي ١٠٠٣ ﻫ على حساب الجمّل ، وكان ينبغي ان يجمع حساب التاريخ ، ويشير الى هذا الاختلاف ، ما دام قد فعل في غيره من التواريخ في الكتاب .

١ / ١٧٨ س ٦ :

(يسبي بجمرة خدّه بيض الدمى
وبياض معصمه ورونق ساقه)

قلت : بجمرة خدّه . عبارة لطيفة ، ولكن بحمرة خده ، بالحاء المهملة اولى لأنها تناسب الالوان الاحمر والابيض ..

١ / ١٧٨ س ١٠ :

(قسماً بصبح جبينه لو زارني
جنح الدجى وسعى الى مشتاقه)

(لفرشت خدّي في الطريق مقبّلا
نعم الجفون مواطن استطراقه)

قلت صواب عجز البيت الثاني : بفم الجفون مواطيء استطراقه . وقد صحفت كلمة (بفم) الى نعم . و (مواطيء) الى مواطن والتقبيل بالفم .

١ / ١٨٤ س ١٠ :

(لا زلت في درجات العلم مرتبا
ويهدي بك الله من للقرب يقترب)

صوابه : مرتقياً ، بالياء المثناة لا بالباء الموحدة ، وعجز البيت معلول بالواو الزائدة في أوله ، وصوابه : يهدي بك الله ....

١ / ١٨٥ س ٥ :

(يا مـن يجـرّ عـلى المجـرّه
ذيـــل همتـه العـليّـه)

البيت مدوّر ، وصوابه :

يـا مـن يجـرّ عـلى المجـرّ
ـ ة ذيـــل همتــه العليــــه

١ / ١٨٧ س ٩ :

(لا زلت يـا اتقـى التقـــا
ة على الـــولاة لك المـــزيّـــه)

(مـا تحـرّك الفــلك المحيـــ
ـط بهمـــة نفــس قــويّـــه)

البيت الثاني معلول ، ومعناه غير واضح .

١ / ١٩٥ س ١٦ :

(أقسمت بالرحمـــن لا بالفجـــر
ولا بآنـــاء ليـــالٍ عشْـــرِ)

(ولا بشـــفـعٍ مـــردف بوتـــر
ولا بجنـــح الليـــل حيــن يسري)

(ولا بـــرادات الضحـــى والعصـــر
وما حوى الجمـــار يوم النـــحر)

قال المحقق في الهامش : (وهذان الوقتان يسمّيان الأبردان . لما فيهما من طيب الجو وبرودته ، ولعل هذا هو ما يعنيه الشاعر برادات الضحى والعصر) . قلت : الرادات : جمع رادة ، وهي المرأة التي تكثر الاختلاف الى بيوت

جاراتها ، قال الاصمعي : الرادة من النساء - غير مهموز - التي ترود وتطوف . انظر لسان العرب مادة (رود) .

ويبدو أن المحقق اعتبر الباء في (براد ات) أصلية في الكلمة من البرودة . ولم يفطن الى انها باء القسم كما وردت في البيتين الاول والثاني ، فأين هذا من ذاك ؟ .

١ / ١٩٧ س ٨ :

(... حثاً على طلب علم الحديث ...)

الصواب : ... حاثاً على ...

١ / ١٩٧ س ١٣ :

(فهو الوسيلة المعلى في حاله
ومآله وهو الغمام الصيّب)

صدر البيت معلول ، وصوابه : فهو الوسيلة للعلى في حاله .

١ / ٢٠٤ س ١٠ :

(حتى تبسّم ثغر الصبح عن نفس
وكأنه باللقا والوصل موعود)

عجز البيت معلول ، والواو في أوّله زائدة ، وصوابه : كأنه باللقا والوصل موعود .

١ / ٢٠٨ س ٩ :

(هبّوا فقد هبّ نسيم الصبا
وطائر الاصباح قد أطربا)
(واصطحبوها خندريساً أبى
كل لبيب غيرها مشربا)

الصواب : واصطبحوها ، والاصطباح الشرب عند الصباح ، والاغتباق عند المساء .

١ / ٢١٨ س ١

(ولما أبى البدر إلاّ الخسو ف ومدّ على الأفق أحلاكَهْ) .

جعل المحقق (الهاء) في القافية ساكنة في ابيات القصيدة كافة ، وصوابها (بالضم) .

١ / ٢٢٣ س ٥ :

(بغيتنا شرب مدامة مزّه
لا صيد كركيّ ولا إوزّه)

صدر البيت معاول ، وصوابه : بغيتنا شرب مدام مزّه .

١ / ٢٢٤ س ٦ :

(والنهر خطٌ لهما موازي يذكرني منازل المنازي)
(حيث الحصى ظُنَّ لآلىء عقد)

الشطر الثالث معاول ، وصوابه : حيث الحصى ظُنَّ لآلي عقد .

١ / ٢٣٨ س ٩ :

(وثالثه مع رابعٍ اذا ما قرنته بثانيه يبدو وجه حبي المحجّبِ)

صدر البيت معاول ، وفيه زيادة .

١ / ٢٣٨ س ١١ :

(تراني وقد أبصرته متهللاً اغالب فيه الشوق والشوق أغلب)

إن عجز البيت تضمين من شعر المتنبي في مدح كافور ، وتمامه :

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

وهو في ديوانه ١ / ٢٠١ تحقيق وشرح عبدالرحمن البرقوقي ، القاهرة ١٩٣٨ م ، ولم يشر اليه المحقق ، ولم يعلق عليه .

١ / ٢٣٨ س ١٥ :

(وخذها كروض جاده سبل الحيا وأضحت اغصانها الورق تخطب)

ان عجز البيت معاول ، وصوابه : وأضحت على أغصانها الورق تخطب .

١ / ٢٤٠ س ١٢ :

(فان تهبّ بما لا تشتهي فلقد

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن)

ان عجز البيت تضمين من شعر المتنبيّ ، وتمامه :

ما كل ما يتمنّى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وهو في ديوانه ٤ / ٤٦٤ تحقيق وشرح عبدالرحمن البرقوقي القاهرة ١٩٣٨ م .

١ / ٢٤١ س ١٣ :

(ولا غرو ان طُلتُ المجرّ فانما

بملك رقي الطالويّ اطاول)

ان عجز البيت معاول ، وصوابه : بمالك رقي الطالويّ أطاول .

١ / ٢٤٦ س ١٥ :

(لا نلت في رفعة وفي دعة

وحفظ عيش يطيب مورده)

الصواب : وخفض عيش ... جاء في لسان العرب : يقال عيش خافض ، والخفض والخفيضة : لين العيش وسعته .. وعيش خفضٌ ومخفوض وخفيض : خصيب في دعة وخصب ولين ، والخفض : العيش الطيب ، انظر مادة (خ ف ض) .

١ / ٢٤٩ س ٦ :

(وبـك الكرامـة والكـرا
ـم والعزائم والسماحه)
(عهدي بهمتك العلية إن
تأبّى جامح راضت جماحه)

البيت الثاني معلول ، وفيه تفعيلة زائدة .

١ / ٢٥٥ س ٦ :

(وقال بشراك روض الفضل قلت له
روض ابن بستان ومولانا فقال بلى)

ان عجز البيت معلول ، فيه واو زائدة ، وصوابه ... ابن بستان مولانا ...

١ / ٢٥٦ س ٧ :

(غريبة في بلاد الروم ليس لها
كفواً سواك فأنقذ مهرها عجلا)

صوابه : فأنقد ... جاء في لسان العرب : النقد خلاف النسيئة . وفي حديث جابر وجمله ، قال : فنقدني ثمنه ، اي أعطاني ثمنه نقداً معجلاً . انظر مادة: (ن ق د) .

١ / ٢٥٩ س ٤ :

(إلاّ بقايا مهجة
هي ملك مولىً ذو كرم)

صوابه : ... ذي كرم .

١ / ٢٦٨ س ٩ :

(فمنذ زمزم في ذاك المقام صفا الـ
راووق وزالت وقد لبّيت اكدارُ)

ان عجز البيت معلول ، فيه واو زائدة ، وصوابه : ... زالت ...

١ / ٢٦٩ س ٢ :

(فدم معاناً معين الدين ذا لسن
عذب المقال لا خانتك افكار)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : عذب المقال ولا خانتك افكار .

١ / ٢٧١ س ١٤ :

(ومَن باب مأوى العفاة وركنه
لدى حادثات الدهر ركنٌ مدافعُ)

ان صدر البيت معلول وصوابه : ومَن بابه مأوى العفاة وركنه .

١ / ٢٨٢ س ٩ :

(لولاه لم أرضَ الروم منزلة
عن الشآم سقاها غيث منسجم)

صدر البيت معلول ، وصوابه : لولاه لم أرضَ أرضَ الروم منزلة .

١ / ٣٠٠ س ١٣ :

(وانـي لتعروني لذاكراك هـزة
كما اهتز من جنّ النشاط مروّح)

ان صدر البيت تضمين من شعر مجنون ليلى ، تمامه :

واني لتعروني لذكراك هـزّة
كما انتفض العصفور بللّـه القطـر.

وهو في ديوانه ص ١٣٠ ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ، القاهرة ، وينسب البيت الى ابي صخر الهذلي ايضاً .

١ / ٣٠٢ س ٦ :

(وما عرفوا أنّ القريض لذي النهى
ضروب فمنها ناقص رجيح)

عجز البيت معلول ، وصوابه : ... ناقص ورجيح .

١ / ٣١٢ س ٢ :

(فلي بين هاتيك المعاهد جوذر
حمى القلب يرعى لا الكثيب ولا والسقطا)

عجز البيت معلول ، فيه واو زائدة ، وصوابه : ... لا الكثيب ولا السقطا.

٢ / ٢٠ س ١٠ :

قوله تعالى (وهو الذي انزل السكينة ...)

الواو في أوّله زائدة والصواب : هو الذي انزل السكينة .

٢ / ٣٩ س ١٠ :

(قصيدة الحكيم الفاضل والفيلسوف الكامل ابو علي الحسين بن شبل) .

الصواب : ... ابي علي الحسين بن شبل .

٢ / ٩٢ س ١٥ :

(يغتدي البارع المفيد لديها
لاحقاً بالمقصّر والمستفيد)

ان عجز البيت معلول ، والواو فيه زائدة ، وصوابه : لاحقاً بالمقصّر المستفيدُ .

٢ / ٩٦ س ١٢ :

(وهب الله للمعاني اناس
بذلوا عزمهم وجالوا وصالوا)

صواب صدر البيت : وهب الله للمعالي أناساً .

٢ / ١٠٤ س ١١ :

(أم عقد دُرٍ بالبهاء منضدِ
أبصرته وذاك عندي اكبر)

ان صدر البيت من الكامل : وعجزه من الرجز ، والقصيدة كلها من الرجز ، لذلك ينبغي حذف همزة البهاء ، ليعود من الرجز : ام عقد در بالبها منضد .

ثم يقول بعد أبيات :

(محمدٌ درويشُ مَن فضله
لا يبلغ الحد ولا يُحصَرُ)

وهذا البيت من السريع ، فتأمل .

٢ / ١١١ س ٤ :

(ابن الكرام السابقين لرتبة
شماء يقصر دونها التطاول)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : ... المتطاول .

٢ / ١١١ س ٨ :

(فلا بدع ان يتبع الفرع أصلهُ ، ويجمع الله بالكمالات شمله :)

(درويش منه طنت حصاة فخره
وامتلأ الكون بطيب نشره)

قلت : هي ارجوزة في مدح آل طالو ، ولكن المحقق خدعته السجّعة في السطر الاول وهو مقدمة للقصيدة ، فشطره وجعله هكذا :

فلا بدع ان يتبع الفرع أصله
ويجمع الله بالكمالات شمله

ولم يميز النثر من النظم ، فتأمل !

وصدر البيت من الرجز معلول ، وصوابه : درويش مذ ملئت حصاة فخره والبيت التالي :

فـرع كماه بالمـرام (طالـو)
والعـلوّ والسـموّ طـالـوا

وصواب صدر البيت : فرع نماه بالمرام طالو .

وعجز البيت معلول وصوابه : وبالعلوّ والسموّ طالوا .

٢ / ١٢١ س ٤ :

وظـنّ فيه غير ظـنّ مرجـم
عـلى أنّ ظنّ الألمعـيّ يقيـن

ان صدر البيت معلول : وصوابه : وظنّيَ فيه غير ظنّ مرجم .

٢ / ١٢٤ س ١٣ :

(فكم عمّ منـه فيض جـود لها
وخصّ لعمري أهلها بالندى الغمر)

إن صدر البيت معلول ، ولعل صوابه : فكم عمّ منه فيض جود لأهلها .

٢ / ١٢٤ س ١٤ :

(مرقاه على الفردوس باب جنانها
وناح لغير الحزن من دوحها القري)

صدر البيت معلول .

٢ / ١٢٥ س ١٩ :

(ولاسيمـاالقدسي استاذنـا الـذي
له رتبة في العـلم فـرق النعائـم)

(كذا شيخنا شيخ الطريقـة والحقيـ
قـة منصـور على كـل ظالـم)

ان البيت الثاني معلول .

٢ / ١٢٦ س ١ :

(وسرى الى المقياس والنيـــل طافح
تصافحـــه كف الر ياح النواســـم)

ان صدر البيت معلول ، ولعل صوابه : ويسري الى المقياس والنيل طافح .

٢ / ١٣٠ س ٢١ :

(وحكمـــة ثـــم كلامـــاً بـــه
فقت اهـــل الاعصـــر الماضيـــة)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : قد فقت اهل الأعصر الماضية .

٢ / ١٣١ س ١٢ :

(وسَرَت مع الركبان في مشـــرق
ومغـــرب اكـــرم بهـــا ساريـــة)

ان صدر البيت معلول ، والواو في أوّله زائدة ، وصوابه : سَرَت مع الركبان ...

٢ / ١٣١ س ١٥ :

(وشنّف الآذان بألفـــــاظـــــه
إن كنت ممـــن أذنُه واعيــــة)

ان صدر البيت معلول ، وصوابه : وشنّف الأُذْنَ ... بالمفرد لا بالجمع .

٢ / ١٣٧ س ١٤ :

(روينا حديث المـــاء فيـــه مسلسلاً
عن معين صحّ من طرق أخـــرى)

ان عجز البيت معلول ، ولعل صوابه : كذا عن معين ... او كما عن معين ..

٢ / ١٣٧ س ١٨ :

(وثقت وأرسيت فلك مطالبي
به انها قد اشحنت تبرا)

ان صدر البيت وعجزه معلولان .

١ / ١٤٠ س ١٥ :

(بين سقط اللوى ومعطف بانة
وأثيلات ملتقى كثبانه)

كذا ، وصواب البيت :

بين سقط اللوى ومعطف بانِهْ
وأثيلات ملتقى كثبانِهْ

بكسر النون وسكون الهاء في القافية ، والقصيدة كلها كذلك .

٢ / ١٤٢ س ١٩ :

(قرّبه الله ملكه بك سعداً
فلكاً دائراً بسعد قرانِهْ)

ان صدر البيت معلول . ولعل صوابه : قرن الله ملكه بك سعداً .

٢ / ١٤٨ س ١ :

(آمن دعوتك والهموم
جيوشها قلبي تطاردْ)

(فامزج بحولك كربتي
يا من له حسن العوائد)

البيت الاول صواب اوّله : يا من دعوتك ..

والبيت الثاني صوابه : فأزح بحولك كربتي . والكربة تزاح وليس تمزج .

٢ / ١٤٨ س ٦ :

(يسّر لنا فرجاً مُتَـر
يباً يا الحي لا تباعدْ)

وصوابه : .. فرّجاً قريباً . وكنت ظننته من غلط الطباعة لولا ضبطه (مُرِيباً) بضم الميم .

٢ / ١٥٧ س ٨ :

(عام احدى وألف ..) وصوابه : عام واحد وألف ..

٢ / ١٥٨ س ١ :

(ومعاجد كان الشبا
ب وشرخه فيها سمير)

كتبها المحقق (سمير) بكسر الراء ، وصوابها : (سميري) بالياء .

٢ / ١٧٤ س ١٢ :

(دار متى اضحكت أبكت
غداً تباً لها من دار)

البيت معلول ، وصوابه :

دار متى ما اضحكت في يومها
أبكت غداً تباً لها من دار

والبيت للحريري في مقاماته ص ٢٢٤ طبع دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ م . ولم يضبطه المحقق ولم يشر اليه .

٢ / ١٧٧ س ١٢ :

(تباً له من خادع خاذق
اصفر ذي وجهين كالمنافق)

البيت للحريري في مقاماته ص ٢٩ طبع دار التراث بيروت ١٩٦٨ ، ولم يشر اليه المحقق ، ولا علّق عليه ، وصوابه (مماذق) وليس (خاذق) .

سانحات دمى القصر

٢ / ١٨٥ س ١٢ :

(ثم جاء الانام نحوي سعياً
يسألوا الصبَّ عن نداك العظيم)

وكلمة (يسألوا) صوابها (يسألون) وبها يختل الوزن ، والشاعر حذف النون للضرورة ، وهي ضرورة قبيحة ، وكان ينبغي للمحقق ان يشير الى ذلك ويعلق عليه .

٢ / ١٨٨ س ٤ :

(صدر مصر اليها وبدر سماها
مستقيد للعداة مردي الخصوم)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : مستقيد العداة ...

٢ / ١٨٨ س ٨ :

(عرز السبق من بني الصدق وفضلاً
وقد استجمعوا مكارم خيم)

ان صدر البيت معلول ، وفيه واو زائدة ، وصوابه : عرز السبق من بني الصدق فضلاً .

٢ / ١٩٤ س ١٠ :

(ملأ الخافقين صيت علاه
وسرى ذكرها مع التركان)

صواب عجز البيت : وسرى ذكره مع الركبان .

٢ / ١٩٤ س ١٥ :

(شيخ ما له مثال تراه
وهيولى في صورة الانسان)

صواب صدر البيت : شبح ماله مثال تراه .

٢ / ١٩٦ س ٥ :

(العالم النطس الأغـرّ الالمعـ
ـي اللـــوذعـي الأمجـــد)

البيت معلول ، وهو ناقص تفعيلة واحدة .

٢ / ١٩٧ س ٩ :

(وأشمّ ترب الآل ممّن حلّ في
ارجـاء يثرب او حـواه الفرقد)

وصوابه : ... حواه الغرقد ، وهو بقيع الغرقد ، مقبرة اهل المدينة .

٢ / ١٩٨ س ٩ :

(فالله يهـدي من أضل سبيلـه
منه بعدما ظهـر الطريق الأقـوم)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : من بعدما ظهر الطريق الأقوم .

٢ / ١٩٨ س ١٨ :

(هذي عقود السحر أم نفثاتُـهُ
وورد وادي الشحـر ام نفحاتُهُ)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : وورود وادي الشحر ام نفحاته .

٢ / ٢٠٦ س ٥ :

(وافتاك وافـدة القرافـي فوقهـا
أوقار مـدحاك وهو مـلكٌ دار)

صوابه : ... ميسكٌ داري . نسبة الى دارين . وهو مشهور .

٢ / ٢٠٧ س ٢ :

(عام خمس بعد الألف ..) صوابه : عام خمسة بعد الألف .

٢ / ٢٠٨ س ١ :

(في أن يُسيرَّ أمره العالي إلى

قاضي الحاكر في قضاء المحمل)

رصواب صدر البيت : في أن يسيّر امره العالي إلى .

٢ / ٢٠٨ س ٧ :

(بمحمد هادي الانام وآله الـ عشر الكرام ومَن لديهم قد ولي)

وصوابه : ... وآله الغرّ الكرام .

٢ / ٢١٤ س ١٢ :

(فهي السوانح لا سوا

نح رامة بألفن ريمه)

(من كلّ وسنى ، قدها

بان على نقوى صريمه)

وصواب البيت الثاني :

من كل وسنى ، قدها

بانٌ على نَقَوَيْ صريمه

والغريب ان المحقق يشرح كلمة (نقوى صريمة) فيقول : والنقوى — كذا — : الكثيب من الرمل ، والصريمة : القطعة المنعزلة من معظم الرمل .

قلت ان كلمة (نَقَوَيْ) هي مثنى (نقا) مجرورة بعلى . ومضافة الى الصريمة ، فأين هذا من ذاك ، ومن اين وقع له هذا المعنى ؟

٢ / ٢١٦ س ١٩ :

(تلك الأيادي لا التي

حدّثن في العصر القديمة)

(سبقت إليّ وحبّنـا
منها سوابقها الجسيمة)

وصواب صدر البيت الثاني : سبقت إليّ وحبذا .

٢ / ٢٢٠ س ٥ :

(عدله مثل خلقه حسن
لا يجابه فيه من ماشى)

وصواب عجزه : لا يجاريه فيا مَن ماشى .

٢ / ٢٢٥ هامش ٣ :

قوله تعالى (وقال الذي عنده علم من الكتاب أما آتيك به ...)

وصواب الآية ... أنا آتيك به ...

٢ / ٢٢١ س ١٢ :

(أثّرَ في خدّه من نظري
دقّ الا عن دقيق النّظَرْ)

(كهلال الشك في أفق بدا
طالعاً في شفق من خَضَرْ)

صواب صدر البيت الاول : أثرّ في خدّه من نظري ، والقافية في البيتين مكسورة ، فلماذا جعلها المحقق ساكنة ؟

٢ / ٢٢١ س ١٨ :

(جراحة اللحظ في الخُدود وحكى
بياضها فوق حمرة الخدِّ)

ان صدر البيت معلول ، وفيه واو زائدة ، وصوابه : ... في الخدود حكى .

٢ / ٢٢٣ س ٣ :

(أسكنها فردوس جنّته
أنهارها من تحتها جاريه)

صدر البيت معلول ، وصوابه : اسكنها فردوس جنانه .

٢ / ٢٢٣ س ١٠ :

(عام ست بعد الألف) وصوابه : عام ستة بعد الألف .

٢ / ٢٢٣ س ٩ :

(حمى الشام جاد الغيث ما حلَّ تُربها

معان الهوى فيها مغاني أحبتي)

وصواب صدر البيت : حمى الشام جاد الغيث ماحلَّ تُربها ، والغيث يجود الماحل من الارض ، و (ماحل) في البيت مضافة الى (تربها) ، ولكن المحقق لم يتبين له ذلك . واعتبر كلمة (ماحل) كلمتين (ما) و(حلَّ)، ولذلك نصبَ (تربَها) لأنها مفعول به عنده .

٢ / ٢٢٨ س ٢ :

(عام خمس بعد الألف) صوابه : عام خمسة بعد الألف .

٢ / ٢٢٨ س ١٢ :

(مهفهف تثنّى قلت مقتضب

من قضب نعمان او من كثب يبرين)

صواب صدر البيت : مهفهف إن تثنّى قلت مقتضب .

٢ / ٢٢٩ س ١٤ :

(وثنى الهزار بصوته غرداً

عذبات بانتها على الرند)

جاء هذا البيت في قصيدة جاوزت خمسين بيتاً قافيتها رائية مكسورة ، كالبدرِ ، الزهرِ ، ويأتي هذا البيت على قافية الدال (الرند) في وسط القصيدة ، ولم يتنبه المحقق الى ذلك ، وأغرب منه ان المحقق يشرح لنا في الهامش كلمة (الرند) ، ولم يشر الى القافية المتغيرة ولم يعلق عليها .

٢ / ٢٣١ س ١ :

(لازال يحيى الفضـل مقبـلا

شرخ الشبـاب مـدى العمـر)

وعجز البيت معلول ولعل صوابه : شرخ الشباب به مدى العمر .

٢ / ٢٤٥ س ٥ : قول المتنبي :

(وقـد يتقارب الوصفان جـداً

وصـوفاهمـا متبـاعـدان)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : وموصوفاهما متباعدان .

٢ / ٢٤٨ س ٨ :

(واذا تراهم اعجبتك جسـومهـم

واذا يقولوا فالحـديث تغمغـم)

صوابه : (واذا يقولون ...) وبها يختل الوزن . فاضطر الشاعر الى حذف النون ، وهي ضرورة ثقيلة ، وكان ينبغي للمحقق ان يشير الى ذلك ويعلق عليه .

٢ / ٢٤٨ س ١١ :

(لكن لي بالظنّ الجميل بلطف من

هو لم يزل حالي الضعيفة يعلـم)

صدر البيت معلول ، وصوابه : الكن لي الظن الجميل بلطف من .

٢ / ٢٤٩ س ١ :

(لا يخشى في الله لومـة لائـم

أبداً ولـو كثرت عليه اللـوم)

صدر البيت معلول ، وصوابه : لا يختشي في الله لومة لائم .

٢ / ٢٤٩ س ٤ :

(نصبت سرادق عـدل فيها يـدٌ
لجـراح ظلم القوم فيهـا مرهم)

صدر البيت معلول وصوابه : نصبت سرادق عدله فيها يدُ .

٢ / ٢٤٩ س ٥ :

(وسرت سير الشمس سيرة عدلـه
فيهـا ونـور الحقّ لا يتكتـم)

صدر البيت معلول ، وصوابه : وسرت سير الشمس سيرة عدله .

٢ / ٢٤٩ س ٦ :

(أضحى غوث الأنـام وغيثهـم
في أزمـة فيها الغني المقـدمُ)

صدر البيت معلول ، وصوابه : أضحى بها غوث الأنام وغيثهم . وقافية البيت الثاني صوابها : (المُعدَم) ، لا المقدم ، أي أن تلك الازمة يتساوى فيها الغني والمعدم ، او يكون الغني معدماً .

٢ / ٢٥٠ س ٢٠ :

(خوف يوم تُلقّى به كل نفس
حاضراً مـا جنته من سيئات)

ان صدر البيت معلول ، وصوابه : خوف يوم تَلْقّى به كل نفس .

٢ / ٢٥٣ س ١٦ :

(دمتَ جمّ العطـا ضافي ظلّ
صافي العيش في هنـا وانتعاش)

صدر البيت معلول ، وصوابه : دمت جمّ العطاء ضافي ظلّ .

٢ / ٢٥٣ س ١٨ :

(ويحيّي بيتـك الحـرام مُلَبٍّ
وغشى نار جـودك الغمر غاشـي)

صدر البيت معلول ، وصوابه : ويحيي بيتك الحرام ملّبٍ .

٢ / ٢٥٨ س ٩ :

(عام تسع وألف ..) ، صوابه : عام تسعة وألف .

٢ / ٢٦١ س ١٦ :

(وبقيتمـا فـي ظـل عيـ
ـنٍ وارف النعمـى سَنيٍّ)

صوابه : وبقيتما في ظل عيش ...

٢ / ٢٦٦ س ١٤ :

(عام تسع بعد الألف) صوابه : عام تسعة بعد الألف .

٢ / ٢٦٧ س ٢ :

(اذا شام برق الشام هاجت لوعة
ومن دونها طامي الغوارب كالشهب)

صدر البيت معلول : وصوابه : اذ شام برق الشام هاجته لوعة .

٢ / ٢٦٧ س ٦ :

(وخصّ بها دار الأمير وما حوت
معالمها من ذي لمى خَصِرٍ عذبٍ)

كتب المحقق في الهامش (١) : اللمى : الشجر تكاثف ظلّه .

قلت : اللمى ، سمرة الشفتين واللثاث ، جاء في لسان العرب : (ورجل ألمى وامرأة لمياء ، وشفة لمياء ، وقيل : اللمياء من الشفاه ، اللطيفة القليلة

اللحم) وجاء فيه : وشجرة لمياه الظل ، سوداء كثيرة الورق ، انظر مادة (ل م أ) ، واين هذا التفسير من قصد الشاعر ؟ .

٢ / ٢٦٨ س ٣ :

(عام تسع بعد الألف) صوابه : عام تسعة بعد الألف .

٢ / ٢٧٢ س ١٠ :

(محمد الاسم مولىً قد تخيّره
من دوحة السعد بارىء النسم)

ان عجز البيت معلول :

٢ / ٢٧٧ س ١٥ :

(في عام عشر بعد الألف من صَفَرٍ
رأيتُ بالروم مرأىً راق للنظرِ)

صدر البيت معلول ، صوابه : في عام عشرة بعد الالف من صَفَر

٢ / ٢٧٨ س ٩ :

(لم لا ومنشئه رب الفضل من خضعت
له بلاغة اهل البدو والحضر)

صدر البيت معلول ، وصوابه : ... و...يه ... بتخفيف الهمزة :

٢ / ٢٧٩ س ١٧ :

(لو شام برق ثناياها الشريف سلا
عن ظبية البان عن ظبية الخمر)

عجز البيت معلول ، وصوابه : عن ظبية البان او عن ظبية الخمر .

٢ / ٢٨٠ س ٧ :

بحمد الله قد زال السقامْ
وجاءت صحة فيها دوامْ

القصيدة في (٢٦) بيتاً جعلها المحقق ساكنة القافية ، وصوابها مضمومة .

٢ / ٢٨٥ س ٥ :

(دعوتُ تضرعــاً ومعي الأنــامْ
وأمّنت المــلائــكة الكــرامْ)

القصيدة في (٢٥) بيتاً جعلها المحقق ساكنة القافية ، وهي مضمومة .

٢ / ٢٩٠ س ٦ :

(تبقى على صفحات الدهــر خالدة
كالانجم عقــداً ليس ينفصم)

عجز البيت معلول ، وصوابه : كالانجم الزهر عقداً ليس ينفصم .

٢ / ٣٠٥ س ١٢ :

(طرس به هرز النجــوم كأنــه
صبح وهــنّ بقــايا حنــدس)

عجز البيت معلول ، وصوابه : صبح وهنّ به بقايا حندس .

٢ / ٣١٠ س ٣ :

(ولكنما الاعمار تجــري لغايــة
ومعرفة الغايات بعــد المذاهــب)

(وإني لأهوى أن اكون مــع الصبا
رسولاً الى البيضا لتقضى المــآرب)

وردت قافية البيت الثاني مضمومة ، وصوابها بالكسر ، لأن القصيدة مكسورة القافية ولعل الصواب : رسولا الى البيضا لتقضى مآربي.

★ ★ ★

هذه الملاحظات تخص اوزان الشعر ، وما يتعلق به من تضمين ، وتصحيف ، وتحريف ، والاغلاط في التعبير ، وحساب التاريخ .

اما الاغلاط الطباعية فهذا جدول يتضمنها حسب تسلسل صفحات الكتاب :

الجزء والصفحة	الخطـــأ	الصواب
١ / ٣١ س ١٢	يغني	يفتي
١ / ٩٨ س ٩	الطول	الطلول
١ / ١٠٢ س ٣	الورر	الدرر
١ / ١٠٢ س ٩	الاوضاع	الاوضاح
١ / ١١٠ س ٨	المزرم	المرزم
١ / ١١٣ س ٧	أقلافه	أقلامه
١ / ١١٤ س ٧	أولاً	أو لا
١ / ١١٥ س ١١	انبعت	اينعت
١ / ١١٧ س ٧	كلّه	كلّله
١ / ١١٧ س ٧	كلّت	كلّلت
١ / ١١٨ س ٢	كالليالي	كاللآلي
١ / ١١٨ س ٤	أثبتك	أتيتك
١ / ١٢٠ س ٦	ظنانة	طنانة
١ / ١٢٠ س ١٨	غطاء	عطاء
١ / ١٢٠ س ١٩	سوايداء	سويداء
١ / ١٢٣ س ١٥	صوراما	صوارما
١ / ١٢٦ س ١١	سرَت	سِرْتُ
١ / ١٢٧ س ٣	ذلك	ذاك
١ / ١٣٢ س ٥	رهانة	رهانه
١ / ١٣٢ س ٩	فمجة	فمجّه
١ / ١٣٢ س ١٨	القريض	الغريض
١ / ١٣٣ س ٥	الهدى	الهوى

١ / ١٤٢ س ١	شفاف	شفاف
١ / ١٤٨ س ١٧	لفرار	كفرار
١ / ١٥٨ س ١٦	يوّلي	يولي
١ / ١٦٠ س ١٢	يضرما	مضرما
١ / ١٦١ س ١	ناحب	ناحت
١ / ١٦١ س ٢	ذمر	ذي
١ / ١٦٢ س ٢	رداء	ردا
١ / ١٦٤ س ١٤	والعم	واعلم
١ / ١٦٥ س ١٢	يلعب	ملعب
١ / ١٨٤ س ٦	مغردا	مغردا
١ / ٢٠٥ س ٩	وأضبح	وأصبح
١ / ٢٠٥ س ١١	ومبيّض	وميض
١ / ٢١١ س ١٨	أناس	أناساً
١ / ٢٢٦ س ٢	بالقد	بالقيد
١ / ٢٢٨ س ١١	مغنّى	معنّى
١ / ٢٣١ س ٦	النقدا	النقاد
١ / ٢٣٢ س ١١	صبّت	صبّ
١ / ٢٣٤ س ٦	السكميت	الكميت
١ / ٢٣٤ الهامش	(١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١)	(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤)
١ / ٢٣٥ س ٤	مغرام	ضرام
١ / ٢٤٣ س ١٠	رعشن	رعش
١ / ٢٦١ س ٢١	وأرواح	وأراوح
١ / ٢٦٦ س ١٧	درحه	دوحه
١ / ٢٧٧ س ٩	ثقاة	ثقات

سانحات دمى القصر

١ / ٢٨٢ س ٥	صاع	ساع
١ / ٣٠٠ س ٦	نسيم	تسيم
١ / ٣٠٥ س ٦	متصحد	مستحصد
٢ / ١٠ س ١٢	حاجبيه	صاحبيه
٢ / ٢٢ س ١٤	العدارة	الصدارة
٢ / ٨٩ س ٤	جيزة	جيرة
٢ / ٩٠ س ١	كـل	كل
٢ / ١١٤ س ١٣	فيها	فيهما
٢ / ١١٧ س ١	لقطيّة	لقـّطيه
٢ / ١٢٠ س ١٤	صفر	صغر
٢ / ١٢٤ س ١١	عدد	عدل
٢ / ١٢٥ س ١	ضليل	صليل
٢ / ١٤٣ س ٨	سفّ	شفّ
٢ / ١٤٥ س ١٣	وغنّ	وغنّى
٢ / ١٤٦ س ٣	سنة اثنين	سنة اثنتين
٢ / ١٨٦ س ١٦	الصّنا	الصّبا
٢ / ١٨٧ س ٢	قسط	سقط
٢ / ١٩١ س ٨	منه	من
٢ / ١٩٦ س ١٣	رقعة	رفعة
٢ / ١٩٩ س ٥	الفقا	النقا
٢ / ٢٠٣ س ١	عزمة	عزمه
٢ / ٢١١ س ١	خزوى	حزوى
٢ / ٢١١ س ٤	حاجبة	ساجية

٢ / ٢١٢ س ٤	اثنيت	اثنت
٢ / ٢١٣ س ١٥	المجتبين	المجتبى
٢ / ٢٢٠ ارقام المتن	(٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥)	(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤)
٢ / ٢٢٥ س ١	سماء	سما
٢ / ٢٢٥ س ٣	ابن نجدتها	ابن يجدتها
٢ / ٢٣٠ س ١٤	يغش	يغشي
٢ / ٢٥١ س ٢٠	فقلافى	فتلافى
٢ / ٢٥٥ س ٤	بسم	بسمر
٢ / ٢٥٨ س ١٠	بروايته	براوية
٢ / ٢٦٦ س ٧	الرمال	الرماح
٢ / ٢٧٠ س ١٩	البها	إليها
٢ / ٢٧١ س ٨	داوياً	ذاوياً
٢ / ٢٧٣ س ١٥	لخلق	الخلق
٢ / ٢٧٤ س ١٤	صممتها	صححتها
٢ / ٢٧٤ س ٢١	شيخ	شبح
٢ / ٢٧٥ س ٨	الموى	الهدى
٢ / ٢٨٤ س ١١	العبد	العيد
٢ / ٢٩٦ س ١٣	عصير	عصر
٢ / ٣٠٤ س ١١	حاسم	جاسم
٢ / ٣٠٨ س ١٠	لسلاهب	السلاهب
٢ / ٣٠٨ س ١٥	لخطي	الخطي
٢ / ٣٠٩ س ٧	وصيته	وصيه
٢ / ٣١٥ س ٧	حواس	حواش

وبعد :

فان هذه الملاحظات الكثيرة ، لا تقلل من شأن الكتاب وقيمته الادبية والتاريخية ، وهي تزيد في حسنه ، وتجعله أقرب الى الصواب ، وقد علمت ان المحقق الفاضل ، قد أفضى الى رحمة الله ، فعسى ان يفيد منها من يتولى امر الكتاب في طبعاته المقبلة .

الاعظمية في ذي الحجة ١٤٠٣ هـ وليد الاعظمي

★ ★ ★

أنباء وآراء

الحاج عبدالكريم جرمانوس (١٨٨٤-١٩٨٤)

في ذمة الله

ان سنة ١٩٨٤ هي سنة مزدحمة وحافلة بالاحداث بالنسبة للاستشراق المجري . ففي الربيع كانت هناك احتفالات على نطاق واسع في المجر وفي عدة بلاد اخرى ابتداءاً من الهند الى بريطانيا ، وذلك بمناسبة مرور مائتي عام على مولد ممثل الابحاث الشرقية المجرية البارز ومؤسس الدراسات التبتية ، شاندور كوروشي تشوما .

اما في هذا الخريف فاننا نحتفل بالذكرى المئوية الاولى لميلاد مستشرق مجري جليل آخر هو جولا جرمانوس الذي كان معروفا ومشهوراً في العالم العربي والاسلامي باسم : الحاج عبدالكريم جرمانوس .

ان الحاج عبدالكريم جرمانوس الذي عاش حياة زاخرة وطويلة ومات منذ اقل من خمس سنوات وهو في اتم نشاطه وحيويته الفكرية ، له افضال لا مثيل لها في دراسة العالم العربي والاسلامي والشرق بصفة عامة وايضا في التعريف بهما في المجر وفي اوربا عامة .

ونتيجة لميوله الذاتية لدراسة اللغات ، فانه وصل الى درجة اجاد معها الى جانب اللغات الاوربية الرئسة ، اللغات العربية والتركية والفارسية والتارية اجادة كاملة ايضاً ، ونتيجة لرحلاته الواسعة — حيث قضى سنوات طويلة في زياراته لمصر والهند ، كما زار مكة المكرمة مرتين كحاج ، وسافر كذلك الى سورية والعراق والمغرب وتركيا ... الخ — قد حصّل معلومات عميقة في الدين الاسلامي وفي الشريعة الاسلامية ، وصار على دراية شاملة للادب العربي وتاريخ الحضارة العربية والاسلامية .

قام الحاج عبدالكريم جرمانوس بنشر كنوزه الواسعة عن طريق كتبه ومقالاته ومحاضراته العديدة . وقد قوبل في المجر وفي اوربا عموما بالاهتمام بكل ما قد كتب او حاضر عنه . وهكذا نجح كتابه الموسوعي النقدي الضخم الذي خصصه للشعر العربي عبر ١٤٠٠ سنة ، وكتابه الآخر الخاص بتاريخ الادب العربي والذي طبع اكثر من مرة ، ثم كتبه الشيقة والمثيرة عن رحلاته مثل : الله اكبر ، وفي ضوء الهلال الخافت ، ونحو اضواء الشرق ، نجاحا منقطع النظير لدى القراء بوجه عام والمثقفين بوجه خاص . اما الكتاب الذي ألفه مع زوجته الاولى حول الهند بعنوان « نيران البنغال » ، والذي صدر في عشر طبعات بمئات الآلاف من النسخ ، فانه يعطي صورة واضحة على اهميته من ناحية المادة ومن ناحية المؤلف ايضا . كما أنه قد تمت ترجمة الكثير من اعماله الى لغات اجنبية مختلفة .

وهنا تجب الاشارة الى انه بالاضافة الى نشاطه الخاص بجعل الشرق محبوبا ومعروفا فقد كان الحاج عبدالكريم جرمانوس بحق عالما واستاذا وناقدا ادبيا جادا وذلك يظهر من خلال دراساته المتخصصة عن الشاعر الكلاسيكي العربي ابن الرومي ، وعن الشعر المعاصر في جنوب شبه الجزيرة العربية . ثم تحليله الدقيق لافكار الفيلسوف الهندي الكبير المهاتما غاندي ، الى جانب اعمال اخرى مازالت تعتبر ذات قيمة ادبية وعلمية عالية .

كان الحاج جرمانوس بالاضافة الى كل هذا النشاط في التأليف يدرّس خلال عشرات من السنين في جامعة بودابست كاستاذ للادب العربي والحضارة الاسلامية ، واغلب الخبراء المجريين في الشؤون العربية والدراسات الشرقية يعتبرون انفسهم تلامذة له .

وبمناسبة الذكرى المئوية الاولى لولادته سوف تعد احتفالات شاملة بهذا العالم الكبير ليس في المجر فقط بل كذلك في عديد من الدول العربية والاسلامية . اما في بودابست ، مسقط رأسه ، فسيطلق اسمه على احد الميادين

العامة ، وسوف تعقد في جامعة بودابست جلسة علمية باشتراك علماء مجريين واجانب تخليداً لهذه الذكرى . كما ان معظم اعماله سيعاد اصدارها من جديد .

اما عن الاحتفالات خارج الوطن المجري فسوف يكون متمثلا في عروض متجولة في عواصم البلدان المختلفة تشرح حياة ذلك العالم الغنية والمثيرة وذلك في كل من عمان ، دمشق ، القاهرة ، بغداد – (ومن المعروف ان الحاج جولا جرمانوس كان عضو شـــرف في كل من مجمع اللغة العربية في الاردن وسورية ومصر والعراق) – كما ان المعرض المتجول سيزور الكويت ونيودلهي ولندن ايضا .

